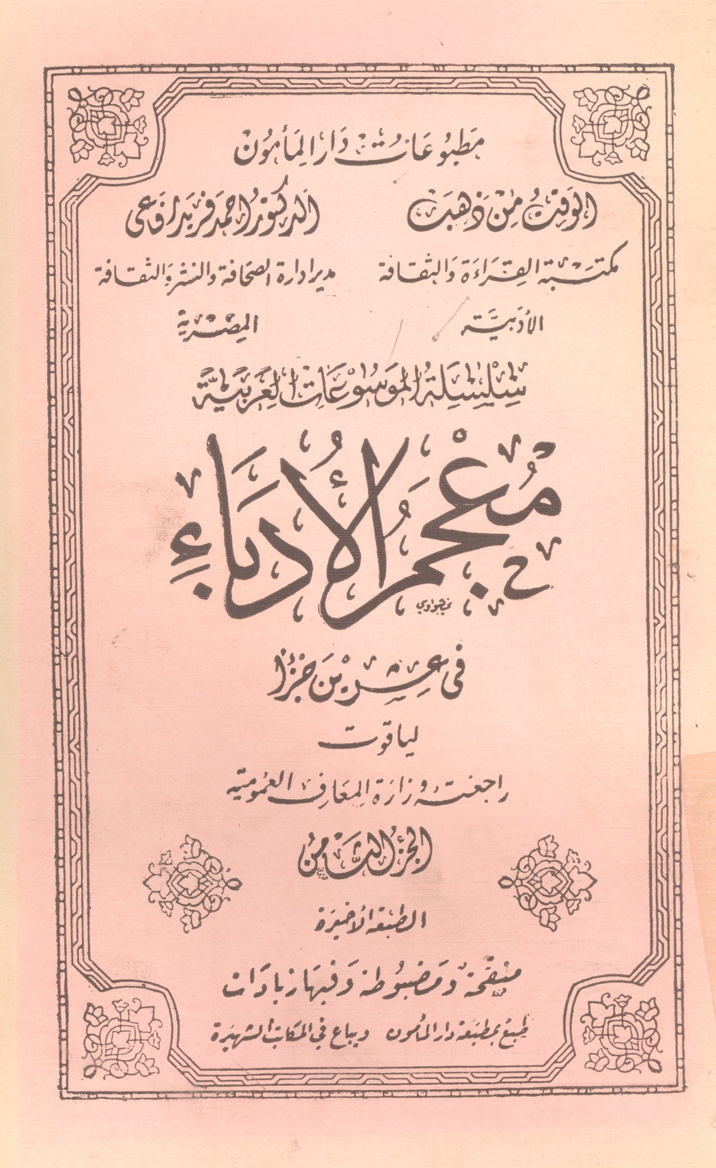


مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة
الأدبية

الدكتور احمد فريد رفاعي
مدير ادارة الصحافة والنشر والثقافة
المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

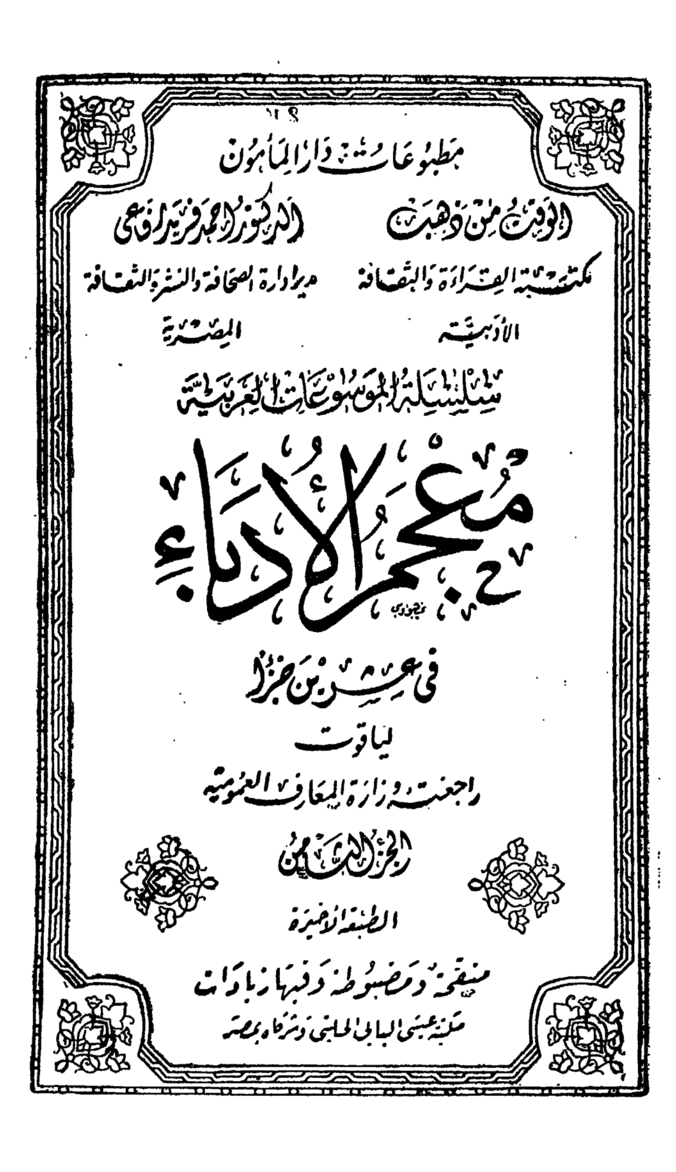
راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الثامن

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة



مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي
مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الثامن

الطبعة الأخيرة
منقحة ومضبوطة وفيها زيادات
مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهاني

﴿ ١ — اَلْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الأَسْتَرَابَاذِيُّ (١) * ﴾

الحسن الاستراباذي

أَبُو عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، الأَدِيبُ الْفَاضِلُ ، حَسَنَةُ طَبَرِسْتَانِ ، وَأَوْحَدُ ذَلِكَ الزَّمَانِ (٢) ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ شَرْحِ الْفَصِيحِ . كِتَابُ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ .

﴿ ٢ — اَلْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ ﴾
﴿ ابْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ سَهْلِ * ﴾

الحسن بن أحمد العطار

ابْنِ سَلَمَةَ ، بْنِ عَسْكَلِ ، بْنِ حَنْبَلِ ، بْنِ إِسْحَاقَ الْعَطَّارُ الْحَافِظُ ، أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمَذَانِيُّ ، الْمُقْرِئُ مِنْ أَهْلِ

---

(١) نسبة إلى أستراباذ : بلدة كبيرة مشهورة من أعمال طبرستان ، بين سارية وجرجان فى الأقليم الخامس أخرجت خلقا كثيرا من أهل العلم فى كل فن

(٢) لم يبين المؤلف زمانه

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢١٨ بترجمة طابقت ماجاء عنه بمعجم الادباء لفظا ومعنى ولم يزد

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ، ص ٢١٥ بما يأتى :

الحسن بن احمد ، بن الحسن ، بن محمد ، بن سهل ، بن سلمة العطار ، أبو العلاء الهمذانى . قال القفطى :

كان إماماً فى النحو ، واللغة ، وعلوم القرآن ، والحديث ، والادب ، والزهد ، وحسن الطريقة ، والتمسك بالسنن ، قرأ القرآن بالقراءات ببغداد ، على البارع الحسين الدباس ، وبواسط ، وأصفهان ، وسمع من أبى على الحداد ، وابى القاسم بن بيان ، وجماعة . —

هَمَذَانَ . مَاتَ فِي تَاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَذَكَرَهُ بَعْضُ الثِّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَذَكَرَ لَهُ مَنَاقِبَ [1] كَثِيرَةً ، وَذَكَرَ نَسَبَهُ وَوِلَادَتَهُ فَقَالَ : هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ الْحَسَنُ [2] بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، ابْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ سَهْلٍ ، بْنِ سَلَمَةَ ، بْنِ عَشْكَلٍ ، بْنِ إِسْحٰقَ الْعَطَّارُ الْهَمَذَانِيُّ . وَكَانَ عَشْكَلٌ مِنَ الْعَرَبِ . وَأَمَّا وِلَادَتُهُ : فَإِنَّهَا كَانَتْ يَوْمَ السَّبْتِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . بِهَمَذَانَ وَذَكَرَ مِنْ مَنَاقِبِهِ قَالَ : سَمِعْتُهُ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ ـ يَقُولُ : سُلِّمْتُ فِي صِغَرِي إِلَى رَجُلٍ مُعَلِّمٍ . قَالَ : سَمَّاهُ وَنَسِيتُ

— وبخراسان من أبى عبدالله الفراوى ، وحدث وسمع من الكبار والحفاظ ، وانقطع إلى إقراء القرآن والحديث إلى آخر عمره ، وكان بارعا على حفاظ عصره فى الأنساب والتواريخ ، والرجال . وله تصانيف فى أنواع شتى من العلوم . وكان يحفظ الجمهرة ، وكان عفيفاً لايتردد إلى أحد ، ولا يقبل مدرسة ولا رباطا ، وإنما كان يقرىء فى داره ، وشاع ذكره فى الآفاق : وعظمت منزلته عند الخاص والعام ، فما كان يمر على أحد إلا قام ودعا له ، حتى الصبيان واليهود ، وكانت السنة شعاره ، ولا يمس الحديث إلا متوضئاً

(١) مناقب : جمع منقبة ، وهى الفعل الكريم

(٢) فى طبقات الحفاظ ج ٤ ص ١١٨ اسمه محمد بن سهل

اسمه قال : وكنت أحفظ عليه القرآن ، فحفظت عليه إلى سورة يوسف ، ثم أجرى الله لسانى بحفظ الباقى من القرآن دفعة واحدة ، من غير تحفظ وتكرار ، فضلا منه جل جلاله . قال : وسار فى ليلة واحدة فى طلب الحديث من جرباذقان[١] إلى أصفهان .

وسمعته يقول : لما حججت كنت أمشى فى البادية راجلا قدام القافلة ، أحيانا مع الدليل ، وأحيانا أخلف الدليل ، حتى عرفنى الدليل[٢] واستأنس بى ومال إلى ، وهو يسير على ناقة له تكاد ترد الريح ، وكنت أرى الدليل يتعجب من قوتى على السير ، وكان أحيانا يضرب ناقته ويمعن[٣] فى السير ، وكنت لا أخلى الناقة تسبقنى . فقال لى الدليل يوما : تقدر أن تسابق ناقتى هذه ؟ فقلت : نعم . فضربها وعدوت معها فسبقتها .

(١) بلدة كبيرة قريبة من همذان بينها وبين الكرج ، ينسب إليها جماعة من أهل العلم . وبلدة أيضا بين أستراباذ وجرجان من نواحى طبرستان ، ينسب إليها نصر الجرباذقانى ، فقيه حنفى بارع فى الفقه (٢) فى الأصل الليل

(٣) يقال أمعن الفرس فى السير إمعانا ، تباعد فى عدوه

قَالَ : وَكَانَ كَثِيرَ الْحِفْظِ لِلْعُلُومِ ، كَثِيرَ الْمُجَاهَدَةِ فِى تَحْصِيلِهَا ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ — رَحِمَهُ اللهُ — : حَفِظْتُ كِتَابَ الْجُمَلِ فِى النَّحْوِ لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِىِّ ، فِى يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا حَفْصٍ عُمَرَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْوَشَّاءَ الْمُقْرِئَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْإِمَامَ الْحَافِظَ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : حِفظْتُ يَوْماً ثَلَاثِينَ وَرَقَةً مِنَ الْقِرَاءَةِ . قَالَ : وَسَمِعْتُ الْإِمَامَ الْحَافِظَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْحَافِظِ أَبِى الْعَلَاءِ قَالَ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ الصَّالِحَ إِبْرَاهِيمَ الْمَرْجِىَّ قَالَ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : وَلَوْ أَنَّ أَحَداً أَتَانِى بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَبْلُغْنِى لَمَلَأْتُ فَاهُ ذَهَباً . قَالَ : وَكَانَ الشَّيْخُ — رَحِمَهُ اللهُ — حَفِظَ الْجَمْهَرَةَ لِأَبِى بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ ، وَكِتَابَ الْمُجْمَلِ لِابْنِ فَارِسٍ ، وَكِتَابَ النَّسَبِ لِلزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ .

قَالَ : وَبَلَغَنِى عَنِ الثِّقَةِ أَنَّ الْحَافِظَ أَبَا جَعْفَرٍ — رَحِمَهُ

اللهُ — كَانَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَاذَا أَتَيْتَنِي بِهِ ؟ أَقُولُ رَبِّى وَسَيِّدِى ، أَتَيْتُكَ بِأَبِى الْعَلَاءِ الْعَطَّارِ . قَالَ : وَكَانَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْفَضْلِ الْجَوْزِىُّ - رَحِمَهُ اللهُ - يُمْلِى يَوْمًا فِى الْجَامِعِ بِأَصْفَهَانَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، إِذْ دَخَلَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ — رَحِمَهُ اللهُ — مِنْ بَابِ الْجَامِعِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَيْهِ أَمْسَكَ[1] عَنِ الْإِمْلَاءِ ، وَنَظَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْقَوْمُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا ، وَهَذَا الرَّجُلُ الْمُقْبِلُ مِنْ جُمْلَتِهِمْ ، قُومُوا نُسَلِّمْ عَلَيْهِ[2] ، فَقَامُوا وَاسْتَقْبَلُوهُ ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَاعْتَنَقُوهُ . قَالَ : وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِى الْعِزِّ الْمُقْرِئِ الْقَلَانِسِىِّ الْوَاسِطِىِّ — رَحِمَهُ اللهُ — ، وَكَانَ يُفَضِّلُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَشَقَّ[3] ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ يَوْمًا وَفِيهِمْ

---

(١) فى الأصل : « أمسك من الاملاء » أى كف . فأبدلت من عن

(٢) فى الاصل : « عليهم » (٣) شق ذلك عليهم : أوقعهم فى المشقة . والمراد أنهم تألموا من ذلك ألما شديدا شاقا

الشَّيْخُ أَبُو الْعَلَاء – رَحِمَهُ اللهُ –، فَسَأَلَهُمُ الشَّيْخُ أَبُو الْعِزِّ عَنِ اخْتِلَافِ الْقُرَّاء فِى قَوْلِهِ تَعَالَى « كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ » وَأَقَاوِيلِ الْأَئِمَّةِ فِيهَا، فَسُقِطَ[1] فِى أَيْدِيهِمْ، وَتَاهُوا فِى شَرْحِهَا، وَمَا أَجَابُوا بِطَائِلٍ[2]. ثُمَّ أَقْبَلَ الشَّيْخُ أَبُو الْعِزِّ عَلَى الشَّيْخِ – رَحِمَهُ اللهُ – وَقَالَ : تَكَلَّمْ أَنْتَ فِيهَا يَا أَبَا الْعَلَاء، فَشَرَعَ فِيهَا الشَّيْخُ وَعَدَّ فِيهَا بِضْعَةَ عَشَرَ قَوْلًا، وَأَدَّى فِيهَا حَقَّهَا بِأَحْسَنِ إِشَارَةٍ، وَأَبْلَغِ عِبَارَةٍ. فَلَمَّا فَرَغَ، نَظَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْعِزِّ إِلَى أَصْحَابِهِ الْحَاضِرِينَ وَقَالَ : بِهَذَا أُفَضِّلُهُ عَلَيْكُمْ، لَوْ أَمْهَلْتُكُمْ مُدَّةً لَمَا قَدَرْتُمْ عَلَى الَّذِى ذَكَرَ هُوَ بَدِيهَةً[3] مِنْ غَيْرِ عَزِيمَةٍ سَابِقَةٍ، وَرَوِيَّةٍ[4] سَالِفَةٍ.

قَالَ : وَكَانَ مُحْتَرَمًا عِنْدَ الْخُلَفَاء وَالسَّلَاطِينِ. كَتَبَ إِلَيْهِ الْمُقْتَفِى لِأَمْرِ اللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مِنْ جُمْلَتِهِ :

---

(١) سقط فى أيديهم : أى أخطأوا وتحيروا وندموا

(٢) أى بشىء يرتاح له العقل لفائدته

(٣) البديهة : المفاجأة، وعدم طول التفكر . وتعرب حالا

(٤) الروية : النظر والتفكر فى الامور

«وَبَعْدُ» فَإِنَّ الْأَبَ الْقِدِّيسَ (١) النَّفِيسَ ، خَامِسَ أُولِي الْعَزْمِ ، وَسَابِعَ السَّبْعَةِ عَلَى الْحَزْمِ ، وَارِثَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ ، حَافِظَ شَرْعِ الْمُصْطَفَى أَبَا الْعَلَاءِ ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا وَاسْتَدْعَى مِنْهُ الدُّعَاءَ . قَالَ : وَسَمِعْتُ وَلَدَهُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْغَنِيِّ ابْنَ الشَّيْخِ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — يَقُولُ : لَمَّا دَخَلَ أَبِي عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَفِي لِأَمْرِ اللهِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — بَعْدَ اسْتِدْعَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ ، كَانَ يَأْمُرُهُ خَوَاصُّ (٢) الْخَلِيفَةِ بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ فِي الْمَوَاضِعِ ، وَكَانَ يَأْبَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ : دَعُونِي ، إِنَّمَا السُّجُودُ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَكَفُّوا عَنْهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ ، وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ عَلَيْهِ ، فَقَامَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَجْلَسَهُ ، ثُمَّ كَلَّمَهُ سَاعَةً وَسَأَلَ مِنْهُ الدُّعَاءَ ، فَدَعَا وَأَذِنَ لَهُ فِي الرُّجُوعِ فَرَجَعَ ، وَكَانُوا قَدْ أَحْضَرُوا الْخِلْعَةَ وَالصِّلَةَ (٣)

---

(١) القديس : الفاضل الحاصل على تمام الصلاح ، والقبول عند الله ، والمؤمن الذى يتوق طاهرا فاضلا (٢) خواص الخليفة : المقربون من رجال دولته ، جمع خاصة (٣) الصلة : العطية والاحسان ، والجائزة ، وجمعها صلات .

فَاسْتَعْفَى [1] مِنْ ذَلِكَ فَأُعْفِيَ ، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ حَذَراً مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَآفَاتِهَا .

وَحَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ ، أَنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّداً لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ دَارَهُ ، نَصَحَهُ كَثِيراً وَوَعَظَهُ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ جَالِساً بَيْنَ يَدَيْهِ ، مُقْبِلًا عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ ، مُصْغِياً إِلَى كَلَامِهِ ، فَلَمَّا قَامَ لِيَخْرُجَ ، أَمَرَهُ بِتَقْدِمَةِ رِجْلِهِ الْيُمْنَى ، وَأَخْذِهِ الطَّرِيقَ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ [2] .

وَسَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا بِشْرٍ [3] — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْغَنِيِّ بْنَ سُرُورٍ [4] الْمَقْدِسِيَّ يَقُولُ : كُنْتُ يَوْماً فِي خِدْمَةِ الْحَافِظِ أَبِي طَاهِرٍ السِّلَفِيِّ بِثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، نَقْرَأُ الْحَدِيثَ ، فَجَرَى ذِكْرُ الْحُفَّاظِ إِلَى أَنِ انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى ذِكْرِ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ — رَحِمَهُ اللهُ — ، فَأَطْرَقَ

---

(١) استعفى : طلب منه أن يعفيه ، ويقيله من قبول العطاء

(٢) يريد الاشارة إلى التيامن ، فيما يتناول المرء عمله بأجزاء جسمه

(٣) بالاصل : « الثانى » ، ولعله : الحافى أو النامي ، ولكنهما لا يتفقان وعصر الشيخ ، لان الاول متقدم فى الزمن (٤) فى طبقات الحفاظ « ٤ : ١٦٥ » مسرور

الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ عِنْدَ ذِكْرِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : قَدَّمَهُ دِينُهُ ، قَدَّمَهُ دِينُهُ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا بِشْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ مَنْصُورٍ الْمُقْرِئَ الْخَطِيبَ بِشِيرَازَ ، يَذْكُرُ الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاءِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — وَيُثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

قَالَ : وَسَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنَ الْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الشَّعَّارِ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا الْحَسَنِ الْحَرَّانِيَّ يَقُولُ : كُنْتُ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، فَرَأَيْتُ شَيْخًا فِي الطَّوَافِ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ تَفَرَّسْتُ [1] فِيهِ الْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى طَوَافَهُ ، فَدَنَوْتُ

(١) تفرست فيه الخير : أى تعرفته بالظن الصائب — ومنه « اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله »

مِنْهُ ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْوَطَنِ ، فَسَمَّى لِي مَوْطِنًا بَعِيدًا ، ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ ، وَنَسِيَهُ أَبُو نَصْرٍ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : فَقُلْتُ : أَيُّ شَيْءٍ الْمَقْصِدُ بَعْدَ بُلُوغِكَ بَيْتَ رَبِّكَ ؟ فَقَالَ : مَقْصِدِي الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ ، فَتَعَجَّبْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ : سَتَظْفَرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِمَقْصُودِكَ ، وَتَنَالُ مَطْلُوبَكَ ، وَبَكَيْتُ حَتَّى غَلَبَنِي الْبُكَاءُ . فَقَالَ لِي : وَمِمَّ بُكَاؤُكَ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاءِ الَّذِي تَقْصِدُهُ وَتَأْمُلُ بُلُوغَهُ ، قَدْ كُنْتُ مُسْتَفِيدًا مِنْهُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ خَتْمًا ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ ، فَتَعَجَّبَ مِنْ قَوْلِي وَقَامَ إِلَيَّ ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَهُوَ يُفَدِّينِي (١) بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَغَابَ عَنِّي .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا بِشْرٍ يَقُولُ : لَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي الْمُبَارَكِ الْمُقْرِئِ بِشِيرَازَ ، جَعَلَ يَذْكُرُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ

---

(١) يفدينى بأبيه وأمه : أى يقول لى : أفديك بأبى وأمي — ويريدون بذلك الدعاء له .

الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاءِ الْهَمَذَانِيَّ — رَحِمَهُ اللهُ — وَيُثْنِي عَلَيْهِ .
ثُمَّ أَنْشَدَ مُتَمَثِّلًا :

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

قَالَ : رَحَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى [1] الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ لَهُ حَظٌّ [2] فِي كُلِّ عِلْمٍ ، وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ هِيَ مِنْ غُرَرِ [3] الْقَصَائِدِ ، وَذَكَرَ أَحْوَالَهُ فِي سَفْرَتِهِ ، وَمَا أَصَابَهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَاقِّ . وَمِنْ شِعْرِهِ فِيهِ أَيْضاً :

سَعَى إِلَيْكَ عَلَى قُرْبٍ وَمِنْ بُعُدٍ
مَنْ كَانَ ذَا رَغْبَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالسَّنَدِ [4]

---

(١) أقصى المغرب : أى أبعده — وجمعه أقاس ، وأقصى المغرب : بلاد مراكش.

(٢) حظ فى كل علم : أى مكانة

(٣) غرر القصائد : جمع غرة — وهي من كل شىء أوله وأكرمه — والمراد : أغزرها مادة وفصاحة وبلاغة ، وأقواها تأثيراً فى النفوس

(٤) السند : المراد سند الحديث . يقال : أسند الحديث إلى المحدث : عزاه ورفعه إليه ـ

حَتَّى أَنَاخَ بِمَغْنَاكَ(١) الْكَرِيمِ وَقَدْ

كَلَّتْ رَكَائِبُهُ فِى الْعُنْفِ(٢) وَالسَّنَدِ

لِذَاكَ أَثْرَى وَمَا أَوْعَتْ أَنَامِلُهُ

لَكِنْ وَعَى قَلْبُهُ مَاشَاءَ مِنْ مَدَدِ

وَمَا أَنَاخَ بِمَغْنَى غَيْرِكُمْ أَحَدٌ

إِلَّا وَنُودِىَ ، مَابِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

وَقَدْ قَصَدْتُكَ مِنْ أَقْصَى الْمَغَارِبِ لَا

أَبْغِى سِوَاكَ لِوَحْىِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

وَمَا امْتَطَيْتُ سِوَى رِجْلَىَّ رَاحِلَةً

وَقَدْ غَنِيتُ عَنِ الْعَيْرَانَةِ(٣) الْأُجُدِ

وَهَذِهِ رِحْلَةٌ(٤) بِكْرٌ كَشَفْتُ لَهَا

عَنْ سَاقِ ذِى عَزَمَاتٍ(٥) غَيْرِ مُتَّئِدِ

---

(١) بمغناك : المغنى ، المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا ثم ظعنوا

(٢) العنف : السير الشديد ، والسند هنا : من سند ذنب الناقة خطر فضربت خطاتها يمنة ويسرة ، والقطاة العجز وما بين الوركين (٣) العيرانة الأجد : الناقة القوية

(٤) رحلة بكر : أى لم يتقدمها مثلها

(٥) عزمات : جمع عزمة : وهى الثبات والصبر فيما يعزم عليه

عِنَايَةٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلِي لِذِي طَلَبٍ
وَحُظْوَةٌ لَمْ تَكُنْ(١) فِي غَابِرِ الْأَبَدِ
هَلْ كَانَ قَبْلَكَ حَبْرٌ أُمَّةٌ رَجُلٌ ؟
وَسَارَ مُدَّةَ حَوْلٍ سَيْرَ مُجْتَهِدِ
أَبَا الْعَلَاءِ(٢) الْكُلُّ إِنَّكَ فِي
أَقْصَى الْعِرَاقِ مُقِيمٌ مِنْهُ فِي بَلَدِ
وَقَدْ فَشَا لَكَ ذِكْرٌ فِي الْبِلَادِ كَمَا
فَاحَتْ أَزَاهِرُ رَوْضٍ لِلْغَمَامِ نَدِي

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ يَوْماً لِمَنْ حَضَرَهُ : إِنْ خَلَّفَ أَبُو الْعَلَاءِ دِينَاراً أَوْ دِرْهَماً بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِ . وَقَدْ كَانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ لَا يُبْقِي عَلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَكُلُّ مَا آتَاهُ اللهُ مِنْهَا يَصْرِفُهُ فِي الْيَوْمِ ، وَيُنْفِقُهُ فِي قَضَاءِ الدُّيُونِ وَمُرَاعَاةِ النَّاسِ ، فَمَاتَ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً ، حَتَّى بِيعَتْ دَارُهُ وَقُضِيَ مِنْهُ دَيْنُهُ . قَالَ :

(١) فى الأصل : « لكم » وغابر هنا : بمعنى ماض

(٢) يريد أن لك العلاء كله وهذا تعبير جاءت فيه أل مكان الضمير فبدل كله قال الكل

وَكَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - شَدِيدَ التَّمَسُّكِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ لَا يَسْمَعُ بَاطِلًا أَوْ يَرَى مُنْكَرًا إِلَّا غَضِبَ لِلهِ ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يُدَاهِنْ[1] فِيهِ . قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا رَشِيدٍ رَاشِدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْمُعَدِّلَ يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ الشَّيْخِ يَوْمًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْعَبَّادِيُّ الْوَاعِظُ زَائِرًا ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ زَمَانًا وَجَعَلَ يُكَلِّمُ الشَّيْخَ إِلَى أَنْ جَرَى فِي كَلَامِهِ ، وَقَدْ عَزَمْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ عَلَى الْإِتْيَانِ إِلَى الْخِدْمَةِ ، لَكِنْ مَنَعَنِي كَوْنُ الْكَوْكَبِ الْفُلَانِيِّ فِي الْبُرْجِ الْفُلَانِيِّ ، فَزَجَرَهُ[2] الشَّيْخُ وَقَالَ : السُّنَّةُ أَوْلَى أَنْ تُتَّبَعَ ، فَقَامَ الْعَبَّادِيُّ خَجِلًا وَخَرَجَ .

وَكَانَ مِنْ وَرَعِهِ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ مَا كَانَ يُتَرْجِمُ[3] الْحَدِيثَ لِلْعَامَّةِ رِعَايَةً

---

(١) ولم يداهن : يقال داهنه مداهنة وأدهنه : خدعه وختله وأظهر له خلاف ما يضمر

(٢) كانت فى الاصل : « فزبره »

(٣) يترجم الحديث للعامة : أى يفسره بلغتهم - يقال : ترجم كلامه : إذا فسره بلسان آخر ، ومنه الترجمان ، وجمعه تراجم ، كزعفران وزعافر

مِنْهُ لِلصَّدْقِ ، وَاسْتُدْعِيَ[1] مِنْهُ بِهَمَذَانَ أَنْ يُفَسِّرَ لِلنَّاسِ حَدِيثًا وَاحِدًا فَأَجَابَ ، وَقَعَدَ لِذَلِكَ ، فَلَمَّا شَرَعَ فِي الْكَلَامِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ فِي الدَّوْلَةِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَغْفَرَ ثُمَّ رَجَعَ وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]. وَاسْتُدْعِيَ مِنْهُ ثَانِيًا بِالْكَرْخِ كَذَلِكَ ، فَرَوَى حَدِيثًا فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ « حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ » فَفَسَّرَ لَفْظَةَ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَنْ يُفَسِّرَ لَفْظَةَ « حَتَّى يَدْخُلَ » كَأَنَّهُ قَدَّمَ لَفْظَةَ « الْجَنَّةِ » عَلَى لَفْظَةِ « حَتَّى يَدْخُلَ » فِي تَرْجَمَتِهِ ، فَاسْتَغْفَرَ وَرَجَعَ ، وَأَتَى بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَنْطُوقِ بِهِ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَتَحَرَّجُ عَنِ الْقَصَصِ وَالْكَلَامِ فِيهِ وَالتَّنَمُّقِ[3] وَالتَّكَلُّفِ حَذَرًا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ . وَلَمَّا قَصَدَ السُّلْطَانُ

---

(١) استدعى منه : أى طلب منه (٢) من قوله : « وكان فى الدولة » إلى قوله : واستدعى ساقط من الأصل ، فأثبتناه نقلا عن نسخة العماد ، وإلى هنا لم يتم شىء من الحديث ولعله لم يفسر وإلا فماذا ؟ (٣) التنمق : التحسين والتزيين فى الكلام وغيره

مُحَمَّدٌ بَغْدَادَ ، وَحَاصَرَهَا وَخَالَفَ الْإِمَامَ الْمُقْتَفِيَ لِأَمْرِ اللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . كَانَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَقْرَأُ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ بِهَمَذَانَ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْأَوَّلِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عَلَى أُسْلُوبٍ [١] . يَحْضُرُهُ لِسَمَاعِ الْكِتَابِ عَامَّةُ أَهْلِ الْبَلَدِ ، مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَالصُّوفِيَّةِ وَالْعَوَامِّ ، فَصَرَّحَ بِالْقَوْلِ قَائِمًا عَلَى الْمِنْبَرِ ، بِأَنَّ السُّلْطَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِهِ خَارِجَةٌ [٢] مَارِقَةٌ . ثُمَّ قَالَ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ عَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَمَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ بِسَهْمٍ ، وَجَاءَهُ آخَرُ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ، فَنَزَعَ السَّهْمَ مِنْ جِرَاحِهِ ، يَكُونُ هُوَ أَيْضًا خَارِجِيًّا بَاغِيًا ، وَكَرَّرَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مِرَارًا . قَالَ : وَسُئِلَ الشَّيْخُ — رَحِمَهُ اللهُ — عَنْ سَبَبِ أَكْثَرِ اشْتِغَالِهِ بِعِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَقَالَ : إِنِّي نَظَرْتُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِي فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَنْ تَحْصِيلِ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ مُعْرِضِينَ ، وَعَنْ دِرَاسَتِهِمَا لَاهِينَ ،

(١) كانت فى الأصل : « أسليهر » وأصلحت (٢) خارجة مارقة : الخوارج قوم يخالفون السلطان والجماعة ويخرجون عن الطاعة ، والمروق وصفهم يقال : مرق من الدين ، خرج منه بضلالة أو بدعة

فَاشْتَغَلْتُ بِهِمَا ، وَأَنْفَقْتُ عُمْرِى فِى[1] تَحْصِيلِهِمَا حِسْبَةً . قَالَ : وَرَأَى — رَحِمَهُ اللهُ — قِلَّةَ رَغْبَةِ الْخَلْقِ فِى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ ، وَالرِّحلَةِ وَلِقَاءِ الشُّيُوخِ ، فَاتَّخَذَ[2] مَهْدًا وَعَزَمَ عَلَى الْمُضِىِّ إِلَى بَغْدَادَ وَأَصفهَانَ لِلرِّوَايَةِ ، وَرَفْعِ مَنَاوِرِ[3] الْعِلْمِ وَإِحْيَاءِ السُّنَّةِ حِسْبَةً ، فَمَنَعَهُ الضَّعْفُ وَالْكِبَرُ ، وَأَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ . قَالَ : سَمِعْتُ الثِّقَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : كُنْتُ وَاقِفاً يَوْماً عَلَى بَابِ دَارِ الشَّيْخِ أَبِى الْعِزِّ الْقَلَانِسِىِّ — رَحِمَهُ اللهُ — فِى حَرٍّ شَدِيدٍ أَنْتَظِرُ الْإِذْنَ ، فَمَرَّ بِى إِنْسَانٌ فَرَآنِى عَلَى تِلْكَ الْحَالِ وَاقِفاً فَقَالَ لِى : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَوْ أَنَّكَ تَصِيرُ إِمَاماً يُقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَيُقْتَدَى بِكَ ، أَهَكَذَا كُنْتَ تَفْعَلُ

(١) فى الاصل : «على» حسبة إسم من الاحتساب ، يقال أحتسب الأجر على الله : أدخره عنده ، لايرجو أجر الدنيا (٢) فاتخذ مهدا . أى أعد وهيأ لنفسه فراشا ومؤنة للرحلة (٣) ورفع مناور العلم . المناور جمع منارة : وهى بناء عال ينار للاهتداء كالفنار — مستعار لهداية العلم للناس ، وإنارة سبل الحياة لهم بنشره وتعليمه . وجمعها الصحيح مناور لاتقلب الواو همزة لانها أصلية ، والقلب إذا كانت زائدة . وكانت فى الاصل : « منائر »

أَنْتَ بِطَلَبَةِ الْعِلْمِ وَمَنْ يَأْتِيكَ مِنَ الْغُرَبَاءِ ؟ فَذَرَفَتْ[1] عَيْنَايَ فَقُلْتُ : لَا إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَأَشْهَدْتُ اللهَ تَعَالَى فِي نَفْسِي فِي تِلْكَ الْحَالِ ، عَلَى أَنِّي لَا آخُذُ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالْإِقْرَاءِ وَالتَّحْدِيثِ[2] أَجْراً ، وَلَا أَبْخَلُ بِعِلْمِي عَلَى أَحَدٍ ، وَأَبْذُلُهُ حِسْبَةً ، فَكَانَ كَمَا قَالَ ، وَيَقْعُدُ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ .

قَالَ : وَكَانَ الشَّيْخُ — رَحِمَهُ اللهُ — لَا يُرَى طُولَ نَهَارِهِ إِلَّا كَاتِباً لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ مُطَالِعاً لَهُ ، أَوْ مُشْتَغِلًا بِهِ ، أَوْ مُصْغِياً إِلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ . هَكَذَا كَانَ دَأْبُهُ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْعَلُ لَيْلَتَهُ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ ، يَكْتُبُ فِي ثُلُثٍ ، وَيَتَفَكَّرُ فِي ثُلُثٍ ، وَيَنَامُ فِي ثُلُثٍ ، وَكَانَ كَثِيراً مَا يَقُولُ عِنْدَ انْتِبَاهِهِ مِنَ النَّوْمِ : يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ

---

(١) ذرف الدمع : سال ، وبابه ضرب وذرفانا بفتح الراء — ويقال : ذرفت عينه : أى سال دمعها (٢) التحديث . مصدر حدث . وهو الاخبار . والمراد هنا التحديث الخاص، وهو إخبار خاص بما سمع من لفظ الشيخ . من قول أو فعل ، أو تقرير نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه الحديث . وأما الخبر : فهو ماجاء عن غيره . والأثر ما روى عن الصحابة — وهذا على الصحيح . وقيل غير ذلك

أَكْرِمْنَا. وَكَانَ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَى النَّاسِ وَإِقْبَالِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ، وَتَبَرُّكِهِمْ بِهِ، أَنَّهُ كَانَ يَصْعُبُ عَلَيْهِ الْمُرُورُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي مُضِيِّهِ وَرُجُوعِهِ، لِازْدِحَامِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ. وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّبَّانِ يَتَحَلَّقُونَ حَوَالَيْهِ، يَدْفَعُونَ عَنْهُ زَحْمَةَ النَّاسِ، وَهُوَ يَمُرُّ فِي وَسَطِهِمْ مُطْرِقًا، لَا يَشْتَغِلُ بِأَحَدٍ وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ عَلَى الْقَبِيحِ.

قَالَ: سَمِعْتُ الْعَدْلَ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: دَخَلْنَا عَلَى الْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَهُوَ يَكْتُبُ، فَقَعَدْنَا عِنْدَهُ سَاعَةً، فَوَضَعَ مَا فِي يَدِهِ، وَقَامَ لِيَتَوَضَّأَ فَنَظَرْنَا فِيمَا كَتَبَ، فَإِذَا هُوَ قَدْ بَيَّضَ[1] كُلَّ مَوْضِعٍ فِيهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَعَجَّبْنَا مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَجَعَ سَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا كُنْتُ أَكْتُبُ ذَلِكَ شَكَكْتُ فِي

(١) بيض: أي تركه أبيض بدون كتابة كما يفهم من السياق

الْوُضُوءِ ، فَمَا جَوَّزْتُ أَنْ أَكْتُبَ بِيَدِي أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى ، أَوْ ذِكْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا شَاكٌّ فِي الْوُضُوءِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إِذَا نَزَلَ بِالنَّاسِ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ ، يَجِيءُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَيَسْأَلُونَهُ الدُّعَاءَ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ . وَكَانَ كَثِيراً مَا يَقُولُ : لَيْتَنِي كُنْتُ بَقَّالًا أَوْ حَلَّاجاً[١] ، لَيْتَنِي نَجَوْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ «رَأْساً بِرَأْسٍ ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا» .

قَالَ : وَسَمِعْتُ وَالِدِي يَحْكِي عَنِ الْإِمَامِ عَبْدِ الْهَادِي بْنِ عَلِيٍّ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ـ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي يَوْماً مَعَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي الشِّتَاءِ فِي وَحَلٍ شَدِيدٍ فِي رِجْلَيْهِ مَدَاسٌ خَفِيفٌ ، يَكَادُ يَدْخُلُ فِيهَا الطِّينُ ، فَقُلْتُ لَهُ يَا أَخِي : لَوْ لَبِسْتَ مَدَاساً غَيْرَ هَذَا يَصْلُحُ لِلشِّتَاءِ فَقَالَ : إِذَا لَبِسْتُ غَيْرَهَا لَهَتْ عَيْنِي[٢] عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا ،

---

(١) الحلاج . من يندف القطن . حتى يخلص الحب منه — والقطن حليج ومحلوج.

(٢) لهت عيني الخ . أى غفلت . وسلت عنه .

فَرُبَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مُنْكَرٍ أَوْ فَاحِشَةٍ ، وَفِي دَوَامِ نَظَرِي إِلَيْهَا وَحِفْظِي لَهَا عَنِ الْوَحلِ ، شُغِلَ عَنْ ذَلِكَ وَحِفْظٌ لِلْبَصَرِ.

قَالَ : وَكَرَامَاتُهُ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ النَّاسِ ، مِنْهَا مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُقْرِئ، قَالَ : سَمِعْتُ الْأُسْتَاذَ بَهْلَةَ الطَّحَّانَ يَقُولُ : حَمَلْتُ أَحْمَالَ الْحِنْطَةِ مِنْ دَارِ الشَّيْخِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ لِأَطْحَنَهَا لِأَهْلِهِ ، فَلَمَّا طَحَنْتُهَا وَوَضَعْتُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ ، قَصَدَ بَعْضُ مَنْ فِي الطَّاحُونَةِ مِنَ الْمُسْتَحِقِّينَ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الدَّقِيقِ ، لِيَخْبِزَ مِنْهُ رَغِيفًا ، فَصِحْتُ عَلَيْهِ وَمَنَعْتُهُ مِنَ الْأَخْذِ ، فَلَمَّا رَدَدْتُ الْأَحْمَالَ إِلَى دَارِ الشَّيْخِ مِنَ الْغَدِ ، تَبَسَّمَ الشَّيْخُ فِي وَجْهِي وَقَالَ : وَيْلَكَ يَا بَهْلَةُ ، لِمَ مَنَعْتَ الرَّجُلَ أَنْ يَأْخُذَ قَبَضَاتٍ مِنَ الدَّقِيقِ ؟ فَتَحَيَّرْتُ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَبَّلْتُ فِي الْحَالِ رِجْلَيْهِ ، وَتُبْتُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَاسْتَغْفَرْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا سَلَفَ مِنِّي مِنَ الذُّنُوبِ ، وَصِرْتُ مُعْتَقِدًا فِي كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى .

قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : كُنْتُ يَوْمًا فِي خِدْمَةِ الشَّيْخِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — تَأْكُلُ الْغَدَاءَ ، فَدَقَّ الْبَابَ دَاقٌّ ، فَقُمْتُ وَفَتَحْتُ لَهُ الْبَابَ . فَإِذَا بِالشَّيْخِ الصَّالِحِ مَسْعُودٍ النَّعَّالِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ ، فَدَخَلَ وَقَعَدَ عِنْدَ الشَّيْخِ إِلَى الطَّعَامِ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَاعَةٍ نَظَرَ إِلَى مَسْعُودٍ وَقَالَ يَا مَسْعُودُ : لَوْ أَنَّ النُّطْفَةَ الَّتِي قَدَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، أَنْ يَخْلُقَ مِنْهَا خَلْقًا صُبَّتْ عَلَى الْأَرْضِ ، لَظَهَرَ مِنْ ذَلِكَ الْخَلْقُ . فَلَمَّا سَمِعَ مَسْعُودٌ النَّعَّالُ هَذَا الْكَلَامَ انْزَعَجَ وَبَكَى وَصَاحَ . فَتَعَجَّبْنَا مِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمَّا سَكَنَ ، سَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ انْزِعَاجِهِ وَتَوَاجُدِهِ[1] مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ . فَقَالَ لِي : اعْلَمْ أَنِّي

---

(١) من الموجدة : أى الغضب ، من قولهم : وجد عليه يجد وجداً وجدة : غضب
ملاحظة : مثل هذه الاخبار لا ينبغى أن تكون معتقداً ولا أن تكون برهاناً على أن فلاناً مقبول أو غير مقبول، ولا يليق بنا أن نجعلهاذات شأن فى ديننا ، إن هذا الشيخ العظيم الحافظ الحسن بن أبى العلاء صاحب الترجمة ؟ يأنف ويغضب من أن يقال عنه مثل هذا ، إنه رجل عظيم ذو مكانة عظمى ، وقيمة سامية لزهده وورعه، وعلمه وآدابه العالية ، فلن تزيده مثل هذا، ولن ينقص من قدره أن لا كرامة تنسب إليه، ولا أريد بهذا نكران كرامة الأولياء ، ولكن تفسيرها بمثل هذه الأمور ليس من الشرع فى شىء « عبد الخالق »

تزوجت امرأة منذ سنين كثيرة ، وما رزقت منها ولداً ، وأنى جئت اليوم لأسأل منه الدعاء ، حتى يرزقنى الله عز وجل ولداً صالحًا . فقبل سؤالى إياه حدثنى بما فى قلبى ، وأظهر لى سرى ، وأسمعنى ما سمعتم ، قال : ثم دعاه الشيخ — رضى الله عنه — ودعا له ، وسأل الله عز وجل له الولد ، وناوله شيئاً من بقية طعامه وقال : أطعمها أهلك . قال : ثم رأيته بعد ذلك بمدة ، فقال لى : قد رزقنى الله عز وجل ، والحمد لله ابنا وبنتا ببركة دعاء الشيخ وهمته .

قال : وسمعت الشيخ أبا بكر عبد الغفار بن محمد بن عبد الغفار ، وكان خال ولد الشيخ — رضى الله عنه — يقول لى : هل علمت سبب وفاة أختى ، يعنى التى كانت حليلة الشيخ — رحمة الله عليهما ؟ — قلت : لا . قال : قالت أختى : كان للشيخ فى الدار بيت مختص به لا يدخله غيره ، وكان يأذن لى فى بعض

اللَّيَالِي بِدُخُولِي فِيهِ ، وَفِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ وَأَغْلَبِ اللَّيَالِي ، يُغْلِقُ الْبَابَ عَلَى نَفْسِهِ وَيَخْلُو فِيهِ بِنَفْسِهِ . وَأَبِيتُ أَنَا فِي الدَّارِ وَحْدِي ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ، حَتَّى أَقْلَقَ نَهَارِي[1] ، وَأَسْهَرَ لَيْلِي . فَبَيْنَا أَنَا مُتَفَكِّرَةٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ اللَّيَالِي ، إِذْ قُلْتُ فِي نَفْسِي : لِمَ لَا أَقُومُ فَأَرْتَقِي الرِّوَاقَ[2] ، وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ كُوَّةِ[3] الْبَيْتِ لِأَقِفَ عَلَى حَالِهِ ؟ فَقُمْتُ وَارْتَقَيْتُ الرِّوَاقَ ، فَقَبْلَ بُلُوغِي الْكُوَّةَ رَأَيْتُ نُوراً عَظِيماً ، وَضِيَاءً سَاطِعاً مِنَ الْبَيْتِ أَضَاءَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ ، فَتَقَدَّمْتُ وَنَظَرْتُ فِي الْبَيْتِ ، فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ جَالِساً فِي مَكَانِهِ ، وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ ، وَكُنْتُ أَرَى سَوَادَهُمْ ، وَأَسْمَعُ حِسَّهُمْ[4] ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَرَى

---

(١) أقلق نهارى وأسهر ليلى : مجاز عقلى ، من إسناد الفعل إلى الزمان ونظيره : نهاره صائم ، والمراد قلق الانسان وسهره فيهما ، والقلق : الاضطراب والانزعاج ، واستعماله فى الأرق من كلام المولدين (٢) الرواق من البيت : الشقة التى دون الشقة العليا ، والجمع أروقة (٣) الكوة : الخرق فى الحائط ، والجمع كوات ، وكوى (٤) الحس : الصوت مطلقاً — تقول : مر شخص بقربى ولم أره ، ولكن سمعت حسه أى صوته الخفى ، وتقول : ما سمعت منه حساً أى صوتاً

صُوَرَهُمْ . فَهَالَنِي ذَلِكَ ، وَوَقَعْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ لَا أَشْعُرُ شَيْئًا ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ الشَّيْخَ وَاقِفًا عَلَى رَأْسِي ، فَأَقَامَنِي وَتَلَطَّفَ بِي ، وَقَالَ لِي : مَاذَا [١] دَهَاكِ ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي . فَقَالَ لِي : كُفِّي عَنْ هَذَا ، وَلَا تُخْبِرِي بِمَا رَأَيْتِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، إِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ رِضَايَ . فَقَبِلْتُ مِنْهُ ذَلِكَ ، وَكَتَمْتُ سِرَّهُ حَتَّى أَمْرَضَنِي ، وَحُمِلْتُ مَرِيضَةً إِلَى دَارِ أَبِي .

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ : وَقَالَ لِيَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ ، وَاشْتَدَّ عِنْدَنَا مَرَضُهَا ، وَكُنَّا نَسْأَلُهَا عَنْ سَبَبِ مَرَضِهَا ، وَكَانَتْ تَعَلَّلُ بِأَشْيَاءَ إِلَى أَنْ وَقَعَتْ فِي هَوْلِ الْمَوْتِ ، وَسِيَاقِ [٢] النَّزْعِ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْنَا وَبَكَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : أُوصِيكُمْ بِزَوْجِي أَبِي الْعَلَاءِ وَاسْتِرْضَائِهِ ، وَالْآنَ بَدَا [٣] لِي أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِسَبَبِ مَوْتِي ، ثُمَّ قَصَّتْ

---

(١) ماذا دهاك ؟ : أى ما الذى أصابك ونزل بك إلى هنا . أقول هذه رواية لا أعرف مقدار صدقها (٢) وسياق النزاع : أى الشروع فى نزع الروح وخروجها
(٣) يقال : بدا له فى الأمر بدوا وبداءا وبداة : نشأ له فيه رأى غير رأيه الاول ، فصرفه عنه .

عَلَيْنَا هَذِهِ الْقِصَّةَ ، وَفَارَقَتِ الدُّنْيَا - رَحِمَهَا اللهُ - .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْعَلَاءِ أَحْمَدَ بْنَ الْحَسَنِ الْحَدَّادَ الْعَارِفَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ عُمَرَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، مِنْ نَسْلِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَقُولُ : كُنْتُ مَعَ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ ، فَأَدْرَكْنَا شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَانْتَخَبَ [1] الْحَافِظُ جُزْءًا مِنْ مَسْمُوعِهِ وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ سَلَّمْنَا [2] عَلَيْهِ وَارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَوَصَلْنَا إِلَى نَهَرٍ عَظِيمٍ ، فَلَمَّا عَبَرْنَا النَّهَرَ ، وَقَعَ ذَلِكَ الْجُزْءُ مِنَّا وَضَاعَ ، وَضَاقَ قَلْبُ الْحَافِظِ لِذَلِكَ ضِيقًا شَدِيدًا . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ [3] الشَّارَةِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحَافِظِ وَقَالَ : مَا الَّذِي أَصَابَكَ ؟ وَمَا سَبَبُ حُزْنِكَ ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْحَافِظُ قِصَّةَ الْجُزْءِ وَكَيْفِيَّةَ ضَيَاعِهِ ، فَقَالَ : خُذِ الْقَلَمَ وَاكْتُبْ

---

(١) انتخب عليه : من النخبة — وهي المختار من كل شيء — ولعل المراد : انتزع جزءا مختارا وقرأه عليه (٢) فى الاصل : « وسلما » (٣) حسن الشارة : من قولهم : حسن الصورة والمشورة ، أى المنظر والمخبر

عَنِّى جَمِيعَ مَا ضَاعَ عَنْكَ فِى ذَلِكَ الْجُزْء ، وَأَخَذَ الْحَافِظُ الْقَلَمَ مُتَعَجِّبًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يُمْلِى وَالْحَافِظُ يَكْتُبُ إِلَى أَنْ فَرَغَ ، فَلَمَّا فَرَغَ الْحَافِظُ أَخَذَ بِبَعْضِ ثِيَابِهِ فَقَالَ : أَنْشُدُكَ[1] اللهَ مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَخُوكَ الْخَضِرُ ، وَبُعِثْتُ إِلَيْكَ لِهَذَا الْأَمْرِ . ثُمَّ غَابَ عَنَّا فَلَمْ نَرَهُ .

سَمِعْتُ الشَّيْخَ الصَّالِحَ سُنْقُرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ غُلَامَ شَيْخِنَا أَبِى طَاهِرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ الْعَطَّارِ ، — رَحِمَهُ اللهُ — ابْنِ[2] الشَّيْخِ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : إِنِّى خَدَمْتُ الشَّيْخَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ سِنِينَ كَثِيرَةً ، فَرَأَيْتُ الْعَجَائِبَ الْكَثِيرَةَ فِى خَلَوَاتِهِ . مِنْهَا : أَنَّهُ قَامَ لَيْلَةً لِيَتَوَضَّأَ ، فَقَالَ لِىَ اسْتَقِ الْمَاءَ مِنَ الْبِئْرِ ، فَجِئْتُ وَأَرْسَلْتُ الدَّلْوَ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ الدَّلْوُ إِلَى رَأْسِ الْبِئْرِ نَظَرْتُ فِيهَا ،

---

(١) أنشدك الله : قسم : أى أستحلفك ، وأقسم عليك بالله

(٢) كانت فى الأصل : « أخى »

فإذا الدَّلْوُ مَمْلُوءٌ ذهبًا أحْمَرَ ، أضاءَ الدَّارَ حُمْرَتُهُ ، فصحتُ صَيْحَةً عظيمةً . فقالَ لى أيُّها الشَّيْخُ : ماذا أصابَكَ ؟ فأرَيْتُهُ الدَّلْوَ ، فاسْتَرْجَعَ[1] ثُمَّ اسْتَغْفَرَ[2] ، وقالَ لى : اقْلِبِ الدَّلْوَ فى البِئْرِ ، فإنّا نَطْلُبُ الماءَ لا الذَّهَبَ . قالَ : فقلَبْتُها ثُمَّ أخَذَ الدَّلْوَ مِنْ يَدِى واسْتَقَى الماءَ وقالَ لى : يا سُنْقُرُ ، إيّاكَ[3] إيّاكَ أنْ تُخْبِرَ بما رَأيْتَ أحَدًا مِنَ النّاسِ ما دُمْتُ حَيًّا .

قالَ : رَأيْتُ بخَطِّ الثِّقَةِ ذَكَرَ أنَّهُ نَقَلَ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ أبى الفَتْحِ مُحَمَّدِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ وَهْبٍ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ أبا عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنَ بنَ إبْرَاهِيمَ ، بنِ الحُسَيْنِ بنِ جَعْفَرٍ الجُوزَقانِىَّ يَقُولُ : كُنْتُ نائِمًا ذاتَ لَيْلَةٍ ، فرَأيْتُ فيما يَرَى النّائِمُ ، كأنَّ النّاسَ يُهْرَعُونَ إلى رِباطِ[4] أبى الفَرَجِ ، أحْمَدَ بنِ عَلِىٍّ

---

(١) استرجع : أى استعاذ بقوله « إنا لله وإنا إليه راجعون » (٢) كانت بالاصل : « استأخر » وأصلحت (٣) إياك إياك : تحذير من إتيان ما بعدهما ، وهما منصوبان بفعل محذوف وجوباً تقديره ، احذر (٤) الرباط : أصله مصدر من رابط الجيش : إذا لزم ثغر العدو ، والرباط أيضا واحد الرباطات المبنية للفقراء ، وهو المراد هنا

الْمقْرِىء — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ — قَالَ : فَسأَلْتُ مَا لِهؤُلَاء ؟ فَقَالُوا : إِنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — ، نَزَلَ فِى رِبَاطِ الْمقْرِىء ، فَفَرِحْتُ وَأَسْرَعْتُ ، وَقَصَدْتُ الْإِمَامَ الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاء وَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا سَمِعَ مِنِّى فَرِحَ وَنَشِطَ ، وَقَامَ وَأَخَذَ جُزْءًا وَاحِداً مِنْ أَحَادِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، وَجَاءَ مَعِي حَتَّى دَخَلْنَا الرِّبَاطَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِى الرِّبَاطِ ، وَرَأَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ يَسَارِهِ ، فَتَقَدَّمْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، وَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ أَبُو الْعَلَاء فِى قِرَاءَةِ ذَلِكَ الْجُزْء عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فَابْتَدَأَ أَبُو الْعَلَاء بِالْقِرَاءَةِ ، وَقَرَأَ ذَلِكَ الْجُزْءَ قِرَاءَةً حَسَنَةً مُبَيَّنَةً صَحِيحَةً ، وَرَأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ مِنَ الْفَرَحِ مَرَّةً إِلَى وَجْهِهِ ، وَمَرَّةً إِلَى وَجْهِى ، فَلَمَّا قَرَأَ الْجُزْءَ انْتَبَهْتُ مِنَ النَّوْمِ ، فَقُمْتُ وَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ الصَّلَاةَ شُكْراً لِلهِ تَعَالَى عَلَى مَا رَأَيْتُ فِى الْمَنَامِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ عُمَرَ بْنَ أَبِى رَشِيدِ بْنِ طَاهِرٍ الزَّاهِدَ يَقُولُ : رَآنِى يَوْماً الشَّيْخُ عَلِيٌّ الشَّاذَانِيُّ صَاحِبُ الْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ . فَقَالَ لِى يَا عُمَرُ : اذْهَبْ إِلَى الْحَافِظِ أَبِى الْعَلَاءِ وَقَبِّلْ جَبِينَهُ عَنِّى ، فَإِنِّى رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِى الْمَنَامِ أَنَّ مَنْ قَبَّلَ جَبْهَتَهُ مُوقِناً مُحْتَسِباً — غَفَرَ اللهُ لَهُ — .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الزَّاهِدَ وَكَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ[1] ، « إِنْ شَاءَ اللهُ » يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ سَعِيداً الْمُتَّقِيَ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ يَقُولُ : رَأَيْتُ جَنَّاتِ[2] عَدْنٍ مَفْتُوحَةً أَبْوَابُهَا ، وَإِذَا النَّاسُ كُلُّهُمْ وُقُوفٌ يَنْظُرُونَ دُخُولَ شَخْصٍ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْبَابِ وَكَادَ يَدْخُلُ جَنَّةَ عَدْنٍ ، سَأَلْتُ مَنْ هَذَا الشَّخْصُ الَّذِى يَدْخُلُ جَنَّةَ عَدْنٍ قَبْلَ دُخُولِ الْخَلَائِقِ ؟ فَقَالُوا : الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ وَمَنْ كَانَ يُحِبُّهُ فِى

(١) الابدال : قوم من الصالحين ، قيل : لاتخلو الدنيا منهم ، لايموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس ـ قيل : وهم سبعون ، أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ـ قال ابن دريد : الواحد بديل وبعد فهل لجملة ان شاء الله هنا من سبب ؟

(٢) جنات عدن : يقال : عدن بالمكان يعدن ويعدن عدنا وعدونا : أقام به ـ قيل : ومنه جنات عدن ، أى إقامة لمكان الخلود .

اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَضَرَّعْتُ[١] وَبَكَيْتُ وَقُلْتُ : وَأَنَا أَيْضاً مِمَّنْ يُحِبُّهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، دَعُونِي أَدْخُلْ . فَقَالَ شَخْصٌ : صَدَقَ : دَعُوهُ يَدْخُلْ ، فَدَخَلْتُ مَعَ الْقَوْمِ وَهُمْ يَقُولُونَ : « أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ »

قَالَ الْمُصَنِّفُ : وَحَكَى لِيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ زُبَيْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زُبَيْرٍ الْمِشْكَانِيُّ — رَحِمَهُ اللهُ — فَقَالَ : رَأَيْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ الْإِمَامَ أَبَا الْعَلَاءِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَمْشِي إِلَى الْحَجِّ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَهْدِ مُرَبَّعٌ ، وَالْمَهْدُ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَعَدَوْتُ[٢] خَلْفَهُ ، فَنَزَلَ الْمَهْدُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَشَيْءٌ مِثْلُ الْوَتِدِ ، وَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْمَهْدِ فَتَعَلَّقْتُ بِهِ ، فَقَامَ الْمَهْدُ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ وَأَنَا مُتَعَلِّقٌ بِهِ حَتَّى وَصَلْنَا الْفُرَاتَ ، فَأَخَذَنِي الْعَطَشُ فَقُلْتُ لِلْحَافِظِ : إِنِّي عَطْشَانُ

---

(١) فتضرعت : تضرع إلى الله ، ابتهل وتذلل ، أو تضرع فى طلب الحاجة

(٢) فعدوت : من العدو ـ وهو الجرى

أُرِيدُ أَنْ أَشْرَبَ ، فَقَالَ لِى : تَعَالَ حَتَّى تَشْرَبَ مِنْ زَمْزَمَ ، فَمَشَيْنَا حَتَّى وَصَلْنَا مَكَّةَ فَدَخَلْتُ الْحَرَمَ ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاء زَمْزَمَ ، وَرَأَيْتُ فِى الْحَرَمِ خَلْقاً كَثِيراً ، وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْحَافِظِ أَبِى الْعَلَاء ، جَالِساً عَلَى تَلٍّ فِى الْحَرَمِ أَعْلَى مِنْ سَطْحِ الْحَرَمِ ، وَمَا مَعَهُمَا أَحَدٌ غَيْرُهُمَا ، وَهُمَا يَسْتَقْبِلَانِ الْكَعْبَةَ ، وَيَنْظُرَانِ إِلَى فَوْقُ ، وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَلَّمُ مَعَ أَحَدٍ نَحْوَ(١) فَوْقِ الْكَعْبَةِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ قَامَ إِلَيْهِ ، وَرَأَيْتُ شَيْخَنَا الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاء شَاخِصاً بِبَصَرِهِ إِلَى الَّذِى يُكَلِّمُ النَّبِىَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ الْكَعْبَةِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِيناً وَلَا شِمَالًا ، فَقُلْتُ فِى نَفْسِى : أَذْهَبُ فَأُبْصِرُ مَنِ الَّذِى يَتَكَلَّمُ(٢) النَّبِىُّ صَلَّى اللّٰهُ

---

(١) نحو فوق الكعبة : أى جهة أعلاها ـ والنحو يطلق فى اللغة على خمسة معان ـ وهى القصد ، والجهة ، والقدر ، والمثل ، والبعض ـ وقد جمعها بعضهم فى قوله :

نحونا نحو دارك ياحبيبى وجدنا نحو ألف من رقيب

وجدناهم عواة نحو كلب تمنوا منك نحواً من شريب

(٢) كانت فى الاصل : « يكلم »

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ ؟ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ ، فَتَقَدَّمْتُ وَنَظَرْتُ إِلَى فَوْقِ الْكَعْبَةِ ، فَرَأَيْتُ عَرْشَ الرَّحْمَنِ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ وَاقِفاً فَوْقَ الْكَعْبَةِ ، وَرَأَيْتُ الرَّحْمَنَ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ عَلَيْهِ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِ « اُسْأَلِ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » ، فَسَأَلْتُ اللهَ تَعَالَى أَرْبَعَ حَاجَاتٍ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ بِالْفَارِسِيَّةِ « كردم » وَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَةً فَفَعَلَ ، فَنَوَيْتُ الرُّجُوعَ ، فَقَالَ لِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَذْهَبُ ؟ فَوَقَفْتُ أَنْتَظِرُ أَمْرَهُ . فَقَالَ لِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَارِسِيَّةِ : « شكرانه كو » فَوَقَفْتُ وَقَرَأْتُ « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » خَمْسَمِائَةِ مَرَّةٍ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حَسَنٌ » ، فَرَجَعْتُ وَتَرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِساً مَعَ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ عَلَى ذَلِكَ التَّلِّ ، وَيَنْظُرَانِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) الرسول عربى والقرآن بلسان عربى مبين فما معنى الفارسية فى الكلام هنا وما أشبه هذا بقول الفقهاء : إن سؤال القبر بالسريانى . ورأيى أن الرؤيا كلها إن صدق قائلها إنما هى تمثيل لعظمة الهمذانى إلا أن التصوير لم يكن جيداً فى العبارة عبد الخالق

وَقَدْ مَدَحَهُ أَفَاضِلُ عَصْرِهِ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَغْرِبِيُّ ، وَقَدْ خَرَجَ الشَّيْخُ فَحَجَبَتِ الشَّمْسُ غَيْمًا (١) فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

ظَهَرْتَ فَأَخْفَتْ وَجْهَهَا الشَّمْسُ هَيْبَةً
وَشَوْقًا إِلَى مَرْآكَ أَسْبَلَتِ الدَّمْعَا
وَلَمَّا رَأَتْ مَسْعَاكَ كَفَّتْ شُؤُونَهَا
لِئَلَّا تَرَى شَيْئًا يَصُدُّكَ (٢) عَنْ مَسْعَى
وَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْقَطْرُ أَيْضًا دِلَالَةً
عَلَى أَنَّ مَوْلَى الْجَمْعِ قَدْ رَحِمَ الْجَمْعَا
وَلَا شَكَّ أَنَّ اللهَ يَرْحَمُ أُمَّةً
حَلَلْتَ بِهَا قَطْعًا (٣) أَقُولُ بِذَا قَطْعَا

وَقَدْ مَدَحَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَغْرِبِيُّ هَذَا بِقَصَائِدَ حِسَانٍ ، وَقَدْ أَفْرَدَهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ ، بْنِ أَبْرَاهِيمَ ، بْنِ الْفَرَجِ ، مُؤَلِّفُ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ ، ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ

(١) غيما : لعل هذا صوابها ، وفى الأصل : « عما »
(٢) فى الاصل : وتصدك ، وشيئا بالاصل : « حيا »
(٣) قطعا الخ : أى جزما لا شك فيه : ومنه : هذا قول مقطوع بصحته .

وَالْأَصْلُ يَشْتَمِلُ عَلَى سِتَّةِ أَجْزَاءٍ بِخَطِّهِ كُلُّهَا — رَحِمَهُ اللهُ — .
وَقَدْ ذَكَرَ فِيهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْقَصَائِدِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا : سَمِعْتُ أَبَا بِشْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ ، بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هِبَةِ اللهِ ، بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَهْلٍ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَغْرِبِيُّ بِأَصْفَهَانَ فِي مَدْرَسَةِ النِّظَامِ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ — عَزَّ وَجَلَّ — « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » قَامَ وَصَرَخَ ، وَتَرَكَ أَمْتِعَتَهُ وَكُتُبَهُ ، وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّحْرَاءِ هَائِماً[١] ، وَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَا سُمِعَ لَهُ خَبَرٌ وَلَا أَثَرٌ .

وَأَنْشَدَ مُوَفَّقُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَكِّيُّ الْخَطِيبُ الْحَافِظُ فِي مَدْحِهِ :

حِفْظُ الْإِمَامِ أَبِي الْعَلَاءِ الْحَافِظِ
بِالرِّجْلِ يَنْكُتُ[٢] هَامَ حِفْظِ الْجَاحِظِ

---

(١) هائما من هام على وجهه ، يهيم هيما وهيانا : ذهب لايدرى أين يتوجه ؟ فهوهائم . (٢) ينكت الخ يقال : نكت الارض بقضيب أو بأصبع ينكتها نكتا : ضربها به فأثرفيها ، يفعلون ذلك حال التفكر — والهام الرأس — والمراد ، تفضيل علم الامام أبى العلاء على علم الجاحظ .

عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ بَحْرُهُ مِنْ جَدْوَلٍ
مُتَشَعِّبٍ مِنْ بَحْرِ بَحْرِ الْحَافِظِ

مَا إِنْ رَأَيْنَا قَبْلَ بَحْرِكَ مَنْ لَهُ
بَحْرٌ طَفُوحٌ كَالْأَتِيِّ اللَّافِظِ[1]

أَحْيَيْتَ مَاقَدْ غَاضَ[2] مِنْ سُنَنِ الْعُلَا
وَالْعِلْمِ قَبْلَكَ بِالْيَرَاعِ الْغَائِظِ

بَهَظَ[3] الْبَرَايَا عِبْءُ أَدْنَى عِلْمِهِ
أَعْظِمْ بِهِ مِنْ عِبْءِ عِلْمٍ بَاهِظِ

كَمْ وَاعِظٍ ، لِي أَنْ أُجَاوِزَ[4] هَجْرَهُ
لَوْ كَانَ يَنْجَعُ فِيَّ وَعْظُ الْوَاعِظِ

---

(١) البيت فى الأصل :

ما إن رأينا قبل بحرك من بحر طفوح الأتى لافظ

وهو محرف وغير مستقيم الوزن ، والطفوح : المملوء الطامي . والأتى : السيل يجرفه ما أمامه . واللافظ : القاذف (٢) جاءت فى الأصل : « فاظ » ومعناه مات ، وفى العهد « فاض » فجعلناها : غاض ، وهو أنسب وأوضح ، وإن كان الشعر ركيكا لاقيمة له

(٣) بهظ البرايا الخ : أى غلبهم علمه ، وثقل عليهم فعجزوا عن محاكاته ـ وقوله : أعظم به : تعجب من وفرة علمه ، والباهظ الثقيل ، يقال : أمر باهظ : أى شاق ثقيل

(٤) كانت بالأصل : « أجاور » وأصلحت إلى ماذكر وكانت هجره فى الاصل : « هجوه » وينجع : أى يؤثره من نجع فيه الدواء أو الطعام أو الكلام : دخل فأثر فيه

غَاظَ الْأَعَادِي جَاهُهُ لِعُلُومِهِ

فَرَدَدْتُ غَيْظَهُمْ بِهَذَا الْقَائِظِ (١)

وَأَنْشَدَ أَيْضاً فِي مَدْحِهِ :

وَلَيْسَ اعْتِرَافُ الْحَاسِدِينَ بِفَضْلِهِ

لِشَيْءٍ سِوَى أَنْ لَيْسَ يُمْكِنُهُمْ جَحْدُ

بَدَا كَعَمُودِ (٢) الْفَجْرِ مَا فِيهِ شُبْهَةٌ

فَهَلْ لَهُمْ مِنْ أَنْ يُقِرُّوا بِهِ ، بُدٌّ ؟

وَأَنْشَدَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَفْضَلُ الدِّينِ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّمَانْجِيرُ (٣) الْكَرْخِيُّ ، — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ — فِي مَدْحِهِ :

صَبْراً فَأَيَّامُ الْهُمُومِ تَزُولُ

وَالدَّهْرُ يُعْطِيكَ الْمُنَى وَيُنِيلُ

---

(١) كان الشطر الثانى بالأصل : « ردت غيظهم بهذا الغائظ » وأصلح

(٢) عمود الفجر : ضوءه ــ وبد : أى فرار ــ يقال : لابد من كذا : أى لافرار منه.

(٣) كذا بالاصل ، ولعله : الدامنكير ، على أن بعض الناس يكتب الجيم كافا خطأ. وينطق بها جيما فهذا من هذا

وَيَئُوبُ(١) مِنْ فَلَكِ السَّعَادَةِ ثَاقِبًا
قَمَرُ الْآمَانِي وَالنُّحُوسُ أُفُولُ
لَا تَيْأَسَنَّ إِذَا أَلَمَّ مُلِمَّةٌ
إِنَّ الشَّدَائِدَ تَعْتَرِي(٢) وَتَحُولُ
وَالْفَضْلُ لَا يُزْرِي(٣) بِهِ عَدَمُ الْغِنَى
أَوَلَيْسَ يَحْسُنُ فِي الرِّمَاحِ ذُبُولُ
مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبَ بَعْدَ مَضَائِهِ
يَوْمَ الْقِرَاعِ إِذَا عَرَتْهُ فُلُولُ(٤)

---

(١) كانت فى الأصل: « يبدو » وأصلحت الى يؤوب . أى يعود ـ وثاقبا ناقدا على حد قوله تعالى: « فأتبعه شهاب ثاقب » ـ والنحوس : جمع نحس ، وهو ضد السعد ـ يقال « يوم نحس وأيام نحس » ـ وأفول : جمع آفل . يقال : أفل القمر أفولا : أى غاب ، فهو آفل والجمع أفل وأفول . ومنه « فلان كعبه سافل ، ونجمه آفل »

(٢) تعترى : تصيب ـ وتحول : تتحول وتزول

(٣) يزرى به : أى يعيبه ـ يقال : أزرى به وأزراه : عابه ـ وذبول : مصدر ذبل يذبل ذبلا وذبولا : أى ذوى وجف ، ورمح ذابل : رقيق لاصق بالليط أى الجلد ، والشعراء تستعمل الذوابل صفة للرماح ، وقد يجعلونها اسما للرماح ، من باب إقامة الموصوف ، كقول أبى الطيب :

عدوية بدوية من دونها سلب النفوس ونار حرب توقد
وهواجل وصواهل ونواصل وذوابل وتهدد وتوعد

(٤) العضب : مصدر عضبه يعضبه عضبا : قطعه ـ وهو أيضا السيف القاطع ، وصف بالمصدر ، قال أبو العلاء :

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الرمح يمسكه لسالا

وعرته : أى أصابته ــ والفلول : ثلم السيف ، وهي ثلمه

لَاتَشْتَغِلْ بِالْعُسْرِ وَاُطْوِ مُشَمِّراً
بُسُطَ الْفَيَافِي وَالشَّبَابُ مَقِيلُ (١)

وَالْبَسْ سَوَادَ اللَّيْلِ مُرْتَدِياً بِهِ
إِنَّ التَّجَلُّدَ لِلرِّجَالِ جَمِيلُ

حَتَّى تُنِيخَ الْعِيسَ فِي كَنَفِ الْعُلَا
حَيْثُ التَّحَرُّمُ بِالنَّجِيِّ كَفِيلُ (٢)

كَنَفِ الْإِمَامِ الْقَرْمِ قُطْبِ الدِّينِ مَنْ
جَوْبُ الْفَلَا إِلَّا إِلَيْهِ فُضُولُ (٣)

---

(١) المقيل : مصدر قال يقيل قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا : نام فى « القائلة » أى منتصف النهار ، أو استراح فى الظهيرة ـ ويريد بكون الشباب مقيلا : أنه فى حياة المرء كالقيلولة . (٢) تنيخ : من أناخ الرجل الجمل إناخة : أبركه فى المناخ ـ والعيس : الابل البيض يخالط بياضها سمرة ، أو ظلمة خفية ، الواحد أعيس ، والواحدة عيساء . قال الشاعر :

أقول لحاربى همذان لما أثارا صرمة حمراً وعيسا

أى بيضاً ـ ويقال : هى كرائم الابل ، والعيس : لون العيس

(٣) القرم : الفحل من الابل . والمراد به هنا : السيد أو العظيم ، على التشبيه بالفحل المذكور . وقد اجتمعا كلاهما فى قول المتنبى يمدح سيف الدولة :

ولكنا نداعب منك قرما تراجعت القروم له حقاقا

أى ولكنا نمازح منك سيدا عظيما ، صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة إلى فحول الجمال . وجوب الفلا : قطعها ، والفلاة ، القفر أو الصحراء الواسعة ، أو المفازة وجمعها فلا ، وفلوات وأفلاء . والفضول : التدخل فيما لا يعنى

صَدْرِ الزَّمَانِ أَبِى الْعَلَاءِ سَمَيْدَعٍ[1]

غُرُّ الْمَعَالِى فِى ذُرَاهُ تَقِيلُ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

وَلِمُوَفَّقِ الدِّينِ مَكِّىٍّ خَطِيبِ خُوَارِزْمَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ فِى مَدْحِهِ . مِنْهَا :

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ فِى النَّاسِ خَالِدًا

أَيَا خَيْرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ خَالًا وَوَالِدَا

لِتَرْوِى أَحَادِيثَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وَتُحْيِى مَسَانِيدًا وَتَزْوِى مُعَانِدَا[2]

فَهَذَا دُعَائِى بِالْحَجُونِ[3] وَبِالصَّفَا

وَهَذَا مَرَامِى حَيْثُمَا كُنْتُ سَاجِدَا

قَالَ : وَسَمِعْتُ الثِّقَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ — رَضِيَ اللهُ

(١) السميدع : السيد الكريم ، أو الشريف أو الشجاع (٢) المسانيد جمع مسند ، وهو الحديث المسند إلى قائله — وتزوى : وتمنعه من الظهور ، والمعاند : المعارض

(٣) الحجون : جبل بمكة ، والصفا جمع الصفاة ، من مشاعر مكة ، بلحف جبل أبى قبيس

عَنْهُ — يَقُولُ: لَمَّا مَاتَ فُلَانٌ « أَحَدُ أَصْدِقَائِهِ ذَكَرَ اسْمَهُ وَنَسِيَهُ » : شَقَّ عَلَيَّ مَوْتُهُ ، وَأَثَّرَ فِيَّ وَفَاتُهُ ، فَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَكْتُبُ كُلَّ سَنَةٍ كِتَابَ الْوَصِيَّةِ ، وَأَنَا سَمِعْتُ مِنْهُ حِينَئِذٍ صَغِيراً وَهُوَ يَقُولُ : غَدًا مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ شَهْرِ اللهِ الْأَصَمِّ(١) ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُجَدِّدَ مَعَ رَبِّي عَهْدًا ، وَهَذَا كِتَابُ وَصِيَّتِهِ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْقَادِرِ الْيُوسُفِيُّ ، وَهِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَا : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْقَطِيعِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ

(١) فى الاصل : « الأصب »

لَيلَتَيْنِ وَلَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » .

وَأَخبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ ، زَاهِرُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ ، أَخبَرَنَا أَبُو عُثْمَانَ سَعْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَحِيرِيُّ ، أَخبَرَنَا أَبُو الْخَيْرِ الْحَنْبَلِيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَقِيلٍ قَالَا : أَخبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصِ بْنِ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا إِسْحٰقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَصِيُّ ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي ذِئْبٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ــ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ لَمْ يُحْسِنِ الْوَصِيَّةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ، كَانَ نَقْصاً فِي مُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ » قِيلَ : وَكَيْفَ يُوصِي ؟ قَالَ : يَقُولُ :

« اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ، إِنِّي أَعْهَدُ (١) إِلَيْكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً

(١) يقال : عهد إليه فى الأمر : تقدم ، ومنه فى سورة يس : « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم »

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ ، وَالْحِسَابَ وَالْقَدَرَ حَقٌّ ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا وَصَفْتَ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ كَمَا شَرَعْتَ ، وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا حَدَّثْتَ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا أَنْزَلْتَ ، جَزَى اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ ، وَحَيَّا مُحَمَّدًا مِنَّا بِالسَّلَامِ :

« اللَّهُمَّ يَا عُدَّتِي[1] عِنْدَ كُرْبَتِي ، وَيَا صَاحِبِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَيَا وَلِيَّ نِعَمِي ، إِلَهِي وَإِلَهَ آبَائِي ، لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي أَقْرُبْ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَتَبَاعَدْ مِنَ الْخَيْرِ ، فَآنِسْنِي فِي قَبْرِي مِنْ وَحْشَتِي ، وَاجْعَلْ لِي عَهْدًا يَوْمَ أَلْقَاكَ » .

ثُمَّ يُوصِي بِحَاجَتِهِ . وَتَصْدِيقُ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ ، « لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ[2] إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا » فَهَذَا

---

(١) العدة : ما أعددته لحوادث الدهر ، من المال والسلاح ، والمراد : يا من أعتمد عليه ، وأستعين به عند المصائب (٢) فى الاصل : « لا تنفع الشفاعة » وما أثبتناه نص الكتاب

عَهْدُ الْمَيِّتِ . وَهَذِهِ وَصِيَّتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .
وَنَقَلْتُهَا مِنْ خَطِّهِ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ ، طَوْعاً فِي صِحَّةِ عَقْلِهِ وَبَدَنِهِ ، وَجَوَازِ أَمْرِهِ ، أَوْصَى وَهُوَ يَشْهَدُ « أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ[1] مِنَ الذُّلِّ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ « أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ[2] عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً ، وَيَشْهَدُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالنَّارَ حَقٌّ ، وَالْبَعْثَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ[3] فِيهَا ، وَأَنَّ

---

(١) الولى : كل من ولى أمر واحد ، فهو وليه (٢) ليظهره : ليبينه وينصره على جميع الأديان وقد فعل ما أسطع هذا وأبينه إلا من طمست بصيرته !! عبد الخالق

(٣) لا ريب : لا شك ولا تهمة

اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى القُبُورِ » وَأَنَّهُ جَلَّ وَعَزَّ جَامِعُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِى[1] ، وَيَنفُذُهُمُ[2] البَصَرُ ، وَيَشْهَدُ أَنَّ صَلَاتَهُ وَنُسُكَهُ ، وَمَحْيَاهُ وَمَمَاتَهُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرَ[3] وَهُوَ مِنَ المُسْلِمِينَ ، وَأَنَّهُ رَضِىَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ، وَبِالقُرْآنِ إِمَاماً ، وَبِالمُؤْمِنِينَ إِخْوَاناً ، وَأَنَّهُ يَدِينُ[4] لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَذْهَبِ أَصْحَابِ الحَدِيثِ ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِجَمِيعِ كُتُبِهِ المُنَزَّلَةِ ، وَأَسْمَائِهِ الحُسْنَى ، وَكَلِمَاتِهِ

---

(١) الداعى : من يدعو الناس إلى الحشر . (٢) وينفذهم البصر : قيل معناه — ينفذ بصر الرحمن حتى يأتى عليهم كلهم — قال الكسائى : تفذنى بصره ينفذنى : أى بلغنى وجاوزنى — وقيل معناه : ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد

(٣) فى العهاد « أمرت وأنا أول المسلمين » ويرى أن الرواية هنا أوفق لان الاولية فى الاسلام ليست إلا للرسول ، فهى متبعة عند التلاوة مستبدل بها ما يناسب القول عند إظهار الخضوع « عبد الخالق » (٤) يدين لله . أى يتعبد — والدين عند العلماء ، وضع إلهى سائق ذوى العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح فى الحال ، والفلاح فى المآل — وهذا يشمل العقائد والاعمال .

التَّامَّاتِ ، وَجَمِيعِ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ أَنْ[1] يُحْيِيَهُ عَلَى ذَلِكَ حَيًّا ، وَيُمِيتَهُ عَلَى ذَلِكَ إِذَا تَوَفَّاهُ ، وَأَنْ يَبْعَثَهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَأَوْصَى نَفْسَهُ وَخَاصَّتَهُ وَقَرَابَتَهُ ، وَمَنْ سَمِعَ وَصِيَّتَهُ بِتَقْوَى اللهِ ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ فِي الْعَابِدِينَ ، وَيَحْمَدُوهُ فِي الْحَامِدِينَ ، وَيَذْكُرُوهُ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَلَا يَمُوتُنَّ إِلَّا وَهُمْ مُسْلِمُونَ ، وَأَوْصَى إِلَى الشَّيْخِ أَبِي مَسْعُودٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَازِنِ فِي جَمِيعِ تَرِكَتِهِ ، وَمَا يُخَلِّفُهُ بَعْدَهُ ، وَفِي قَضَاءِ دُيُونِهِ ، وَاقْتِضَاءِ دُيُونِهِ[2] وَإِنْفَاذِ وَصَايَاهُ ، وَذَكَّرَهُ فِي ذَلِكَ بِتَقْوَى اللهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ ، وَحَذَّرَهُ أَنْ يُبَدِّلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ يُغَيِّرَهُ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : « فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ، إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

وَكَتَبَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ مُوصِيهَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ

---

(١) سقط من الاصل « أن » (٢) يقال . تقى الغريم دينه : أداه ، واقتضى منه حقه اقتضاء : أخذه وطلبه منه

الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَطَّارِ ، فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاء السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ قَبْضَ رُوحِ الشَّيْخِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قَالَ : كُنَّا قُعُوداً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَكُنَّا نُحِبُّ أَنْ نُلَقِّنَهُ كَلِمَةَ الشَّهَادَةِ رِعَايَةً لِلسُّنَّةِ ، وَمَعَ هَذَا كُنَّا نَخْشَى مِنْ هَيْبَتِهِ ، وَنَحْذَرُ سُوءَ الْأَدَبِ ، فَبَقِينَا مُتَحَيِّرِينَ حَتَّى قُلْنَا لِلرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخِ : اقْرَأْ أَنْتَ سُورَةَ يس . فَرَفَعَ الرَّجُلُ صَوْتَهُ يَقْرَأُ السُّورَةَ ، وَكُنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِ وَنُرَاقِبُ حَالَهُ ، فَدَهِشَ الْقَارِئُ وَأَخْطَأَ فِي الْقِرَاءَةِ ، فَفَتَحَ الشَّيْخُ عَيْنَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَسُرِرْنَا بِذَلِكَ وَحَمِدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ جِيءَ إِلَيْهِ بِقَدَحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَاءِ ، وَوُضِعَ الْقَدَحُ عَلَى شَفَتِهِ ، فَوَلَّى وَجْهَهُ وَرَدَّ الْقَدَحَ بِفِيهِ ، وَفَتَحَ عَيْنَهُ وَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، رَافِعاً بِهَا صَوْتَهُ وَفَاضَتْ نَفْسُهُ — رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ

وَأَرْضَاهُ ، وَجعَلَ أَعْلَى الْجِنَانِ مَأْوَاهُ — . وَكَانَ ذَلِكَ قُبَيْلَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ [١] لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ، التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، عَامَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ [٢] ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْإِمَامُ رُكْنُ الدِّينِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ ، الْقَائِمُ مَقَامَهُ ، وَخَلِيفَتُهُ عَلَى أَوْلَادِهِ ، وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ . — رَحِمَهُ اللهُ — .

وَالْكِتَابُ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى مَنَاقِبِهِ ، كِتَابٌ ضَخْمٌ جَلِيلٌ . وَإِنَّمَا كَتَبْتُ هَـذِهِ النُّبْذَةَ [٣] لِيُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى فَضْلِهِ وَمَرْتَبَتِهِ — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ — ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

---

(١) العشاء الآخرة . وقت العشاء — وقالوا . العشاءان ، المغرب والعتمة

(٢) سنة ٥٩٩ هذه رواية العماد ، وفى الاصل : سنة ٩٦٧

(٣) النبذة : الناحية . يقال : جلس فلان نبذة أى ناحية ، وربما استعملت النبذة للقطعة من الشيء على حدة ، كالنبذة من الكتاب ، والجمع نبذ

﴿ ٣ — اَلْحَسَنُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي عَبَّادٍ ﴾
﴿ اَلْيَمَنِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

الحسن بن اسحاق اليمنى

مِنْ وُجُوهِ [(١)] الْيَمَنِ ، كَانَ يَصْحَبُ الْفَقِيهَ يَحْيَى بْنَ أَبِي الْخَيْرِ ، وَعَمُّهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَبَّادٍ نَحْوِيٌّ أَيْضاً يُذْكَرُ فِي مَوْضِعِهِ . وَصَنَّفَ الْحَسَنُ هَذَا مُخْتَصَراً فِي النَّحْوِ مَشْهُوراً بِالْيَمَنِ ، يَقْرَؤُهُ الْمُبْتَدِئُونَ ، وَهُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ ، تُقَارِبُ وَفَاتُهُ سَنَةَ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَهُوَ الْقَائِلُ :

لَعَمْرُكَ مَا اللَّحْنُ مِنْ شِيمَتِي
وَلَا أَنَا مِنْ خَطَإٍ أَلْحَنُ

---

(١) وجوه اليمن : أشرافهم

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢١٨ بما يأتى :

الحسن بن إسحاق ، أبو محمد اليمنى ، يعرف بابن أبى عباد ، وهي كنية أبيه . قال الخزرجى : إمام النحاة فى قطر اليمن ، كانت الرحلة فى علم النحو إليه ، وإلى ابن أخيه إبراهيم ، وكان الحسن هذا فاضلا مشهورا ، وصنف مختصرا فى النحو ، يدل على فضله ومعرفته ، وفيه بركة ظاهرة ، يقال إن سببها أنه ألفه تجاه الكعبة ، وكان كلما فرغ من باب طاف أسبوعاً ودعا لقارئه ، وكان موجودا فى أوائل المائة الخامسة .

وله ترجمة أخرى فى كتاب أنباه الرواة ، صفحة ٢٧١

وَلَـكِنَّنِي قَدْ عَرَفْتُ الأَنَا
مَ نَخَاطَبْتُ كُلاًّ بِمَا يُحْسِنُ

﴿ ٤ — الْحَسَنُ بْنُ أَسَدِ بْنِ الْحَسَنِ الْفَارِقُ * ﴾

الحسن الفارق

أَبُو نَصْرٍ ، شَاعِرٌ رَقِيقُ (١) الْحَوَاشِي ، مَلِيحُ النَّظْمِ ، مُتَمَكِّنٌ مِنَ الْقَافِيَةِ ، كَثِيرُ التَّجْنِيسِ (٢) ، قَلَّمَا يَخْلُو لَهُ

---

(١) يقال : عيش رقيق الحواشي : ناعم رغيد ، وصاحبه منعم . ومن هنا يشبه الشعر بالعيش الناعم إذا دخل الأسماع من غير استئذان .

(٢) الجناس أو التجنيس عند علماء البديع : هو تشابه الكلمتين فى اللفظ فقط مع المماثلة التامة أوبدونها قليلا ، وهو من المحسنات اللفظية

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج أول صفحة ٢٥٤

هو معدن الأدب ، ومنبع كلام العرب ، فاضل مكانه ، وعلامة زمانه ، له النثر الرائع ، والنظم الذائع ، والنحو المعرب ، عن مشكل الاعراب . وله التصنيف البديع فى شرح اللمع إلى غير ذلك ، مما ليس لأديب فى مثله طمع ، كان فى زمان نظام الملك الحسن بن إسحاق الطوسى الوزير والسلطان ملك شاه ، وكان مستولياً على آمد فى ديوانها ، متولياً لجباية أموالها ، وقبض عليه وصودر ، وتوسط الطبيب الكامل فى خلاصه ، والتنبيه على مكانته من الفضل ، وشعره سائر فى الآفاق ، تتناشده الرفاق

أخبرنا أبو طاهر السلفى فى إجازته العامة ، أنشدنى أبو الحسن على بن السند الفارقى الشروطى بميافارقين . أنشدنا أبو نصر الحسن بن أسد الفارق النحوى لنفسه :

يا من هواه بقلبي مقداره ما يحد

وجدت له ما صورته :

الحسن بن أسد ، بن الحسن ، أبو نصر الفارق ، النحوى الشاعر ، من أهل ميا فارقين ، وكان ذا أدب غزير ، وفضل كثير ، وله كتاب شرح اللمع ، أجاد فيه وزاد ، وأورد زائدا عن المراد ، واذا أنعم الناظر فيه النظر ، وجده قد شرح كلام ابن جنى —

بَيْتٌ مِنْ تَصْنِيعٍ (١) وَإِحْسَانٍ وَبَدِيعٍ . كَانَ فِي أَيَّامِ نِظَامِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ مَلِكْشَاه ، وَشَمِلَهُ مِنْهُمَا الْجَاهُ (٢) ، تَخَلَّصَهُ الْكَامِلُ الطَّبِيبُ (٣) فِي أَيَّامِ (٤) نِظَامِ الْمُلْكِ ، بَعْدَ

— المجموع بكلام المبسوط ، وأوجز فى العبارة ، حتى صار كالاشارة ، وإذا أردت تحقيق هذا فانظر كلامه فيه على الكلام والقول تجده قد اختار ما ورد فى صدر كتاب الخصائص ، وإذا نظرت الى كلامه فى العوامل، وجدته قد اختار الكلام على الحروف فى سر الصناعة ، ومن أين لابن أسد، فى ميا فارقين ، الا ما ينقله من كتب المصنفين . وانما هي من تصنيف أبى سعيد ، وبعض تصانيف ابن جنى ، وليس ذلك بقليل ، فانه نقل شرح أبى سعيد بخطه وهو فيما بلغنى وقف بخزانة جامع ميا فارقين، وكان فى زمن نظام الملك وملك شاه ، قد تولى الديوان بآمد ، وأساء التدبير فيه ، لكهولته وتداخله خفق معه ، واعتقل ، الى أن شفع فيه طبيب كان حظيا بحضرة ملك شاه ، فأطلق سراحه ، وانتقل إلى ميا فارقين ، وقد باضت الرياسة فى رأسه ، وفرخت ، وجرت بميا فارقين حركة جلب لأجلها متولٍّ من قبل السلطان ، فاجتمع أهل المدينة على من يولونه ، واجتمع رأيهم على رجل من بيت آل نباتة الخطباء ، ليتولى الاصلاح بين متخاصمين ، فأقام أياماً ، ثم رأى الامر لا يستقر على ما هو عليه ، فاعتزل الأمر ولزم منزله ، فتهيأ لها ابن أسد الفارق ، فنزل القصر بها ، وحكم وما أحكم ، وجرت أحوال قضت له بالانفصال على غير جميل ، وخاف سطوة السلطان ، فخرج عنها إلى —

(١) صناعة التنويع عند البديعيين ، أن يذكر المتكلم موصوفاً ، ثم يفرع عليه فى فى التشبيه أنواعاً متعددة كقول الشاعر :

وإذا تنقى نور شعرك ناضرا ... فالحسن بين مرصع ومصرع
كالزهر أو كالسحر أو كالبدر أو ... كالوشى فى برد عليه موشع

(٢) يظهر أن المراد بالجاه السطوة والاستبداد

(٣) الطبيب فى الاصل : لم تذكر ، ولكنها ذكرت فى بغية الوعاة فزدناها لذلك

(٤) كان ابو سالم الطبيب مستولياً على آمد فى أيام ناصر الدولة . فلعل جملة « تخلصه الكامل الطبيب » موضعها « بعد الجاه » كما ذكرناها

أَنْ قَبَضَ عَلَيْهِ وَأَسَاءَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مُسْتَوْلِياً عَلَى آمِدَ وَأَعْمَالِهَا ، مُسْتَبِدًّا بِاسْتِيفَاء أَمْوَالِهَا . وَكَانَ نَحْوِيًّا

— حلب وأقام مدة ، ثم حمله حب الرياسة والوطن ، فعاد طالباً لها ، ولما حصل بحران ، قبض عليه نائب السلطان وشنقه .

ومن أعجب ما اتفق ، أنه قال عند عزمه على المسير من حلب أبياتاً كانت طيرة عليه ، وهي :

لو ان قلبك لما قيل قد بانوا يوم النوى صخره صماء صوان

لعيل صبرك مغلوباً ونم بما أخفيته مدمعاً للسر صوان

زجرت أشياء فى أشياء تشبهها إذ ينهن رضاعات وألبان

فقال لى الطلح يوم طالح ونوى وحقق البين عندى ما وأى البان

واستحلبت حلب جفنى فأنحلبا وبشرتنى بحز القتل حزان

فالجفن من حلب ما انفك من حلب والقلب بعدك من حران حران

وكان قتله بحران ، فى شهور سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وله أشعار كثيرة ومقطعات يعتمد فى أكثرها التجنيس ، الى أن صار له بذلك أنسة تامة ، وعناية عامة ، وله كتاب فى الألغاز مشهور ، وكان عزباً مدة عمره يكره النسل ، ومما يحكى من لوثته : أنه كان اذا رأى صغيرا قد لبس ، وزين واجتيز به عليه ، يبالغ فى سب أبويه ويقول : هما عرضاه لى يرغبانى فى مثله . ومن لوثته أيضا ما حكى عنه أهل بلده ، وهو أنه كان يجلس فى دهليز له إلى جانب شباك يشرف على الطريق المسلوك ، فسمع ليلة رجلا سكران ينشد نصف بيت من الكان وكان وهو .

غسلت له فتركت له ما جاء إلى ولا التفت

وانتظر ابن أسد إتمام البيت فلم يتمه ، وسار فى قصده ، فخرج ابن أسد يخب فى الطين والظلمة والمزاريب على رأسه ، وهو يسير خلفه يسمع تمام البيت ، فسار طويلا واتفق أن السكران زلق ووقع ، فقال عند وقوعه :

مشى يعجب وخطوه زلق وقع فى الطين

فقال له : يا ظالم ، كنت قلت هذا من قريب ، ثم رجع . يريد أن يقول : إن الذى قلته ليس بشىء : ليتنى ما تعبت ، ولا تحملت ما تحملت . « عبد الخالق »

رَأْساً[1] وَإِمَاماً فِى اللُّغَةِ يُقْتَدَى بِهِ . وَصَنَّفَ فِى الْآدَابِ تَصَانِيفَ تَقُومُ لَهُ مَقَامَ شَاهِدَىْ عَدْلٍ بِفَضْلِهِ ، وَعِظَمِ قَدْرِهِ . مِنْهَا : كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ كَبِيرٌ كِتَابُ الْإِفْصَاحِ فِى شَرْحِ أَبْيَاتٍ مُشْكِلَةٍ .

حَدَّثَنِى الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُوَفَّقُ الدِّينِ أَبُو الْبَقَاءِ يَعِيشُ ابْنُ عَلِىِّ بْنِ يَعِيشَ النَّحْوِىُّ قَالَ : حَدَّثَنِى قَاضِى عَسْكَرِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِىٍّ قَالَ : قَدِمَ عَلَى ابْنِ مَرْوَانَ صَاحِبِ دِيَارِ بَكْرٍ شَاعِرٌ مِنَ الْعَجَمِ يُعْرَفُ بِالْغَسَّانِىِّ . وَكَانَ مِنَ عَادَةِ ابْنِ مَرْوَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ شَاعِرٌ يُكْرِمُهُ وَيُنْزِلُهُ ، وَلَا يَجْتَمِعُ بِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ سَفَرِهِ ، وَيُصْلِحَ شِعْرَهُ ، ثُمَّ يَسْتَدْعِيَهُ . وَاتَّفَقَ أَنَّ الْغَسَّانِىَّ لَمْ يَكُنْ أَعَدَّ شَيْئاً فِى سَفَرِهِ ، ثِقَةً بِقَرِيحَتِهِ ، فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِعَمَلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ يُسْتَدْعَى وَلَا يَلِيقُ أَنْ يَلْقَى الْأَمِيرَ بِغَيْرِ مَدِيحٍ ، فَأَخَذَ

(١) نحو يا رأسا : أى رئيساً فى علم النحو

قَصِيدَةً مِنْ شِعْرِ ٱبْنِ أَسَدٍ لَمْ يُغَيِّرْ فِيهَا إِلَّا ٱسْمَهُ [١] .

وَعَلِمَ ٱبْنُ مَرْوَانَ بِذَلِكَ ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : يَجِيءُ هَذَا الْعَجَمِيُّ فَيَسْخَرُ مِنَّا ؟ ثُمَّ أَمَرَ بِمُكَاتَبَةِ ٱبْنِ أَسَدٍ ، وَأَمَرَ أَنْ يَكْتُبَ الْقَصِيدَةَ بِخَطِّهِ وَيُرْسِلَهَا إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ ، فَأَنْهَى [٢] الْقَضِيَّةَ إِلَى الْغَسَّانِيِّ وَكَانَ هَذَا بِآمِدَ .

وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ جَلْدٌ [٣] فَكَتَبَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى ٱبْنِ أَسَدٍ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : إِنِّي قَدِمْتُ عَلَى الْأَمِيرِ ، فَأُرْتِجَ [٤] عَلَيَّ قَوْلُ الشِّعْرِ مَعَ قُدْرَتِي عَلَيْهِ ، فَادَّعَيْتُ قَصِيدَةً مِنْ شِعْرِكَ ٱسْتِحْسَانًا لَهَا وَعَجَبًا بِهَا ، وَمَدَحْتُ بِهَا الْأَمِيرَ . وَلَا أُبْعِدُ أَنْ تُسْأَلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ سُئِلْتَ فَرَأْيُكَ الْمُوَفَّقُ فِي الْجَوَابِ .

فَوَصَلَ غُلَامُ الْغَسَّانِيِّ قَبْلَ كِتَابِ ٱبْنِ مَرْوَانَ ، فَجَحَدَ ٱبْنُ أَسَدٍ أَنْ يَكُونَ عَرَفَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، أَوْ وَقَفَ عَلَى قَائِلِهَا

(١) لعله سقط من الكلام جملة : وعلم الخ وقد جئنا بها لينتظم القول .

(٢) انهى اليه الخبر : أبلغه اليه فانتهى إليه وتناهي : أى بلغ

(٣) رجل جلد : أى صلب قوى : من الجلد والجلادة ، أى الصلابة

(٤) أرتج عليه : على ما لم يسم فاعله : أى لم يقدر على الكلام أو القراءة من أرتج الباب ، أغلقه

قَبْلَ هذَا . فَلَمَّا وَرَدَ الْجَوَابُ عَلَى ابْنِ مَرْوَانَ ، عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَأَسَاءَ إِلَى السَّاعِي وَشَتَمَهُ وَقَالَ : إِنَّمَا قَصَدْتُكُمْ فَضِيحَتِي بَيْنَ الْمُلُوكِ ، وَإِنَّمَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى هذَا الْفِعْلِ الْحَسَدُ مِنْكُمْ لِمَنْ أُحْسِنُ إِلَيْهِ ؟ ثُمَّ زَادَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَسَّانِيِّ ، وَانْصَرَفَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَلَمْ يَمْضِ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مُدَيْدَةٌ [١] حَتَّى اجْتَمَعَ أَهْلُ مَيَّافَارِقِينَ إِلَى ابْنِ أَسَدٍ ، وَدَعَوْهُ إِلَى أَنْ يُؤَمِّرُوهُ [٢] عَلَيْهِمْ ، وَيُسَاعِدُوهُ عَلَى الْعِصْيَانِ ، وَإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ لِلسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهَ وَحْدَهُ ، وَإِسْقَاطِ اسْمِ ابْنِ مَرْوَانَ مِنَ الْخُطْبَةِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ مَرْوَانَ ، فَحَشَدَ لَهُ وَنَزَلَ عَلَى مَيَّافَارِقِينَ مُحَاصِراً فَأَعْجَزَهُ أَمْرُهَا ، فَأَنْفَذَ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ يَسْتَمِدُّهُمَا [٣] ، فَأَنْفَذَا إِلَيْهِ جَيْشاً وَمَدَداً مَعَ الْغَسَّانِيِّ الشَّاعِرِ الْمَذْكُورِ آنِفاً ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ عِنْدَ نِظَامِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ ، وَصَارَ مِنْ أَعْيَانِ

(١) مديدة تصغير مدة : وهي المدة القصيرة (٢) أن يؤمروه : أي يجعلوه أميرا عليهم يتولى شؤونهم (٣) يستمدهما : يطلب منهما مددا

الدَّوْلَةِ ، وَصَدَقُوا فِى الزَّحْفِ عَلَى الْمَدِينَـةِ. حَتَّى أَخَذُوهَا عَنْوَةً ، وَقُبِضَ عَلَى ابْنِ أَسَدٍ ، وَجِيءَ بِهِ إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَامَ الْغَسَّانِىُّ وَشَدَّدَ الْعِنَايَةَ فِى الشَّفَاعَةِ فِيهِ ، فَامْتَنَعَ ابْنُ مَرْوَانَ امْتِنَاعاً شَدِيداً مِنْ قَبُولِ شَفَاعَتِهِ. وَقَالَ : إِنَّ ذَنْبَهُ وَمَا اعْتَمَدَهُ مِنْ شَقِّ الْعَصَا ، يُوجِبُ أَنْ يُعَاقَبَ عُقُوبَةَ مَنْ عَصَى ، وَلَيْسَ عُقُوبَةٌ غَيْرُ الْقَتْـلِ . فَقَالَ : بَيْنِي وَبَيْنَ هَـذَا الرَّجُلِ مَا يُوجِبُ قَبُولَ شَفَاعَتِي. فِيهِ ، وَأَنَا أَتَـكَفَّلُ بِهِ أَلَّا يَجْرِىَ مِنْهُ بَعْدُ شَيْءٌ يُـكْرَهُ . فَاسْتَحْيَى مِنْهُ وَأَطْلَقَهُ لَهُ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ الْغَسَّانِىُّ وَقَالَ لَهُ : أَتَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : لَا وَاللهِ ، وَلَـكِنَّنِي أَعْرِفُ أَنَّكَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ ، مَنَّ اللهُ بِكَ عَلَيَّ لِبَقَاءِ مُهْجَتِي [1] . فَقَالَ لَهُ : أَنَا الَّذِى ادَّعَيْتُ قَصِيدَتَكَ وَسَتَرْتَ عَلَيَّ ، وَمَا جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَقَـالَ ابْنُ أَسَدٍ : مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِقَصِيدَةٍ جُحِدَتْ فَنَفَعَتْ صَاحِبَهَا

(١) أى روحى — والمهجة : الدم ، وقيل : دم القلب خاصة ، والمراد هنا : بقاء حياتى

أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهَا إِذَا أُدَّعَاهَا غَيْرَ هَذِهِ . ـ فَجَزَاكَ اللهُ عَنْ مُرُوءَتِكَ خَيْراً ـ ، وَانْصَرَفَ الْغَسَّانِيُّ مِنْ حَيْثُ جَاءَ .

وَأَقَامَ ابْنُ أَسَدٍ مُدَّةً سَاءَتْ حَالُهُ ، وَجَفَاهُ إِخْوَانُهُ ، وَعَادَاهُ أَعْوَانُهُ ، وَلَمْ يُقْدِمْ أَحَدٌ عَلَى مُقَارَبَتِهِ وَلَا مُرَافَدَتِهِ (١) ، حَتَّى أَضَرَّ بِهِ الْعَيْشُ ، فَعَمِلَ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا ابْنَ مَرْوَانَ ، وَتَوَصَّلَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَقَفَ ابْنُ مَرْوَانَ عَلَيْهَا غَضِبَ وَقَالَ : مَا يَكْفِيهِ (٢) أَنْ يَخْلُصَ مِنَّا رَأْساً بِرَأْسٍ ، حَتَّى يُرِيدَ مِنَّا الرِّفْدَ وَالْمَعِيشَةَ ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي بِنَفْسِهِ ، فَاذْهَبُوا بِهِ فَاصْلُبُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَلَبُوهُ ، ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ .

وَمِنْ شِعْرِ الْحَسَنِ بْنِ أَسَدٍ الْفَارِقِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ :

بِنْتُمْ فَمَا كَحَلَ الْكَرَى (٣)
لِي بَعْدَ وَشْكِ (٤) الْبَيْنِ عَيْنَا

(١) مرافدته : أي معاونته ومساعدته ، من الارفاد ، وهو الاعانة والاعطاء

(٢) في العماد : « ما يكفيه » ، وفي الاصل : « لا يكفيه » (٣) في الاصل = « الثرى » (٤) وشك البين : سرعة الفراق والعين هنا العضو المعروف

وَلَقَدْ غَدَا[١] كَلَفِى بِكُمْ

أُذُنًا عَلَىَّ لَكُمْ وَعَيْنَا[٢]

فَأَسَلْتُ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ

مِنْ نَاظِرِى بِالدَّمْعِ عَيْنَا[٣]

فَحَكَتْ مَدَامِعُهَا الْغِزَا

رُ مِنَ الْغُيُومِ الْغُرِّ عَيْنَا[٤]

جَادَتْ عَلَى أَثَرٍ شَفَى

عَيْنًا[٥] لَهُمْ لَمْ تَلْقَ عَيْنَا[٦]

مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ التَّرَا

ئِبِ[٧] سَهْلَةِ الْخَدَّيْنِ عَيْنَا[٨]

---

(١) غدا : أى صار ، وكلفى : أى حبى لكم حبا شديدا

(٢) أى رقيب (٣) أى عين الماء (٤) أى السحاب

(٥) أى أقر عيناً من الشفاء بالنظر ، ولهم راجع لأثر ، وضمير لهم راجع للاحبة

(٦) أى الانسان (٧) الترائب : عظام الصدر ، جمع تريبة

(٨) أى « واسعة العينين » وأصلها عيناء بالمد قصرت للشعر

غَرَّاءُ تَحْسَبُ وَجْهَهَا
لِلشَّمْسِ حِينَ تَرَاهُ عَيْنَا (١)

أَمْسَيْتُ فِي حُبِّى لَهَا
عَبْدًا أُضَامُ وَكُنْتُ عَيْنَا (٢)

لَا قَرَّ رَكْبُهُ (٣) بِالرَّكَا
ئِبِ إِذْ بِهِنَّ سَرَيْنَ عَيْنَا (٤)

غَاظَ (٥) الْحَسُودَ لَنَا الْوِصَا
لُ فَلَا — رَعَاهُ اللهُ — عَيْنَا (٦)

فَذَمَمْتُ حَرْفًا عَايَنَتْ
عَيْنَايَ فِي أُولَاهُ عَيْنَا (٧)

(١) أى شعاعا فمن معانى العين شعاع الشمس (٢) أى سيداً

(٣) فى الاصل : « ولا حركت ركب بالركاب » وأصلحت إلى ما ترى

(٤) أى جماعة (٥) فى الاصل : « غار » وفى العماد : « طاب » ولا رعاه الله ، جملة دعائية تقال فى الذم ، أى لا حفظه الله

(٦) يريد رعياً ، فالعين : الرعى ، من انابة إسم الذات عن المصدر

(٧) العين هنا : الحرف المعروف ، والحرف فى البيت : الكلمة ، وانما ذمه ، لأنه يذكره بالعين الذى هو الرقيب « عبد الخالق »

كَانَتْ تُنَاصِفُنَا[١] بِصًا

فِى الْوُدِّ لَا وَرِقًا وَعَيْنَا[٢]

لَهْفِى[٣] وَقَدْ أَبْصَرْتُ فِى

مِيزَانِ ذَاكَ الْوَصْلِ عَيْنَا[٤]

كَمْ مِنْ أَخٍ فِينَا وَعَى

مَا لَمْ نَكُنْ فِيهِ وَعَيْنَا[٥]

وَمُصَاحِبٍ صَنَّفْتُ فِى

غَدَرَاتِهِ لِلْعَيْنِ عَيْنَا[٦]

وَقَالَ فِى الشَّمْعَةِ :

وَنَدِيمَةٍ[٧] لِى فِى الظَّلَامِ وَحِيدَةٍ

مِثْلِى مُجَاهِدَةٍ كَمِثْلِ جِهَادِى

---

(١) تناصفنا : أى تقاسمنا . والورق : الفضة (٢) أى ذهب (٣) لهفى : كلمة يتحسر بها على ما فات (٤) أى نقصان (٥) أى سمعنا (٦) يريد : ورب صاحب كثير الغدر ، صنعت فى أفعاله عيناً آخر ، أى كتاباً آخر مثل كتاب العين للخليل « عبد الخالق » (٧) النديم والنديمة : المنادم على الشرب ، أو الرفيق والصاحب ، من المنادمة ، والجمع ندام ، وندماء ، وندمان .

فَاللَّوْنُ لَوْنِي ، وَالدُّمُوعُ كَأَدْمُعِي

وَالْقَلْبُ قَلْبِي ، وَالسُّهَادُ سُهَادِي

لَا فَرْقَ فِيمَا بَيْنَنَا لَوْ لَمْ يَكُنْ

لَهَبِي خَفِيًّا وَهْوَ مِنْهَا بَادِي

وَلَهُ أَيْضًا :

أَرِيقًا مِنْ رُضَابِكَ[1] أَمْ رَحِيقَا

رَشَفْتُ فَلَسْتُ مِنْ سُكْرِي مُفِيقَا

وَلِلصَّهْبَاءِ أَسْمَاءٌ وَلَكِنْ

جَهِلْتُ بِأَنَّ فِي الْأَسْمَاءِ رِيقَا

حَمَتْنِي عَنْ حُمَيَّا[2] الْكَأْسِ نَفْسٌ

إِلَى غَيْرِ الْمَعَالِي لَنْ تَتُوقَا

وَمَا تَرْكِي لَهَا شُحٌّ وَلَكِنْ

طَلَبْتُ فَمَا وَجَدْتُ لَهَا صَدِيقَا

---

(١) الرضاب : الريق المرشوف . والرشف : المص بالشفتين . والرحيق : الخمر . ومفيق ، من أفاق السكران من سكره : صحا (٢) الحميا : سورة الخمر ، والخمر نفسها ، ومن كل شيء : شدته وأوله . يقال : هو شديد الحميا : أى عزيز النفس أبى

وَلَهُ أَيْضاً :

وَإِخْوَانٍ بَوَاطِنُهُمْ قِبَاحٌ
وَإِنْ كَانَتْ ظَوَاهِرُهُمْ مِلَاحَا[(١)]

حَسِبْتُ مِيَاهَ وُدِّهِمُ عِذَاباً[(٢)]
فَلَمَّا ذُقْتُهَا كَانَتْ مِلَاحَا

وَلَهُ أَيْضاً :

وَوَقْتٍ غَنِمْنَاهُ مِنَ الدَّهْرِ مُسْعِدٍ
مُعَارٍ[(٣)]، وَأَوْقَاتُ السُّرُورِ عَوَارِى

مَعَانِيهِ مِمَّا نَبْتَغِيهِ جَمِيعُهَا
كَوَاسٍ[(٤)] وَمِمَّا لَا نُرِيدُ عَوَارِى

أَدَارَ عَلَيْنَا الْكَاسَ فِيهِ ابْنُ أَرْبَعٍ
وَعَشْرٍ لَهُ بِالْكَاسِ أَىُّ مَدَارِ !

(١) ملاحا : جمع مليح أى حسن ، ويقال : ملح الشىء يملح من باب ظرف ، أى حسن ، فهو مليح وملاح (٢) عذابا : جمع عذب ، وهو الماء الطيب ، وبابه سهل وملاحا : جمع ملح ، وهو ضد العذب (٣) معار : من العارية : يقال : أعاره الشىء : أعطاه إياه عارية (٤) كواس : جمع كاسية ، والكاسى ذو الكسوة خلاف العارى — وهو مستعار لتحليه بالأخلاق والمحاسن وضروب الجمال مما يبتغيه المحب ، مع خلوه من كل ما يشينه

تَنَاوَلَهَا مِنْهُ بِكَفٍّ كَأَنَّمَا
أَنَامِلُهَا تَحْتَ الزُّجَاجِ مَدَارِى

وَلَهُ أَيْضاً :

تَيَّمَ (١) قَلْبِى شَادِنٌ أَغْيَدُ
مُلِّكَ (٢) فَالنَّاسُ لَهُ أَعْبُدُ
لَوْ جَازَ أَنْ يُعْبَدَ فِى حُسْنِهِ
وَظَرْفِهِ (٣) كُنْتُ لَهُ أَعْبُدُ

وَلَهُ أَيْضاً :

هَوِيتُ بَدِيعَ الْحُسْنِ لِلْغُصْنِ قَدُّهُ (٤)
وَلِلظَّبْىِ عَيْنَاهُ وَخَدَّاهُ لِلْوَرْدِ

---

(١) تيم من التيم بالفتح : وهو ذهاب العقل وفساده من الهوى . والشادن : الظبي إذا قوى واستغنى عن أمه. والأغيد : الناعم المتثنى ، ومنه الغادة ، المرأة اللينة البينة الغيد .

(٢) هكذا فى العماد ، وبالاصل : « يملك » وأعبد ، جمع عبد : ضد الحر ، والبيت كله على المجاز (٣) الظرف : الكياسة والعقل ، وأعبد ، فعل مضارع من العبادة

(٤) أى القامة والتقطيع

غَزَالٌ مِنَ الْغِزْلَانِ لَكِنْ أَخَافُهُ
وَإِنْ كُنْتُ مِقْدَاماً[١] عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ

وَلَهُ أَيْضاً :

وَلَرُبَّ دَانٍ مِنْكَ يُكْرَهُ قُرْبُهُ
وَتَرَاهُ وَهُوَ عَنَاءُ[٢] عَيْنِكَ وَالْقَذَى
فَاعْرِفْ وَخَلِّ مُجَرِّباً[٣] هٰذَا الْوَرَى
وَاتْرُكْ لِقَاءَكَ ذَا كَفَافاً وَالْقَ ذَا

وَلَهُ أَيْضاً :

أَيَا لَيْلَةً زَارَ فِيهَا الْحَبِيبُ
أَعِيدِى لَنَا مِنْكِ وَصْلًا وَعُودِى
فَإِنِّى شَهِدْتُكِ مُسْتَمْتِعاً
بِهِ بَيْنَ رَنَّةِ نَايٍ وَعُودِ

---

(١) المقدام والمقدامة : الرجل الكثير الاقدام على العدو . والورد : الجرى . والورد أيضاً الأسد فيكون توكيداً بالمرادف (٢) وفى الاصل : « غشاء » وفى العماد : « عنا » (٣) مجربا حال فهو يقول : اعرف وتخل حال كونك مجربا وهكذا كفافا من الشطر الثانى فيقول : اترك والق حال كونك معطياً المثل بالمثل

وَطِيبِ حَدِيثٍ كَزَهْرِ الرِّيَاضِ
تَضَوَّعَ[١] مَا بَيْنَ مِسْكٍ وَعُودِ

سَقَتْكِ الرَّوَاعِدُ[٢] مِنْ لَيْلَةٍ
بِهَا أَخْضَرٌ يَابِسٌ عَيْشِي وَعُودِي

وَفِي[٣] لِي بِوَعْدٍ وَلَا تُخْلِفِي
بِهِ إِخْلَافَ دَهْرٍ بِهِ فِي وَعُودِي

فَلَمَّا تَقَضَّيْتِ أَمْرَضْتِنِي
فَزُورِي مَرِيضَكِ يَوْماً وَعُودِي[٤]

وَلَهُ أَيْضاً :

يَا مَنْ حَكَى ثَغْرُهُ الدُّرَّ النَّظِيمَ[٥] وَمَنْ
تَخَالُ أَصْدَاغَهُ السُّودَ الْعَنَاقِيدَا

---

(١) تضوع : أى فاح وقوله : ما بين مسك وعود : المراد بالعود هنا : ضرب من الطيب يتبخر به (٢) وقوله : سقتك الرواعد : الخ : جمع راعدة : وهي السحابة ذات الرعد وقوله : إخضر يابس عودى الخ : يريد به الغصن بعد أن يقطع .

(٣) فى : فعل أمر من وفى يفى ، مسند إلى ياء المخاطبة ، من الوفاء بالوعد ، وقوله : فى وعودى جمع وعد : متعلق باخلاف (٤) وعودى من عاد المريض يعوده إذا زاره

(٥) النظيم : المنظوم المنسق ، والأصداغ جمع صدغ: وهو الشعر المتدلى على مابين العين والأذن وللانسان صدغان ـ والسود العناقيد ، من تقديم الصفة على الموصوف والعناقيد جمع عنقود :العنب . ولايخفى مافى هذا التشبيه من الجمال والوسامة وحسن الطلعة .

إِعْطِفْ عَلَى مُسْتَهَامٍ [١] ضُمَّ مِنْ أَسَفٍ
عَلَى هَوَاكِ وَفِي حَبْلِ الْعَنَا قِيدَا

وَلَهُ أَيْضاً :

بِنْتُمْ [٢] فَمَا لَحَظَ الطَّرْفُ الْوَلُوعُ بِكُمْ
شَيْئاً يُسَرُّ بِهِ قَلْبِي وَلَا لَمَحَا
فَلَوْ مَحَا فَيْضُ [٣] دَمْعٍ مِنْ تَكَاثُرِهِ
إِنْسَانَ عَيْنٍ إِذًا إِنْسَانَهُ لَمَحَا

وَلَهُ أَيْضاً :

أَيَا كَمْ أُعَانِي الْوَجْدَ فِي كُلِّ صَاحِبٍ
وَلَسْتُ أَرَاهُ لِي كَوَجْدِيَ وَاجِدَا

---

(١) المستهام : الذى ذهب فؤاده ، وخلب عقله من الحب أو غيره ، فهو مستهام الفؤاد . والعنا : المشقة وقصر الضرورة ، وقيدا : صيغة المجهول بمعنى انقاد أى صار منقاداً

(٢) بنتم : من البين ، وهو الفراق ـ ولحظه من اللحظ : وهو النظر بمؤخر العين . ولمح من اللمح : وهو النظر الخفيف . (٣) وفيض دمع : أى دمع كثير يفيض من كثرته . من إضافة الصفة إلى الموصوف يريد أن فيض الدمع إذا نجم منه ذهاب إنسان العين ، لكان ذلك الدمع ماحياً إنسان عينى

إِذَا كُنْتُ ذَا عُدْمٍ تَحَزَّبَ مُجَانِبٌ

وَتَلْقَاهُ لِي سِلْمًا إِذَا كُنْتُ وَاجِدَا

أُحَاوِلُ فِي دَهْرِي خَلِيلًا مُصَافِيًا

وَهَيْهَاتَ خِلاًّ صَافِيًا لَسْتُ وَاجِدَا (١)

وَلَهُ أَيْضًا :

بَعُدْتَ فَأَمَّا الطَّرْفُ مِنِّي فَسَاهِدٌ (٢)

لِشَوْقِي وَأَمَّا الطَّرْفُ مِنْكَ فَرَاقِدُ

فَسَلْ عَنْ سُهَادِي أَنْجُمَ اللَّيْلِ إِنَّهَا

سَتَشْهَدُ لِي يَوْمًا بِذَاكَ الْفَرَاقِدُ

قَطَعْتُكَ إِذْ أَنْتَ الْقَرِيبُ لِشِقْوَتِي

وَوَاصَلَنِي قَوْمٌ إِلَيَّ أَبَاعِدُ

فَيَا أَهْلَ وُدِّي إِنْ أَبَى وَعْدَ قُرْبِنَا

زَمَانٌ ، فَأَنْتُمْ لِي بِهِ إِنْ أَبَى عِدُوا (٣)

---

(١) فاعل هيهات مقدر : وخليلا مصافيا مفعول بواجدا التي هي خبر ليس «عبد الخالق»

(٢) ساهد : من السهاد وهو الأرق ، وضده راقد ـ والفراقد جمع فرقد ، والفرقدان : نجمان قريبان من القطب (٣) يا أحبائي : أنتم لي بدل الزمان ، فإن أبى أن يعدني بقربهم فعدوا ، فانظر أسلوب البيت وما فيه من شبه التعقيد «عبد الخالق»

وَلَهُ أَيْضاً :

لَا يَصْرِفُ الْهَمَّ إِلَّا شَدْوُ مُحْسِنَةٍ
أَوْ مَنْظَرٌ حَسَنٌ تَهْوَاهُ أَوْ قَدَحُ[(١)]

وَالرَّاحُ لِلْهَمِّ أَنْفَاهَا نُخُذْ طَرَفًا
مِنْهَا وَدَعْ أُمَّةً فِي شُرْبِهَا قَدَحُوا[(٢)]

بِكْرٌ تَخَالُ إِذَا مَا الْمَزْجُ[(٣)] خَالَطَهَا
سُقَاتَهَا أَنَّهُمْ زَنْدًا بِهَا قَدَحُوا

وَلَهُ أَيْضاً :

بَعُدْتَ فَقَدْ أَضْرَمْتَ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي
بِبُعْدِكَ نَاراً شَجْوُ قَلْبِي وَقُودُهَا

وَكَلَّفْتُ نَفْسِي قَطْعَ بَيْدَاءَ لَوْعَةً
تَـكِلُّ بِهَا هُوجُ[(٤)] الْمَهَارِى وَقُودُهَا

---

(١) القدح : الـكأس (٢) وقدحوا من القدح : وهو الطعن (٣) فى الاصل « ما المدح » وقدحوا الأخيرة من قدح الزند : إذا رام الإيراء به (٤) هوج : جمع هوجاء : وهى الناقة المسرعة ، كأن بها هوجا . وقوله : المهارى . جمع مهرية : وهي إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، وهى نجائب سريعة تسبق الخيل ، والقود جمع قوداء . وهى السهلة القياد. ولوعة مفعول لأجله لـكلف وجملة تـكل صفة اللوعة

وَلَهُ أَيْضاً :

تَجَلَّدْ عَلَى الدَّهْرِ وَاْصبِرْ لِكُلِّ مَا
عَلَيْكَ الإِلٰهُ مِنَ الرِّزْقِ أَجْرَى [١]
وَلَا يُسْخِطَنَّكَ صَرْفُ الْقَضَاء
فَتَعْدَمَ إِذْ ذَاكَ حَظًّا [٢] وَأَجْرَا
فَمَا زَالَ رِزْقُ اْمرِىءٍ طَالِبٍ
بَعِيداً إِلَيْهِ دُجَى اللَّيْلِ يُسْرَى [٣]
تَوَقَّعْ إِذَا ضَاقَ أَمْرٌ عَلَيْ
كَ خَيْراً فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَا

وَلَهُ أَيْضاً :

قَدْ كَانَ قَلْبِي صَحِيحاً كَالْحَمَى زَمَنَا
فَمُذْ أَبَاحَ [٤] الْهَوَى مِنْهُ الْحِمَى مَرِضَا
فَكَمْ سَخِطْتُ عَلَى مَنْ كَانَ شِيمَتُهُ
وَقَدْ أَبْحَتُ [٥] لَهُ فِيكَ الْحِمَامَ رِضَا

(١) أجرى عليه الرزق : أفاضه وعينه (٢) والحظ : النصيب، والأجر : المكافأة والاثابة (٣) ويسرى : من السرى : وهو السير ليلا

(٤) فى الأصل : « باح » وأصلحت (٥) أبحتك الشيء : أى أحللته لك. والحمام : الموت

يَامَنْ إِذَا فَوَّقَتْ[١] سَهْمًا لَوَاحِظُهُ

أَضْحَى لَهَا كُلُّ قَلْبٍ قَلْبِ غَرَضَا

أَنَا الَّذِى إِنْ يَمُتْ حُبًّا يَمُتْ أَسَفًا

وَمَا قَضَى فِيكِ مِنْ أَغْرَاضِهِ غَرَضَا

أُلْبِسْتُ ثَوْبَ سَقَامٍ فِيهِ صَارَ لَهُ

جِسْمِى لِرِقَّتِهِ مِنْ سُقْمِهِ حَرَضَا[٢]

وَصِرْتُ وَقْفًا عَلَى هَمٍّ يُجَاذِبُنِى

أَيْدِى الصَّبَابَةِ فِيهِ كُلَّمَا عَرَضَا[٣]

مَا إِنْ قَضَى اللهُ شَيْئًا فِى خَلِيقَتِهِ

أَشَدَّ مِنْ زَفَرَاتِ[٤] الْحُبِّ حِينَ قَضَى

فَلَا قَضَى كَلِفٌ[٥] نَحْبًا فَأَوْجَعَنِى

أَنْ قِيلَ إِنَّ الْمُحِبَّ الْمُسْتَهَامَ قَضَى

---

(١) فوق السهم : وضعه فى الفوق والمراد رمي به الغرض والهدف

(٢) الحرض : الفساد (٣) هذا البيت وما قبله زيادة سقطت من الأصل ، مثبتة فى العماد (٤) زفرات : جمع زفرة ، وهى : استيعاب النفس من شدة الغم والحزن

(٥) الكلف : المحب ، وقضى نحبه : أى مات

وَلَهُ أَيْضاً :

تُرَاكَ يَا مُتْلِفَ جِسْمِي وَيَا
مُكْثِرَ إِعْلَالِي وَأَمْرَاضِي
مِنْ بَعْدِ مَا أَضْنَيْتَنِي (١) سَاخِطاً
عَلَيَّ فِي حُبِّكَ أَمْ رَاضِي ؟

الحسن بن بشر الآمدى

﴿ ٥ — الْحَسَنُ بْنُ بِشْرِ بْنِ يَحْيَى الْآمِدِيُّ ﴾
﴿ النَّحْوِيُّ الْكَاتِبُ * ﴾

أَبُو الْقَاسِمِ ، صَاحِبُ كِتَابِ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الطَّائِيَّيْنِ . كَانَ حَسَنَ الْفَهْمِ ، جَيِّدَ الدِّرَايَةِ (٢) وَالرِّوَايَةِ ، سَرِيعَ الْإِدْرَاكِ .

---

(١) من أضناه المرض : أى هزله (٢) الدراية : العلم بالشيء — ومنه : « وما يدريك لعله يزكى » أى ما تدرى

(*) ترجم له فى كتاب انباه الرواة ، ج أول صفحة ٢٦٥ بترجمة ضافية نقتطف منها ما يأتى قال :

هو أبو القاسم الحسن بن بشر ، الآمدى الأصل ، البصرى المنشأ ، إمام فى الأدب ، له شعر حسن واتساع تام فى علم الشعر ومعانيه ، ودراية وحفظ ، وصنف كتبا فى ذلك حسانا ، وكان فى البصرة كاتبا للقضاة من بنى عبد الواحد ، صحب المشايخ والجلة ، مثل أبى إسحاق الزجاج وطبقته . قال : حدثنى أبو إسحاق الزجاج قال : كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله نشرب وهو وزير ، فغنت بدعة جارية عريب بشعر ذكره ياقوت . إلى آخر ما فى ترجمته

وكان الآمدى يكتب خطا حسنا من خطوط الأوائل ، وهو أقرب خط إلى الصحة ، وكتب الكثير ، وصنف كتبا حسانا ذكرها ياقوت . وكان مولده بالبصرة وقدم بغداد —

رَأَيْتُ سَمَاعَهُ عَلَى كِتَابِ الْقَوَافِى لِأَبِى الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ ، وَقَدْ سَمِعَهُ عَلَى نِفْطَوَيْهِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ وَجَدْتُ خَطَّهُ عَلَى كِتَابِ تَبْيِينِ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ وَفِى نَقْدِ الشِّعْرِ ، وَقَدْ أَلَّفَهُ لِأَبِى الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَمِيدِ

— وأخذعن الحسن على بن سليمان الاخفش ، وأبى إسحاق الزجاج ، وأبى بكر بن دريد ، وأبى بكر بن السراج اللغة والأخبار فى آخر عمره ، واتسع فى الآداب وبرز فيها ، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار فى آخر عمره بالبصرة اليه ، وكان يكتب بمدينة السلام لأبى جعفر بن هارون ، بن محمد بن الضبى ، خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان لحضرة المقتدر بالله ، وكانت وفاته سنة سبعين وثلاثمائة . وكان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب ، ومن شعره يستدعى صديقا له :

عندى أخى وأخوك فى الادب
نسب له فضل على النسب
فى ساحة للهو نعمرها
بالجد أحيانا وباللعب
ولنا حديث بيننا حسن
كالنور بين منابت العشب
وكأنما كاساتنا شهب
تهوى إلى الأحزان والكرب
وبدا لنا المنثور فى حلل
يدعو الى اللذات والطرب
كم منظر للعين فيه وكم
فية لدى الآداب من أرب
تحكى قشور الدر أبيضه
والصفر منه قراضة الذهب —

وَقَدْ قَرَأَهُ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ خَطَّهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَقَالَ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفِهْرِسْتِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ : هُوَ مِنَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، قَرِيبُ الْعَهْدِ ، وَأَحْسَبُهُ يَحْيَا إِلَى الْآنَ ، ثُمَّ وَجَدْتُ كِتَابَ الْقَوَافِي لِلْمُبَرِّدِ بِخَطِّ أَبِي مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيِّ ذَكَرَ فِي إِسْنَادِهِ : أَنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ حُنَيْشٍ النَّحْوِيَّ قَرَأَهُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْآمِدِيِّ

— وله ضروب أشبهت فلق الـ
يا قوت حين هوت من السحب

يوم يطيب إذا حضرت وان
غيبت عنا فيه لم يطب

فاجمع بوجهك شمل لذتنا
يا قدوة فى العلم والأدب

واعلم بأنك إن أجبت ولم
تكن الجواب لنا فلم تجب

وقال يرثى المعمرى :

ياعين أذرى الدموع وانسكبى
أصبح ترب العلوم فى الترب

لقيت بالمعمرى يوم ثوى
أول رزء بآخر الأدب

كان على أعجمى نسبته
فضيلة من فضائل العرب

وله ترجمة أخرى فى كتاب بغية الوعاة ، صفحة ٢١٨

فِى سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَفِى تَارِيخِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ فِى هَذِهِ السَّنَةِ يَعْنِى فِى سَنَةِ سَبْعِينَ : مَاتَ الْحَسَنُ ابْنُ بِشْرٍ الْآمَدِىُّ بِالْبَصْرَةِ .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُحَسِّنُ التَّنُوخِىُّ : حَدَّثَنِى أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ الْآمِدِىُّ، كَاتِبُ الْقَضَاءِ مِنْ بَنِى عَبْدِ الْوَاحِدِ بِالْبَصْرَةِ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، وَاتِّسَاعٌ تَامٌّ[1] فِى الْأَدَبِ ، وَدِرَايَةٌ وَحِفْظٌ ، وَكُتُبٌ مُصَنَّفَةٌ قَالَ : حَدَّثَنِى أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ قَالَ : كُنَّا لَيْلَةً بِحَضْرَةِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ نَشْرَبُ وَهُوَ وَزِيرٌ ، فَغَنَّتْ بِدْعَةُ جَارِيَةُ عَرِيبٍ :

أَدَلَّ فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ مُدِلّْ
وَمِنْ ظَالِمٍ لِدَمِى مُسْتَحِلّْ
إِذَا مَا تَعَــزَّزَ قَابَلْتُــهُ
بِذُلٍّ وَذَلِكَ جُهْدُ[2] الْمُقِلّْ

---

(١) اتساع تام فى الادب : أى إكثار فيه (٢) جهد المقل : أى غاية مايفعله الانسان

وَأَسْلَمْتُ خَدِّي لَهُ خَاضِعاً
وَلَوْلَا مَلَاحَتُهُ(١) لَمْ أَذِلَّ

فَأَدَّتْ فِيهِ صَنْعَةً(٢) حَسَنَةً جِدًّا ، فَطَرِبَ الْقَاسِمُ عَلَيْهِ طَرَبًا شَدِيداً ، وَاسْتَحْسَنَ الصَّنْعَةَ جِدًّا وَالشِّعْرَ فَأَفْرَطَ . فَقَالَتْ بِدْعَةُ يَا مَوْلَايَ : إِنَّ لِهَذَا الشِّعْرِ خَبَراً حَسَنًا أَحْسَنَ مِنْهُ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ هُوَ لِأَبِي حَازِمٍ الْقَاضِي . قَالَ : فَعَجِبْنَا مِنْ ذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ تَقَشُّفِ(٣) الْقَاضِي أَبِي حَازِمٍ وَوَرَعِهِ وَتَقَبُّضِهِ . فَقَالَ الْوَزِيرُ : بِاللهِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، ارْكَبْ إِلَى أَبِي حَازِمٍ وَاسْأَلْهُ عَنْ هَذَا الشِّعْرِ وَسَبَبِهِ . فَبَاكَرْتُهُ(٤) وَجَلَسْتُ حَتَّى خَلَا وَجْهُهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَجُلٌ بِزِيِّ الْقُضَاةِ عَلَيْهِ قَلَنْسُوَةٌ ، فَقُلْتُ : بَيْنَنَا شَيْءٌ أَقُولُهُ

(١) الملاحة : الحسن — ولم أذل : أي لم أخضع . وكسرت اللام ، وهو جائز في المضعف الثلاثي إذا جزم ، إذ يجوز الفتح والكسر في آخره ، من أجل التخلص من الساكنين . هذا ان كسرت عينه او فتحت والضم إن ضمت عينه « عبد الخالق »

(٢) أي غناء (٣) تقشف : أي زهد — ورجل متقشف أي يتبلغ بالقوت ويلبس المرقع . والورع : التقى (٤) باكرته : يقال : باكره : أتاه بكرة ، وسبق إليه في أول أحواله

عَلَى خَلْوَةٍ ؟ فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مِمَّنْ أَكْتُمُهُ شَيْئاً . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ ، وَسَأَلْتُ عَنِ الشِّعْرِ وَالْخَبَرِ ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : هَذَا شَيْءٌ كَانَ فِي الْحَدَاثَةِ قُلْتُهُ فِي وَالِدَةِ هَذَا « وَأَوْمَأَ إِلَى الْقَاضِي الْجَالِسِ ، وَإِذَا هُوَ ابْنُهُ » وَكُنْتُ إِلَيْهَا مَائِلاً ، وَكَانَتْ لِي مَمْلُوكَةً ، وَلِقَلْبِي مَالِكَةً ، فَأَمَّا الْآنَ ، فَلَا عَهْدَ لِي بِمِثْلِهِ مُنْذُ سِنِينَ ، وَلَا عَمِلْتُ شِعْراً مُنْذُ دَهْرٍ طَوِيلٍ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا مَضَى . قَالَ : فَوَجَمَ[1] الْفَتَى حَتَّى ارْفَضَّ[2] عَرَقاً ، وَعُدْتُ إِلَى الْقَاسِمِ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَضَحِكَ مِنْ خَجَلِ الِابْنِ وَقَالَ : لَوْ سَلِمَ مِنَ الْعِشْقِ أَحَدٌ لَكَانَ أَبَا حَازِمٍ مَعَ تَقَبُّضِهِ ، وَكُنَّا نَتَعَاوَدُ[3] ذَلِكَ زَمَاناً .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : كَانَ هَذَا الْخَبَرُ بِتَرْجَمَةِ إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِ أَحْرَى ، إِلَّا أَنَّ فِي أَوَّلِهِ مِنْ إِيضَاحِ حَالِ الْآمِدِيِّ مَا سَاقَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ .

---

(١) وجم من الامر وجوماً فهو واجم : أى اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام

(٢) ارفض عرقاً : أى تصبب العرق منه من شدة الحزن

(٣) نتعاود : يقال عاود الرجل معاودة وعودا : رجع إلى الأمر الأول ، ومنه : « الشجاع معاود » لأنه لا يمل المراس

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : كَانَ قَدْ وُلِّيَ الْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ — فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ — رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ صُرِفَ بِهِ ، لِأَنَّهُ وُلِّيَ صَارِفًا لِأَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيِّ ، فَقَالَ فِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ ابْنُ بِشْرٍ الْآمِدِيُّ ، كَاتِبُ الْقَاضِيَيْنِ أَبِي الْقَاسِمِ جَعْفَرٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ :

رَأَيْتُ قَلَنْسُوَةً تَسْتَغِيـ
ـثُ مِنْ فَوْقِ رَأْسٍ تُنَادِي خُذُونِي
وَقَدْ قَلِعَتْ وَهْيَ طَوْراً تَمِيـ
ـلُ مِنْ عَنْ يَسَارٍ وَمِنْ عَنْ يَمِينِ
فَطَوْراً تَرَاهَا فُوَيْقَ[1] الْقَفَا
وَطَوْراً تَرَاهَا فُوَيْقَ الْجَبِينِ

(١) فويق القفا : فويق تصغير فوق — والقفا : مؤخر العنق ، ويذكر ويؤنث ويمد ، وجمعه أقف وأقفية وأقفاء ، ويستعمل فى غير ذلك كقولهم : لا أفعله قفا الدهر : أى طوله . ورد قفاً أو على قفاه : أى هرم

فَقُلْتُ لَهَا أَيُّ شَيْءٍ دَهَاكِ ؟
فَرَدَّتْ بِقَوْلٍ كَئِيبٍ[١] حَزِينِ

دَهَانِيَ أَنْ لَسْتُ فِي قَالِبِي[٢]
وَأَخْشَى مِنَ النَّاسِ أَنْ يُبْصِرُونِي

وَأَنْ يَعْبَثُوا بِمِزَاحٍ مَعِي
وَإِنْ فَعَلُوا ذَاكَ بِي قَطَّعُونِي[٣]

فَقُلْتُ لَهَا مَرَّ مَنْ تَعْرِفِينَ
مِنَ الْمُنْكِرِينَ لِهَذِي الشُّؤُونِ

وَمَنْ كَانَ يُصْفَعُ[٤] فِي الدِّينِ لَا
يَمَلُّ وَيَشْتَدُّ فِي غَيْرِ لِينِ

---

(١) كئيب : من الكآبة : وهي الغم وسوء الحال ، والانكسار من الحزن

(٢) قالبي : بكسر اللام وفتحها : وهو الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر وغيرها ليكون مثالا لما يصاغ منها ، وما يقلب به الخف ويجعل فيه ، لكي يستقيم . والمراد ليس لابسي أهلالى

(٣) في الاصل : « فطعوني » . وقد أثبتنا ما في العماد ، لأنه الصواب

(٤) الصفع : الضرب باليد مبسوطة على القفا ، فهو صفعان

وَيَلْمَحُ[1] مِلْئَكَ كَيْلَ التَّمَا
مِ إِمَّا عَلَى صِحَّةٍ أَوْ جُنُونِ
فَفَارَقَهَا ذَلِكَ الاِنْزِعَاجِ
وَعَادَتْ إِلَى حَالِهَا فِي السُّكُونِ

وَحَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثْتُ يَوْماً أَبَا الفَرَجِ الْبَبَّغَا الشَّاعِرَ: أَنَّ أَبَا الْفَرَجِ مَنْصُورَ بْنَ بِشْرٍ النَّصْرَانِيَّ الْكَاتِبَ، كَانَ مُنْقَطِعاً إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ مَاسَرْجِسَ، فَأَنْفَذَهُ[2] مَرَّةً إِلَى أَبِي عُمَرَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ عَامِلِ الْبَصْرَةِ فِي بَعْضِ حَاجَاتِهِ، فَعَادَ مِنْ عِنْدِهِ مُغْضَباً لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَوْفِ لَهُ الْقِيَامَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَأَرَادَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِنْفَاذَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَأَبَى وَقَالَ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي زَوْرَقَ ابْنِ الْخُوَاسْتِينِيِّ مَمْلُوءاً كِيمِيَا[3]،

---

(١) البيت هكذا فى الاصل .

وبلح ملاك كيل التمام

والظاهر أن صحته كما ذكرنا أى ومفى من كان يلمح فيرى أنه يملؤك ملئاً كأنه كيل كيلا تاماً على قدرك (٢) أنفذه إلى فلان : أرسله (٣) يطلق الكيميا على ما يحاولون به تكوين الذهب أو الفضة من بعض العناصر الموجودة

كُلُّ مِثْقَالٍ مِنْهُ إِذَا وُضِعَ عَلَى أَلْفِ مِثْقَالٍ صُفْراً[١] صَارَ ذَهَباً إِبْرِيزاً مَا مَضَيْتُ إِلَيْهِ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ مَغِيظاً . وَهَذَا زَوْرَقٌ مَعْرُوفٌ بِالْبَصْرَةِ ، وَحِمْلُهُ ثَلاثُمِائَةِ أَلْفِ رِطْلٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ دَوَاتَىْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ بِشْرٍ . وَقَدْ حَكَى لَهُ أَنَّ ابْنَ عِلَّانٍ قَاضِيَ الْقُضَاةِ بِالْأَهْوَازِ ، ذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى قَبَجَةً[٢] وَزْنُهَا عَشَرَةُ أَرْطَالٍ فَقَالَ : هَذَا مُحَالٌ . فَقِيلَ لَهُ : تَرُدُّ قَوْلَ ابْنِ عِلَّانٍ ؟ قَالَ : فَإِنْ قَالَ ابْنُ عِلَّانَ : إِنَّ عَلَى شَاطِئِ جَيْحُونَ نَخْلًا يَحْمِلُ غَضَاراً[٣] صِينِيًّا مُجَزَّعاً بِسَوَادٍ أَقْبَلُ مِنْهُ ؟ وَقُلْتُ لِأَبِي الْفَرَجِ : وَلِلنَّاسِ عَادَاتٌ فِي الْمُبَالَغَاتِ ، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِهَا . فَقَالَ لِي : كَانَ الْآمِدِيُّ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْمُوَازَنَةِ ، يَدَّعِي هَذِهِ الْمُبَالَغَاتِ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ ، وَيَجْعَلُهَا اسْتِطْرَاداً[٤] لِعَيْبِهِ إِذَا ضَاقَ عَلَيْهِ الْمَجَالُ فِي ذَمِّهِ ، وَأَوْرَدَ فِي كِتَابِهِ قَوْلَهُ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

---

(١) الصفر : النحاس . والابريز من كل شيء : الخالص منه (٢) القبجة واحدة القبج : وهو الحجل، وتطلق القبجة على الذكر والانثى (٣) الغضار : خزف، وفى القاموس أنه يحمل لدفع العين (٤) الاستطراد : هو سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر ، وهو غير مقصود بالذات ، بل بالعرض

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا

خَضَبَتْ خَدَّهَا إِلَى لُؤْلُؤِ الْعِقْـ

ـدِ دَمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي [(١)] خَضِيبَا

كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلْـ

ـلَا الْفَظِيعَيْنِ مِيتَةً وَمَشِيبَا

ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ مِنْ مُبَالَغَاتِهِ الْمُسْرِفَةِ . ثُمَّ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : هَـذِهِ وَاللهِ الْمُبَالَغَةُ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا السَّمَاءَ . وَلَهُ مِنَ الْـكُتُبِ : كِتَابُ الْمُخْتَلِفِ وَالْمُؤْتَلِفِ فِي أَسْمَاءِ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ نَثْرِ الْمَنْظُومِ ، كِتَابُ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ أَبِي تَمَّامٍ وَالْبُحْتُرِيِّ ، كِتَابٌ فِي أَنَّ الشَّاعِرَيْنِ لَا يَتَّفِقُ خَوَاطِرُهُمَا ، كِتَابُ مَا فِي عِيَارِ [(٢)] الشِّعْرِ لِابْنِ طَبَاطَبَا مِنَ الْخَطَإِ ، كِتَابُ فَرْقِ مَا بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْمُشْتَرَكِ مِنْ مَعَانِي الشِّعْرِ ،

---

(١) شواتى : الشواة واحدة الشوى : وهى قحف الرأس أى جلدته ، ومنه قوله تعالى : « نزاعة للشوى » أى الاطراف . ويقال : اختضب بالحناء ونحوه . وتخضب : أى تلون (٢) عيار الشيء : ماجعل نظاما له ، يقاس به ويسوى ، ومنه عيار الموازين والمكاييل والنقود وغيرها .

كِتَابُ تَفْضِيلِ شِعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ عَلَى الْجَاهِلِيِّينَ ، كِتَابٌ فِي شِدَّةِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ ، كِتَابُ تَبْيِينِ غَلَطِ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ فِي كِتَابِ نَقْدِ الشِّعْرِ ، كِتَابُ مَعَانِي شِعْرِ الْبُحْتُرِيِّ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ فِيمَا خَطَّأَ فِيهِ أَبَا تَمَّامٍ ، كِتَابُ فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ غَايَةٌ لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ ، كِتَابُ الْحُرُوفِ مِنَ الْأُصُولِ فِي الْأَضْدَادِ رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ فِي نَحْوِ مِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ نَحْوُ مِائَةِ وَرَقَةٍ . وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ أَلَّفَهُ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الرَّحِيمِ الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ مَدَحَهُمْ مِهْيَارٌ وَغَيْرُهُ وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ قَالَ :

أَخْبَرَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسِّنِ : أَنَّ مَوْلِدَ أَبِي الْقَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ بِشْرٍ الْآمِدِيِّ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَنَّهُ قَدِمَ بَغْدَادَ يَحْمِلُ عَنِ الْأَخْفَشِ ، وَالْحَامِضِ ، وَالزَّجَّاجِ ، وَابْنِ دُرَيْدٍ، وَابْنِ السَّرَّاجِ وَغَيْرِهِمُ اللُّغَةَ وَالنَّحْوَ . وَرَوَى الْأَخْبَارَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِالْبَصْرَةِ . وَكَانَ يَكْتُبُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ لِأَبِي جَعْفَرٍ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ الضَّبِّيِّ

خَلِيفَةِ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ صَاحِبِ عُمَانَ ، بِحَضْرَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَوِزَارَتِهِ ، وَلِغَيْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ . وَكَتَبَ بِالْبَصْرَةِ لِأَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ ، وَأَبِي أَحْمَدَ طَلْحَةَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْمُثَنَّى ، وَبَعْدَهُمَا لِقَاضِي الْبَلَدِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيِّ عَلَى الْوُقُوفِ الَّتِي تَلِيهَا الْقُضَاةُ وَيَحْضُرُ بِهِ فِي مَجْلِسِ حُكْمِهِ ، ثُمَّ لِأَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ لَمَّا وُلِّيَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ لَزِمَ بَيْتَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَكَانَ كَثِيرَ الشِّعْرِ ، حَسَنَ الطَّبْعِ ، جَيِّدَ الصَّنْعَةِ ، مُشْتَهِراً بِالتَّشْبِيهَاتِ[1] .

وَلِأَبِي الْقَاسِمِ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ جَيِّدَةٌ مَرْغُوبٌ فِيهَا . مِنْهَا : كِتَابُ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الْبُحْتُرِيِّ وَأَبِي تَمَّامٍ فِي عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ[2] ، وَهُوَ كِتَابٌ حَسَنٌ وَإِنْ كَانَ قَدْ عِيبَ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ ، وَنُسِبَ إِلَى الْمَيْلِ مَعَ الْبُحْتُرِيِّ فِيمَا أَوْرَدَهُ ، وَالتَّعَصُّبِ[3] عَلَى أَبِي تَمَّامٍ فِيمَا ذَكَرَهُ . وَالنَّاسُ بَعْدُ فِيهِ عَلَى فَرِيقَيْنِ : فِرْقَةٌ قَالَتْ

(١) كانت فى الاصل : « الشبهات » (٢) الكتاب مطبوع يتناوله الناس ولا يبلغ جزءا ، فمن أين العشرة ، اللهم الا إذا جعلنا كل عدد من الصفحات جزءا «عبد الخالق»
(٣) التعصب على أبى تمام : من قولهم تعصب على فلان : مال عنه وقاومه .

بِرأْيِهِ حَسَبَ رَأْيِهِمْ فِي الْبُحْتُرِيِّ وَغَلَبَةِ حُبِّهِمْ لِشِعْرِهِ.
وَطَائِفَةٌ أَسْرَفَتْ فِي التَّقْبِيحِ لِتَعَصُّبِهِ، فَإِنَّهُ جَدَّ وَاجْتَهَدَ فِي
طَمْسِ[1] مَحَاسِنِ أَبِي تَمَّامٍ، وَتَزْيِينِ مَرْذُولِ[2] الْبُحْتُرِيِّ.
وَلَعَمْرِي إِنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ بَلَغَ فِي كِتَابِهِ
إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا

وَشَرَعَ فِي إِقَامَةِ الْبَرَاهِينِ عَلَى تَزْيِيفِ[3] هَذَا الْجَوْهَرِ
الثَّمِينِ، فَتَارَةً يَقُولُ: هُوَ مَسْرُوقٌ، وَتَارَةً يَقُولُ: هُوَ مَرْذُولٌ،
وَلَا يَحْتَاجُ الْمُتَعَصِّبُ[4] إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ تَعَصُّبَاتِهِ، وَلَوْ أَنْصَفَ وَقَالَ فِي كُلٍّ وَاحِدٍ بِقَدْرِ فَضَائِلِهِ،
لَكَانَ فِي مَحَاسِنِ الْبُحْتُرِيِّ كِفَايَةٌ عَنِ التَّعَصُّبِ بِالْوَضْعِ[5]
مِنْ أَبِي تَمَّامٍ. وَلَهُ أَيْضًا: كِتَابُ الْخَاصِّ وَالْمُشْتَرَكِ، تَكَلَّمَ فِيهِ

---

(١) طمس الشيء طمسا: محاه وغير معالمه (٢) مرذول الشيء: رديئه
(٣) تزييف: مصدر زيفه عند القوم، أى تكلم عندهم فى حقه بما يعيبه (٤) كانت
فى العماد، وفى الاصل هذا: «المصنف» (٥) الوضع من أبى تمام:
أى الحط من قيمته.

عَلَى الفَرْقِ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي الَّتِي تَشْتَرِكُ الْعَرَبُ فِيهَا ، وَلَا يُنْسَبُ مُسْتَعْمِلُهَا إِلَى السَّرِقَةِ وَإِنْ كَانَ قَدْ سُبِقَ إِلَيْهَا ، وَبَيْنَ الْخَاصِّ الَّذِي ابْتَدَعَهُ الشُّعَرَاءُ وَتَفَرَّدُوا بِهِ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ ، وَمَا قَصَّرَ فِي إِيضَاحِ ذَلِكَ وَتَحْقِيقِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَصَانِيفِهِ الَّتِي ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

يَا وَاحِدًا كَانَ فِي الزَّمَانِ
لَا مَنْ[1] يُجَارِيهِ أَوْ يُدَانِي ؟

دَعْنِي مِنْ نَائِلٍ جَزِيلٍ
يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِهِ لِسَانِي[2]

فَلَسْتُ وَاللهِ مُسْتَمِيحًا
وَلَا أَخَا مَطْمَعٍ تَرَانِي[3]

وَهَبْ إِذَا كُنْتَ لِي وَهُوبًا
مِنْ بَعْضِ أَخْلَاقِكَ الْحِسَانِ[4]

---

(١) يريد أن يمدح فهو يقول له : أنت في الزمان الأوحد لا إنسان يجاريك أو يدانيك (٢) يقول دعني مما يظنه الناس سبباً في المدح : فلم لم أمدحك لنائل جزيل أعجز عن شكره (٣) فاني لست ممن يطلب العطاء أو له مطمع (٤) أى ولكن الذى أطمع فيه هبة من أخلاقك الحسان

وقَالَ فِي أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَافَرَّوْخِيِّ وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا لَايُجَارَى ، لَكِنَّهُ كَانَ تَمْتَامًا[1] :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى تَتَعْتُعِهِ[2] إِذَا
رَامَ الْكَلَامَ وَلَفْظِهِ الْمُعْتَاصِ
وَانْظُرْ إِلَى الْحِكَمِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا
تَشْفِيكَ عِنْدَ تَطَلُّقٍ وَخَلَاصِ
فَالدُّرُّ لَيْسَ يَنَالُهُ غَوَّاصُهُ
حَتَّى تَقَطَّعَ أَنْفُسُ الْغَوَّاصِ

وَفِي النَّشْوَارِ : حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ الْآمِدِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو أَحْمَدَ : طَلْحَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُثَنَّى ، وَقَدْ تَجَارَيْنَا[3] عَلَى خَلْوَةٍ لِلْحَدِيثِ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُ

---

(١) تمتاما : من قولهم : تمتم الرجل تمتمه . إذا تردد فى التاء، فهو تمتام بالفتح ـ وقال أبو زيد : هو الذى يعجل فى الكلام ولا يفهمك (٢) تتعتعه : من قولهم : تعتتع فى الكلام : تردد من حصر أوعى . والمعتاص : الصعب النطق . (٣) تجارينا : يقال : تجاروا فى الحديث : تسالموا وتوافقوا .

وَبَيْنَ أَبِي الْقَاسِمِ الْبُرَيْدِيِّ ، وَتَدْبِيرِ[1] كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَأَشَرْتُ عَلَيْهِ بِأَنْ يَهْرُبَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَلَا يُقِيمَ ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُغَيِّرَ زِيَّهُ[2] فَقَالَ : لَسْتُ أُفَكِّرُ فِي هَـذَا الرَّجُلِ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا : رُؤْيَا رَأَيْتُهَا مُنْذُ لَيَالٍ كَثِيرَةٍ . فَقُلْتُ : مَاهِيَ ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُ ثُعْبَانًا عَظِيمًا قَدْ خَرَجَ مِنْ هَذَا الْحَائِطِ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَائِطٍ فِي مَجْلِسِهِ وَهُوَ يُرِيدُنِي فَطَلَبْتُهُ فَأَتَيْتُهُ[3] فِي الْحَائِطِ . فَتَأَوَّلْتُ ذَلِكَ أَنَّ الثُّعْبَانَ الْبُرَيْدِيُّ وَأَنِّي أَغْلِبُهُ . قَالَ : فَحِينَ قَالَ : « فَأَتَيْتُهُ فِي الْحَائِطِ » سَبَقَ إِلَى قَلْبِي أَنَّ الْبُرَيْدِيَّ هُوَ الثَّابِتُ ، وَأَنَّ الْحَائِطَ حِيَاطَةٌ لَهُ دُونَ أَبِي أَحْمَدَ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : إِنَّ الْخَبَرَ مُسْتَفِيضٌ لَمَّا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَى فِي مَنَامِهِ ، كَأَنَّهُ وَابْنَ الزُّبَيْرِ اصْطَرَعَا فِي صَعِيدٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَطَرَحَ ابْنُ الزُّبَيْرِ

(١) التدبير هو قريب من التفكر ، الا أن التفكر تصرف القلب بالنظر فى الدليل ، والتدبر تصرفه بالنظر فى العواقب (٢) لعله سقط من الاصل كلمة « زيه » فذكرناها ليستقيم الكلام (٣) قوله أتيته فى الحائط : المراد هنا : أهلكته

عَبْدَ الْمَلِكِ تَحْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَوْتَدَهُ [١] بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ فِيهَا . وَأَنَّهُ أَنْفَذَ رَاكِباً إِلَى الْبَصْرَةِ ، حَتَّى لَقِيَ ابْنَ سِيرِينَ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا كَأَنَّهَا لَهُ ، وَكَتَمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ سِيرِينَ : هَذِهِ الرُّؤْيَا لَيْسَتْ رُؤْيَاكَ ، فَلَا أُفَسِّرُهَا لَكَ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ الرُّؤْيَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فَإِنْ صَدَقْتَنِي فَسَّرْتُهَا لَكَ . فَقَالَ : هُوَ كَمَا وَقَعَ لَكَ . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : إِنْ صَحَّتْ رُؤْيَاكَ هَذِهِ فَسَتَغْلِبُ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَمْلِكُ الْأَرْضَ مِنْ صُلْبِكَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ . فَمَضَى الرَّجُلُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ ، فَعَجِبَ مِنْ فِطْنَةِ ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : مِنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَلِكَ ؟ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْغَالِبَ فِي النَّوْمِ هُوَ الْمَغْلُوبُ ، وَتَمَكُّنُهُ عَلَى الْأَرْضِ : غَلَبَتُهُ عَلَيْهَا ، وَالْأَوْتَادُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي أَوْتَدَهَا فِي الْأَرْضِ : هُمْ مُلُوكٌ يَتَمَكَّنُونَ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا تَمَكَّنَتِ الْأَوْتَادُ .

---

(١) أوتده الخ : أى أثبته

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْآمِدِيُّ : فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لِأَبِي أَحْمَدَ هذَا ، وَمَا وَقَعَ لِي مِنَ الْقِيَاسِ عَلَيْهِ فِي تَفْسِيرِ رُؤْيَاهُ ، فَكَرِهْتُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَكُونُ سُوءَ أَدَبٍ وَقَبَاحَةَ عِشْرَةٍ ، وَنَعْياً[1] لِنَفْسِهِ ، فَمَا مَضَتِ الْأَيَّامُ حَتَّى قَبَضَ الْبُرَيْدِيُّ عَلَيْهِ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ .

﴿ ٦ — أَبُو الْحَسَنِ الْبُورَانِيُّ * ﴾

أبو الحسن البورانى

مُعْتَزِلِيٌّ نَحْوِيٌّ ، ذَكَرَهُ الْمُقَدَّرُ[2] عِنْدَ ذِكْرِهِ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ النَّحْوِيِّينَ فَقَالَ : وَأَبُو الْحَسَنِ الْبُورَانِيُّ ، نَاهِيكَ[3] تَدْقِيقاً فِي مَسَائِلِ الْكِتَابِ ، وَكَانَ فِي أَيَّامِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَطَبَقَتِهِ .

---

(١) فى نسخة العماد «ونمياً» : وفى الاصل « وتعباً » والاولى «أصح» فذكرناها لذلك

(٢) أظنه ، أبا منصور المقدر الاصبهانى (٣) وناهيك : من قولهم : هذا رجل ناهيك من رجل — قيل معناه : كافيك به ، — وهي كلة يتعجب بها فى مقام المدح ، ثم كثر حتى استعمل فى كل تعجب . ويقال أيضاً : ناهيك به ، فتكون الباء زائدة ، والهاء مبتدا ، كما تقول فى نحو بحسبك زيد وهى هنا خبر عن أبو الحسن

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٣١

٧ – الحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ

ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ *

الحسن بن الحسين السكرى

ابْنِ الْعَلَاءِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، الْمَعْرُوفُ بِالسُّكَّرِيِّ ، أَبُو سَعِيدٍ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، الرَّاوِيَةُ (١) الثِّقَةُ (٢) الْمُكْثِرُ . مَاتَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ . سَمِعَ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ ، وَأَبَا حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيَّ ، وَالْعَبَّاسَ بْنَ الْفَرَجِ الرِّيَاشِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ حَبِيبٍ ، وَالْحَارِثَ ابْنَ أَبِي أُسَامَةَ ، وَأَحْمَدَ بْنَ الْحَارِثِ الْخَزَّازَ وَخَلْقًا سِوَاهُمْ . وَأَخَذَ عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التَّارِيخِيُّ . وَكَانَ ثِقَةً صَادِقًا يُقْرِئُ الْقُرْآنَ ، وَانْتَشَرَ عَنْهُ مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ مَا لَمْ يَنْتَشِرْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ نُظَرَائِهِ . وَكَانَ إِذَا جَمَعَ جَمْعًا فَهُوَ الْغَايَةُ فِي الِاسْتِيعَابِ وَالْكَثْرَةِ .

---

(١) الراوية : هو الذى يحمل الحديث أو الشعر ، وينقله إلى غيره ، والهاء فيه للمبالغة .

(٢) الثقة : مصدر يوصف به ، فيقال : هو عالم ثقة : أى أمين

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١٨

حَدَّثَ أَبُو الْكَرَمِ خَمِيسُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَوْزِيُّ النَّحْوِيُّ الْحَافِظُ الْوَاسِطِيُّ فِي أَمَالِيهِ ،ـ وَلَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بَابٌ ـ قَالَ : قَدِمَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ السُّكَّرِيُّ بَغْدَادَ ، فَحَضَرَ مَجْلِسَ أَبِي زَكَرِيَّا الْفَرَّاءِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ شَيْخُ النَّاسِ بِهَا ، فَأَمْلَى الْفَرَّاءُ بَابًا فِي التَّصْغِيرِ قَالَ فِيهِ : الْعَرَبُ تَقُولُ : هُوَ الْهَنُ وَتَصْغِيرُهُ الْهُنَيُّ ، وَتَثْنِيَتُهُ فِي الرَّفْعِ الْهُنَيَّانِ ، وَفِي النَّصْبِ وَالْجَرِّ الْهُنَيَّيْنِ ، وَأَنْشَدَ عَلَيْهِ قَوْلَ الْقَتَّالِ الْكِلَابِيِّ :

يَا قَاتَلَ اللهُ صُلْعَانًا (١) تَجِيءُ بِهِمْ
أُمُّ الْهُنَيَّيْنِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي (٢)

فَأَمْسَكَ أَبُو سَعِيدٍ حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْمَجْلِسُ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَى الْفَرَّاءِ ، تَقَدَّمَ أَبُو سَعِيدٍ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ : — أَكْرَمَكَ اللهُ — أَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ وَقَدْ مَرَّ شَيْءٌ ، أَتَأْذَنُ لِي فِي ذِكْرِهِ ؟ فَقَالَ

(١) جمع أصلع : ما ذهب من شعر الرأس أو بعضه من داء الثعلب
(٢) ورى : يقال : ورى الزند وورى ، يرى « من باب ضرب وحسب » وريا : خرجت ناره ، فهو وار

أَذْكُرُهُ . فَقَالَ : إِنَّكَ قُلْتَ هُوَ الْهَنُ ، وَتَثْنِيَتُهُ فِي الرَّفْعِ الْهُنَيَّانِ ، وَفِي النَّصْبِ وَالْجَرِّ الْهُنَيَّيْنِ ، وَهَذَا جَمِيعُهُ كَمَا قُلْتَ ، ثُمَّ أَنْشَدْتَ قَوْلَ الْكِلَابِيِّ :

يَا قَاتَلَ اللهُ صُلْعَانًا تَجِيءُ بِهِمْ
أُمُّ الْهُنَيَّيْنِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي

وَلَيْسَ هَكَذَا أَنْشَدَنَاهُ أَشْيَاخُنَا . قَالَ الْفَرَّاءُ : وَمَنْ أَشْيَاخُكَ ؟ قَالَ : أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَأَبُو زَيْدٍ ، وَالْأَصْمَعِيُّ . قَالَ الْفَرَّاءُ : وَكَيْفَ أَنْشَدَهُ أَشْيَاخُكَ ؟ فَقَالَ[1] : زَعَمُوا أَنَّ الْمِنْبَرَ بِوَزْنِ الْخِنْصَرِ : وَلَدُ الضَّبُعِ . وَأَنَّ الْقَتَّالَ قَالَ :

يَا قَاتَلَ اللهَ صُلْعَانًا تَجِيءُ بِهِمْ
أُمُّ الْهُنَيْبِرِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي

عَلَى التَّصْغِيرِ . فَفَكَّرَ الْفَرَّاءُ سَاعَةً وَقَالَ : ـ أَحْسَنَ اللهُ عَنِ الْإِفَادَةِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ جَزَاءَكَ ـ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : هَكَذَا وَجَدْتُ هَذَا

(١) في الاصل هنا : « قال » وفي العماد : « فقال » فذكرناها لذلك

الْخَبَرَ فِي أَمَالِي الْجَوْزِيِّ، وَهُوَ مَا عَلِمْتُ مِنَ الْحُفَّاظِ، إِلَّا أَنَّهُ غَلِطَ فِيهِ مِنْ وُجُوهٍ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّكَّرِيَّ لَمْ يَلْقَ الْأَصْمَعِيَّ وَلَا أَبَا عُبَيْدَةَ، وَلَا أَبَا زَيْدٍ، وَإِنَّمَا رَوَى عَمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ: كَابْنِ حَبِيبٍ، وَابْنِ أَبِي أُسَامَةَ، وَالْخَزَّازِ وَطَبَقَتِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ السُّكَّرِيَّ وُلِدَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. وَأَبُو عُبَيْدَةَ مَاتَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ (١). وَأَبُو زَيْدٍ مَاتَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. وَالْأَصْمَعِيُّ مَاتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، فَمَتَى قَرَأَ عَلَيْهِمْ؟ وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ الْمَذْكُورَةُ هُمْ فِي طَبَقَةِ الْفَرَّاءِ، لِأَنَّ الْفَرَّاءَ مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ غَيْرِ السُّكَّرِيِّ، وَأَوْرَدَهَا خَمِيسٌ عَنْهُ سَهْوًا، وَأَوْرَدْتُهَا أَنَا كَمَا وَجَدْتُهَا.

وَلِلسُّكَّرِيِّ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ: كِتَابُ أَشْعَارِ هُذَيْلٍ، كِتَابُ النَّقَائِضِ،

(١) هكذا فى الاصل: « تسع عشرة ومائتين » والذى فى العماد مات سنة تسع أو عشر ومائتين

كِتَابُ النَّبَاتِ ، كِتَابُ الْوُحُوشِ جَوَّدَ[1] فِي تَصْنِيفِهِ ، كِتَابُ الْمَنَاهِلِ وَالْقُرَى ، كِتَابُ الْأَبْيَاتِ السَّائِرَةِ . وَعَمِلَ أَشْعَارَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، مِنْهُمْ : امْرُؤُ الْقَيْسِ ، النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ ، النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ ، زُهَيْرٌ ، الْحُطَيْئَةُ ، لَبِيدٌ ، تَمِيمُ بْنُ مُقْبِلٍ ، دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ ، الْأَعْشَى ، مُهَلْهِلٌ ، مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ ، أَعْشَى بَاهِلَةَ ، الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ ، بِشْرُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ، الْمُتَلَمِّسُ ، الرَّاعِي ، الشَّمَّاخُ ، الْكُمَيْتُ ، ذُو الرُّمَّةِ ، الْفَرَزْدَقُ . وَلَمْ يَعْمَلْ شِعْرَ جَرِيرٍ ، وَعَمِلَ شِعْرَ أَبِي نُوَاسٍ ، وَتَكَلَّمَ عَلَى مَعَانِيهِ وَغَرِيبِهِ فِي نَحْوِ أَلْفِ وَرَقَةٍ وَلَمْ يَتِمَّ ، وَإِنَّمَا عَمِلَ مِقْدَارَ ثُلُثَيْهِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَرَأَيْتُهُ بِخَطِّ الْحُلْوَانِيِّ ، وَكَانَ الْحُلْوَانِيُّ قَرِيبَ أَبِي سَعِيدٍ السُّكَّرِيِّ . وَعَمِلَ شِعْرَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ ، وَهُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ ، وَابْنِ أَحْمَرَ الْعُقَيْلِيِّ ، وَالْأَخْطَلِ ، وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ .

وَأَمَّا أَشْعَارُ الْقَبَائِلِ فَإِنَّهُ عَمِلَ مِنْهُمْ : أَشْعَارَ بَنِي

(١) جوده : أى حسنه ، وجعله جيدا

هُذَيْلٍ ، أَشْعَارَ بَنِي شَيْبَانَ ،وَبَنِي رَبِيعَةَ ، أَشْعَارَ بَنِي يَرْبُوعٍ ، أَشْعَارَ بَنِي طَيِّء ، أَشْعَارَ بَنِي كِنَانَةَ ، أَشْعَارَ بَنِي ضَبَّةَ ، أَشْعَارَ بَجِيلَةَ ، أَشْعَارَ بَنِي الْعَنْبَرِ[1] ، أَشْعَارَ بَنِي يَشْكُرَ ، أَشْعَارَ بَنِي حَنِيفَةَ ، أَشْعَارَ بَنِي مُحَارِبٍ ، أَشْعَارَ الْأَزْدِ ، أَشْعَارَ بَنِي نَهْشَلٍ ، أَشْعَارَ بَنِي عَدِيٍّ ، أَشْعَارَ بَنِي أَشْجَعَ ، أَشْعَارَ بَنِي نُمَيْرٍ[2] ، أَشْعَارَ بَنِي عَبْدِ وُدٍّ ، أَشْعَارَ بَنِي مَخْزُومٍ ، أَشْعَارَ بَنِي سَعْدٍ[3] ، أَشْعَارَ بَنِي الْحَارِثِ ، أَشْعَارَ الضِّبَابِ ، أَشْعَارَ فَهْمٍ وَعَدْوَانَ ، أَشْعَارَ مُزَيْنَةَ .

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ثَعْلَبٍ فَنُعِيَ إِلَيْهِ السُّكَّرِيُّ فَتَمَثَّلَ :[4]

الْمَرْءُ يُخْلَقُ وَحْدَهُ ... وَيَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَحْدَهُ

وَالنَّاسُ بَعْدُ هَالِكٌ ... هَلْ مَنْ رَأَيْتَ النَّاسَ بَعْدَهُ

(١) الفهرست : القند (٢) الفهرست : تميم (٣) الفهرست : أسد

(٤) فتمثل : يقال : تمثل بالشيء وتمثله : ضرب به مثلا

٨ – الْحَسَنُ بْنُ الْخَطِيرِ (١) *

الحسن بن الخطير

أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالظَّهِيرِ ، كَانَ فَقِيهاً لُغَوِيًّا نَحْوِيًّا ، مَاتَ بِالْقَاهِرَةِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي شُهُورِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . حَدَّثَنِي بِجَمِيعِ مَا أُورِدُهُ عَنْهُ هَهُنَا مِنْ خَبَرِهِ وَوَفَاتِهِ ، تِلْمِيذُهُ الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْإِدْرِيسِيُّ ، الْحَسَنِيُّ الصَّعِيدِيُّ بِالْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ قَالَ : كَانَ الظَّهِيرُ يَكْتُبُ عَلَى كُتُبِهِ فِي فَتَاوِيهِ ـ الْحَسَنُ النُّعْمَانِيُّ ـ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَذِهِ النِّسْبَةِ فَقَالَ : أَنَا نُعْمَانِيٌّ ، أَنَا مِنْ وَلَدِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَمَوْلِدِي بِقَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِالنُّعْمَانِيَّةِ ، وَمِنْهَا ارْتَحَلْتُ إِلَى شِيرَازَ ، فَتَفَقَّهْتُ (٢) بِهَا فَقِيلَ لِيَ الْفَارِسِيُّ ، وَأَنْتَحِلُ (٣) مَذْهَبَ النُّعْمَانِ ، وَأَنْتَصِرُ لَهُ فِيمَا وَافَقَ اجْتِهَادِي . وَكَانَ عَالِمًا بِفُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ ، كَانَ قَارِئًا

---

(١) فى نسخة العماد « ابن الخطير » (٢) فتفقهت فى العماد — وفى الاصل : فتفهمت

(٣) وانتحل : يقال : فلان ينتحل مذهب كذا ، وقبيلة كذا إذا انتسب إليه

(*) راجع بغية الوعاة ٢٢٩

بِالْعَشْرِ والشَّوَاذِّ ، عَالِمًا بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ ، وَالْفِقْهِ وَالْخِلَافِ[١] ، وَالْكَلَامِ[٢] وَالْمَنْطِقِ ، وَالْحِسَابِ وَالْهَيْئَةِ وَالطِّبِّ ، مُبَرِّزًا[٣] فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ ، وَالْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي ، وَرِوَايَةِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهَا ، وَأَخْبَارِ الْمُلُوكِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . وَكَانَ يَحْفَظُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ كِتَابًا ، فَكَانَ يَحْفَظُ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ كِتَابَ لُبَابِ التَّفْسِيرِ لِتَاجِ الْقُرَّاءِ ، وَفِي الْفِقْهِ كِتَابَ الْوَجِيزِ لِلْغَزَالِيِّ ، وَفِي فِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ كِتَابَ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ نَظْمِ النَّسَفِيِّ ، وَفِي الْكَلَامِ كِتَابَ نِهَايَةِ الْإِقْدَامِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ، وَفِي اللُّغَةِ كِتَابَ الْجَمْهَرَةِ لِابْنِ دُرَيْدٍ ، كَانَ يَسْرُدُهَا[٤] كَمَا يَسْرُدُ الْقَارِئُ الْفَاتِحَةَ .

---

(١) قوله والخلاف : أى المسائل الخلافية ، لأنها خلاف المتفق عليها — وقال بعضهم : الاختلاف يستعمل فى قول بنى على دليل ، والخلاف فيما لا دليل عليه

(٢) والكلام : أى علم العقائد « التوحيد » وسمى كلاما لكثرة الكلام فى أدلته

(٣) مبرزاً : من قولهم : برز الرجل : فاق أصحابه (٤) يسردها : يقال : سرد الحديث والقراءة : أجاد سياقهما وأتى بهما على ولاء

وَقَالَ لِي : كُنْتُ أَكْتُبُ أَلْوَاحاً وَأَدْرُسُهَا كَمَا أَدْرُسُ الْقُرْآنَ ، فَحَفِظْتُهَا فِي مُدَّةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ يَحْفَظُ فِي النَّحْوِ كِتَابَ الْإِيضَاحِ لِأَبِي عَلِيٍّ ، وَعَرُوضِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَكَانَ يَحْفَظُ فِي الْمَنْطِقِ أَرْجُوزَةَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ سِينَا ، وَكَانَ قَيِّماً بِمَعْرِفَةِ قَانُونِ الطِّبِّ لَهُ ، وَكَانَ عَارِفاً بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ ، وَيُنَاظِرُ أَهْلَهَا بِهَا ، حَتَّى لَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ يَقُولُ لَهُ : لَوْ حُلِّفْتُ أَنَّ سَيِّدَنَا كَانَ حَبْراً[1] مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ لَحَلَفْتُ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ هَذِهِ النُّصُوصَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ إِلَّا مَنْ تَدَرَّبَ بِهَذِهِ اللُّغَةِ .

وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ عِلْمَ الْأَدَبِ ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْفَتْحِ عُثْمَانَ بْنَ عِيسَى النَّحْوِيَّ الْبَلَطِيَّ ، وَهُوَ شَيْخُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، يَسْأَلُهُ سُؤَالَ الْمُسْتَفِيدِ عَنْ

---

(١) حبرا : الحبر مصدر ، والعالم أو الصالح من العلماء — وقال أبو عبيد : والذى عندى أنه الحبر بالفتح ومعناه : العالم بتحبير الكلام ، والعلم وتحسينه — وفى ديوان الأدب : الحبر بالكسر أفصح ، لأنه يجمع على أفعال . وكان الليث والسكيت يقولان بالفتح والكسر للعالم ، ذمياً كان أم مسلماً ، بعد أن يكون من أهل الكتاب ، وقال أهل المعانى : الحبر : العالم الذى صناعته تحبير المعانى بحسن البيان عنها وإتقانها . والأحبار مختص بعلماء اليهود من ولد هارون

حُرُوفٍ مِنْ حُوشِىِّ[١] اللُّغَةِ ، وَسَأَلَهُ يَوْمًا بِحَضْرِى عَمَّا وَقَعَ فِى أَلْفَاظِ الْعَرَبِ عَلَى مِثَالِ شَقَحْطَبَ ، فَقَالَ : هَذَا يُسَمَّى فِى كَلَامِ الْعَرَبِ الْمَنْحُوتَ[٢] ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الْكَلِمَةَ مَنْحُوتَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ ، كَمَا يَنْحَتُ النَّجَّارُ خَشَبَتَيْنِ ، وَيَجْعَلُهُمَا وَاحِدًا فَشَقَحْطَبَ مَنْحُوتٌ مِنْ شِقٍّ وَحَطَبٍ . فَسَأَلَهُ الْبَلَطِىُّ أَنْ يُثْبِتَ لَهُ مَاوَقَعَ مِنْ هَذَا الْمِثَالِ لِيُعَوِّلَ فِى مَعْرِفَتِهَا عَلَيْهِ ، فَأَمْلَاهَا عَلَيْهِ فِى نَحْوِ عِشْرِينَ وَرَقَةً مِنْ حِفْظِهِ ، وَسَمَّاهَا كِتَابَ تَنْبِيهِ الْبَارِعِينَ عَلَى الْمَنْحُوتِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ السَّعِيدَ أَبَا الْقَاسِمِ هِبَةَ اللهِ بْنَ الرَّشِيدِ جَعْفَرِ بْنِ سَنَاءِ الْمُلْكِ ، يَسْأَلُهُ عَنْ وَجْهِ الِامْتِحَانِ عَنْ كَلِمَاتٍ مِنْ غَرِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَهُوَ يُجِيبُ عَنْهَا بِشَوَاهِدِهَا.[٣] وَكَانَ الْقَاضِى الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ الْبَيْسَانِىُّ قَدْ وَضَعَهُ عَلَى ذَلِكَ .

---

(١) كانت فى الأصل : « حواشى اللغة »

(٢) المنحوت : النحت . فى اصطلاح أهل اللغة العربية ، جعل كلمتين كلمة واحدة كالعبشمى فى النسبة إلى عبد شمس ، والجعفلة : من جعلت فداءك ، وما إلى ذلك .

(٣) هكذا فى نسخة العماد ، وفى الاصل : « بشواردها » .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَنْ نَفْسِهِ قَالَ : لَمَّا دَخَلْتُ خُوزِسْتَانَ لَقِيتُ بِهَا الْمُجِيرَ الْبَغْدَادِيَّ تِلْمِيذَ الشَّهْرَسْتَانِيِّ ، وَكَانَ مُبَرِّزًا فِي عُلُومِ النَّظَرِ [1] فَأَحَبَّ صَاحِبُ خُوزِسْتَانَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَنَا لِلْمُنَاظَرَةِ فِي مَجْلِسِهِ ، وَبَلَغَنِي ذَلِكَ ، فَأَشْفَقْتُ مِنَ الِانْقِطَاعِ لِمَعْرِفَتِي بِوُفُورِ بِضَاعَةِ الْمُجِيرِ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ بِضَاعَتَهُ مِنَ اللُّغَةِ نَزْرَةٌ [2] ، فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلْمُنَاظَرَةِ وَالْمَجْلِسُ غَاصٌّ بِالْعُلَمَاءِ ، فَقُلْتُ لَهُ : نَعْرِضُ [3] الْكَلَامَ إِذًا ، أَفَرَأَيْتَ الطَّلَّةَ [4] إِلَى قَرِينِهَا فَارِهًا [5] فِي وَبْصَانَ [6] ، أَوِ الْجِسَادَ [7] إِذَا تَأَشَّبَ [8] بِأَبِي [9] الْمُغْبِثِ ؟ [10] فَاحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَسْتَفْسِرَ مَا قُلْتُ ، فَشَنَّعْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ : اُنْظُرْ إِلَى الْمُدَّعِي رُتْبَةَ الْإِمَامَةِ يَجْهَلُ لُغَةَ الْعَرَبِ ، الَّتِي بِهَا

---

(١) علوم النظر : يعنى علم الكلام وأدواته ، كالمنطق وآداب البحث ، والمناظرة .
(٢) نزرة : قليلة (٣) فى الاصل : « نعرض » . وفى نسخة العماد : تعرض
(٤) الطلة : الزوجة (٥) فارها : رجل فاره بين الفراهة . (٦) وبصان : شهر ربيع الآخر ، من أسمائهم القديمة (٧) الجساد : بكسر الجيم ، الزعفران.
(٨) تأشب : وائتشب : أى اختلط (٩) بأبى فى العماد . وفى الاصل : « بى »
(١٠) فى الاصل المغيث ولعلها كما ذكرنا : وهى أقط يلت بالسمن — والغبيثة أيضا لون إلى الغبرة

نَزَلَ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَجَاءَ حَدِيثُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَالْمُنَاظَرَةُ : إِنَّمَا اُشْتُقَّتْ مِنَ النَّظِيرِ ، وَلَيْسَ هَذَا بِنَظِيرِى ، لِجَهْلِهِ بِأَحَدِ الْعُلُومِ الَّتِى يَلْزَمُ الْمُجْتَهِدَ الْقِيَامُ بِهَا ، وَكَثُرَ لَغَطُ[1] أَهْلِ الْمَجْلِسِ ، وَانْقَسَمُوا فَرِيقَيْنِ فِرْقَةً لِى ، وَفِرْقَةً عَلَىَّ ، وَانْفَضَّ[2] الْمَجْلِسُ عَلَى ذَلِكَ ، وَشَاعَ فِي النَّاسِ أَنِّى قَطَعْتُهُ[3] . وَكَانَ الظَّهِيرُ قَدْ أَقَامَ بِالْقُدْسِ مُدَّةً ، فَاجْتَازَ بِهِ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عُثْمَانُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ ، فَرَآهُ عِنْدَ الصَّخْرَةِ يُدَرِّسُ ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَعَرَفَ مَنْزِلَتَهُ مِنَ الْعِلْمِ ، فَأَحْضَرَهُ عِنْدَهُ ، وَرَغَّبَهُ فِي الْمَصِيرِ مَعَهُ ، لِيَقْمَعَ[4] بِهِ شِهَابَ الدِّينِ أَبَا الْفَتْحِ الطُّوسِيَّ لِشَيْءٍ نَقَمَهُ[5] عَلَيْهِ ، فَوَرَدَ مَعَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ كُلَّ شَهْرٍ سِتِّينَ دِينَاراً ، وَمِائَةَ رِطْلٍ خُبْزاً وَخَرُوفاً وَشَمْعَةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْجُنْدِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَصَارَ

---

(١) اللغط : الصوت والجلبة . والصياح المختلط (٢) فى الاصل : « انفك » (٣) القطع : هو حسم الكلام بالقول الفصل حتى يذل المقطوع (٤) ليقمع به : قمعته قمعا : أذللته (٥) نقمه عليه : نقمت عليه أمره ، ونقمت منه نقما : من باب ضرب : بمعنى كره .

لَهُ سُوقٌ قَائِمٌ ، إِلَى أَنْ قَرَّرَ الْعَزِيزُ الْمُنَاظَرَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطُّوسِيِّ فِي غَدِ عِيدٍ ، وَعَزَمَ الظَّهِيرُ أَنْ يَسْلُكَ مَعَ الطُّوسِيِّ وَقْتَ الْمُنَاظَرَةِ طَرِيقَ الْمُجِيرِ مِنَ الْمُغَالَطَةِ ، لِأَنَّ الطُّوسِيَّ كَانَ قَلِيلَ الْمَحْفُوظِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ جَرِيئًا مِقْدَامًا شَدِيدَ الْمُعَارَضَةِ ، وَاتَّفَقَ أَنْ رَكِبَ الْعَزِيزُ يَوْمَ الْعِيدِ ، وَرَكِبَ مَعَهُ الظَّهِيرُ وَالطُّوسِيُّ ، فَقَالَ الظَّهِيرُ لِلْعَزِيزِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَنْتَ يَا مَوْلَانَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَوَجَدَ الطُّوسِيُّ السَّبِيلَ إِلَى مَقْتَلِهِ فَقَالَ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ وَكَيْفَ تُزَكِّي[1] عَلَى اللهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ لَهُ الظَّهِيرُ : قَدْ زَكَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ . فَقَالَ : أَبَيْتَ يَا مِسْكِينُ إِلَّا جَهْلًا ، مَا تُفَرِّقُ بَيْنَ التَّزْكِيَةِ عَنِ اللهِ ، وَالتَّزْكِيَةِ عَلَى اللهِ ؟ وَأَنْتَ مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ هٰذَا مِنْ أَهْلِ

---

(١) تزكى على الله : يقال : زكى نفسه : مدحها ، وزكاه الله : أنماه الله وطهره وأصلحه . يقول : كيف تفتات على الله فى حكم غيب عنك ؟

الْجَنَّةِ ؟ مَا أَنْتَ إِلَّا كَمَا زَعَمُوا : أَنَّ فَأْرَةً وَقَعَتْ فِي دَنِّ[1] خَمْرٍ ، فَشَرِبَتْ فَسَكِرَتْ ، فَقَالَتْ أَيْنَ الْقِطَاطُ[2] ؟ فَلَاحَ لَهَا هِرٌّ ، فَقَالَتْ : لَا تُؤَاخِذِ السُّكَارَى بِمَا يَقُولُونَ . وَأَنْتَ شَرِبْتَ مِنْ خَمْرِ دَنِّ نِعْمَةِ هَذَا الْمَلِكِ فَسَكِرْتَ ، فَصِرْتَ تَقُولُ خَالِياً : أَيْنَ الْعُلَمَاءُ ؟ فَأَبْلَسَ[3] وَلَمْ يَجِدْ جَوَاباً وَانْصَرَفَ ، وَقَدْ انْكَسَرَتْ حُرْمَتُهُ عِنْدَ الْعَزِيزِ ، وَشَاعَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ بَيْنَ الْعَوَامِّ ، وَصَارَتْ تُحْكَى فِي الْأَسْوَاقِ وَالْمَحَافِلِ . فَكَانَ مَآلُ أَمْرِهِ أَنِ انْضَوَى[4] إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ تَرْكُونُ الْأَسَدِيُّ ، يُدَرِّسُ بِهَا مَذْهَبَ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَكَانَ قَدْ أَمْلَى كِتَاباً فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، وَصَلَ مِنْهُ بَعْدَ سِنِينَ إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » فِي نَحْوِ مِائَتَيْ وَرَقَةٍ ، وَمَاتَ وَلَمْ يَخْتِمْ تَفْسِيرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . وَلَهُ :

---

(١) دن خمر : الدن واحد الدنان : وهو الخابية (٢) القطاط جمع قط
(٣) فأبلس : أى سكت غما ، والابلاس : الانكسار والحزن (٤) انضوى إليه انضواء : انضم اليه ولجأ وأوى

كِتَابٌ فِي شَرْحِ الصَّحِيحَيْنِ عَلَى تَرْتِيبِ الْحُمَيْدِيِّ سَمَّاهُ كِتَابَ الْحُجَّةِ ، اخْتَصَرَهُ مِنْ كِتَابِ الْإِفْصَاحِ فِي تَفْسِيرِ الصِّحَاحِ لِلْوَزِيرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَزَادَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَيْهَا ، وَكِتَابٌ فِي اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَفُقَهَاءِ الْأَنْصَارِ وَلَمْ يَتِمَّ . وَلَهُ خُطَبٌ وَفُصُولٌ وَعَظِيَّةٌ مَشْحُونَةٌ بِغَرِيبِ اللُّغَةِ وَحُوشِيِّهَا .

﴿ ٩ — الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ الرَّقِّيُّ * ﴾

الحسن ابن داود الرقي

أَبُو عَلِيٍّ ، لَا أَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا مَا وَجَدْتُهُ بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الشِّمْشِيِّ اللُّغَوِيِّ . حَدَّثَنَا النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ النَّاقِطُ قَالَ : حَدَّثَنَا النَّاقِطُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلِ بْنِ خَلَفِ بْنِ شَجَرَةَ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْبَرْدِيُّ : سَمِعْتُ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ دَاوُدَ أَبِي عَلِيٍّ الرَّقِّيِّ بِسُرَّ مَنْ رَأَى ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ كِتَابَهُ

(*) لم نعثر فيما رجعنا اليه من مظان على من ترجم له سوى ياقوت

الَّذِي يُسَمِّيهِ كِتَابَ الْحُلِيِّ ، وَكَانَ وَقْتَ كَتَبْنَا عَنْهُ قَدْ جَازَ الثَّمَانِينَ ، وَأَخْرَجَ إِلَيَّ أَبُو أَحْمَدَ الْكِتَابَ ، فَإِذَا هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي سَمَّاهُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى فَصِيحَ الْكَلَامِ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ النَّاقِطُ : قَالَ ابْنُ كَامِلٍ : وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ مُؤَدِّبَ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَزِيرِ الْمُعْتَضِدِ .

﴿ ١٠ — الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْحَسَنِ الْقُرَشِيُّ * ﴾

الحسن ابن داود القرشي

الْمَعْرُوفُ بِالْبَقَّارِ الْمُقْرِئُ ، يُكْنَى أَبَا عَلِيٍّ ، أُمَوِيٌّ كُوفِيٌّ ، قَرَأَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ ، الْمَعْرُوفِ بِالْخَيَّاطِ التَّمِيمِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْقَمْلِيِّ أَيْضًا - عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ ابْنِ حَبِيبٍ الشَّمُّونِيِّ الْكُوفِيِّ ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ خَلِيفَةَ الْأَعْشَى ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ ، عَنْ عَاصِمٍ - قِرَاءَةَ عَاصِمٍ . وَمَاتَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَصَنَّفَ كُتُبًا مِنْهَا : كِتَابُ قِرَاءَةِ الْأَعْشَى ، كِتَابُ اللُّغَةِ فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَأُصُولِ النَّحْوِ ، ذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١٩

الْهَمَذَانِيُّ فِي كِتَابِ الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ لَهُ فِي نَسَبِ الْبَقَّارِ: «الْحَسَنُ ابْنُ دَاوُدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَوْنِ بْنِ مُنْذِرِ بْنِ صَبِيحٍ الْقُرَشِيُّ النَّحْوِيُّ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِحُسْنِ الْقِرَاءَةِ وَطِيبِ النَّغَمِ (١) جِدًّا».

وَقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ فِي تَارِيخِ الْكُوفَةِ: وَمِنْ (٢) خِيَارِ رِجَالِ عَاصِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ الصَّيْرَفِيُّ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَمْلِيِّ اخْتِلَافَاتٌ فِي حُرُوفٍ يَسِيرَةٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْهُمْ: أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ الْبَقَّارُ، وَكَانَ حَاذِقًا بِالنَّحْوِ، لَفَّاظًا بِالْقُرْآنِ، صَاحِبَ أَلْحَانٍ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ التَّرَاوِيحَ بِالْجَامِعِ بِالْكُوفَةِ، وَصَلَّى فِيهِ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ أَحَدَ الْمُجَوِّدِينَ (٣).

﴿ ١١ — الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ الْقَيْرَوَانِيُّ * ﴾

الحسن ابن رشيق

مَوْلَى الْأَزْدِ، كَانَ شَاعِرًا أَدِيبًا، نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا،

(١) النغم: من قولهم فلان: حسن النغمة: أي حسن الصوت في القراءة

(٢) في الاصل: «ومن تاريخ» (٣) المجودين: من جود القارىء: حافظ على التجويد في قراءته

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٠

حَاذِقًا عَرُوضِيًّا ، كَثِيرَ التَّصْنِيفِ ، حَسَنَ التَّأْلِيفِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ شَرَفٍ الأَدِيبِ مُنَاقَضَاتٌ(١) وَمُحَاقَدَاتٌ(٢) ، وَصَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ عِدَّةَ تَصَانِيفَ . كَانَ أَبُوهُ رَشِيقٌ رُومِيًّا ، ذَكَرَ ذَلِكَ هُوَ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ شَرَفٍ ، بَعْدَ ذِكْرِهِ نَسَبَ ابْنِ شَرَفٍ : هُوَ اسْمُ امْرَأَةٍ نَائِحَةٍ ثُمَّ قَالَ : وَأَمَّا أَنَا — فَنَضَّرَ اللهُ وَجْهَ هَذَا الشَّيْخِ فِيَّ(٣) ، وَأَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيَّ — ، فَمَا أَبْغِي بِهِ أَبًا ، وَلَا أَرْضَى بِمَذْهَبِهِ مَذْهَبًا . رَضِيتُ بِهِ رُومِيًّا ، لَادَعِيًّا(٤) ، وَلَا بِدْعِيًّا(٥) .

تَأَدَّبَ ابْنُ رَشِيقٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ القَزَّازِ القَيْرَوَانِيِّ النَّحْوِيِّ اللُّغَوِيِّ ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ القَيْرَوَانِ . وَمَاتَ بِالقَيْرَوَانِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، عَنْ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً ، ذَكَرَ ابْنُ رَشِيقٍ هَذَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي

---

(١) مناقضات : أى مخالفات فى الرأى . (٢) محاقدات : من الحقد أى ضغائن .
(٣) فى الأصل : « فنظر الله ى وجه هذا الشيخ إلى » (٤) الدعى : المتهم فى نسبه ، والذى يدعى غير أبيه ، وجمعه أدعياء (٥) بدعيا : منسوب إلى البدعة : وهى زيادة فى الدين أو نقصان منه بعد الإكمال ، من الاهواء والاعمال . وقيل : ما أحدث وخالف كتابا أو سنة أو إجماعا أو أثرا ، فهو البدعة الضالة ، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك ، فهو البدعة المحمودة ، والجمع بدع

شُعَرَاء عَصْرِهِ، وَوَسَمَهُ بِالنَّمُوذَجِ (١) فَقَالَ فِي آخِرِهِ : صَاحِبُ الْكِتَابِ هُوَ حَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ، مَوْلًى مِنْ مَوَالِي الْأَزْدِ، وُلِدَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَتَأَدَّبَ بِهَا يَسِيراً. وَقَدِمَ إِلَى الْحَضْرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَامْتَدَحَ سَيِّدَنَا ـ خَلَّدَ اللهُ دَوْلَتَهُ ـ.

« قَالَ الْمُؤَلِّفُ يَعْنِي الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ بْنِ الْمَنْصُورِ » سَنَةَ عَشْرٍ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

ذُمَّتْ لِعَيْنِكِ أَعْيُنُ الْغِزْلَانِ
قَمَرٌ أَقَرَّ لِحُسْنِهِ الْقَمَرَانِ (٢)
وَمَشَتْ وَلَا وَاللهِ مَاحِقْفُ (٣) النَّقَا
مِمَّا أَرَتْكَ وَلَا قَضِيبُ الْبَانِ (٤)
وَثَنُ (٥) الْمَلَاحَةِ غَيْرَ أَنَّ دِيَانَتِي
تَأْبَى عَلَيَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ

---

(١) كانت فى الأصل : « الانموذج » وهو لحن، وقد سبق الكلام عليه

(٢) القمران : الشمس والقمر (٣) حقف النقا : المعوج من الرمل

(٤) البان : شجر سبط القوام لين يشبه به القد لتثنيه (٥) الوثن : الصنم، والمعنى: معبود الحسن والجمال

مِنْهَا :

يَا بْنَ الْأَعِزَّةِ مِنْ أَكَابِرِ حِمْيَرٍ
وَسُلَالَةِ الْأَمْلَاكِ مِنْ قَحْطَانِ
مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ (١) وَاضِحٍ (٢) بِلِسَانِهِ
يَضَعُ السُّيُوفَ مَوَاضِعَ التِّيجَانِ

قَالَ : وَمِنْ مِدَحِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي دَخَلَ بِهَا فِي جُمْلَتِهِ ، وَنُسِبَ إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَلَزِمَ الدِّيوَانَ وَأَخَذَ الصِّلَةَ وَالْحُمْلَانَ :

لَدْنُ (٣) الرِّمَاحِ لِمَا يَسْقِي أَسِنَّتَهَا
مِنْ مُهْجَةِ الْقَيْلِ أَوْ مِنْ ثُغْرَةِ الْبَطَلِ
لَوْ أَثْمَرَتْ مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ سُمْرُ قَنًا
لَأَوْرَقَتْ عِنْدَهُ سُمْرُ الْقَنَا الذُّبُلِ
إِذَا تَوَجَّهَ فِي أُولَى كَتَائِبِهِ
لَمْ تَفْرِقِ الْعَيْنُ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

(١) يقال : رجل أبلج الوجه : أى مشرقه (٢) فى نسخة العماد الخطية « واضح »

(٣) أى لين ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف القيل : الملك — ثغرة البطل : نقرة فى نحره

فَالْجَيْشُ يَنْفُضُ حَوْلَيْهِ أَسِنَّتَهُ

نَفْضَ الْعُقَابِ جَنَاحَيْهِ مِنَ الْبَلَلِ

يَأْبَى الْأُمُورَ عَلَى رِفْقٍ وَفِى دَعَةٍ

عَجْلَانَ كَالْفَلَكِ الدَّوَّارِ فِى مَهَلِ

قَالَ: وَمِنْ رِثَائِهِ:

أَمَا لَئِنْ صَحَّ مَاجَاءَ الْبَرِيدُ بِهِ

لَيَكْثُرَنَّ مِنَ الْبَاكِينَ أَشْيَاعِى

مَازِلْتُ أَفْزَعُ مِنْ يَأْسٍ وَمِنْ طَمَعٍ

حَتَّى تَرَفَّعَ يَأْسِى فَوْقَ أَطْمَاعِى

فَالْيَوْمَ أُنْفِقُ كَنْزَ الْعُمْرِ أَجْمَعَهُ

لَمَّا مَضَى وَاحِدُ الدُّنْيَا بِإِجْمَاعِ

قَالَ: وَمِنْ هِجَائِهِ:

قَالُوا رَأَيْنَا فُرَاتًا (١) لَيْسَ يُوجِعُهُ

مَايُوجِعُ النَّاسَ مِنْ هَجْوٍ إِذَا قُذِفَا

---

(١) أى كالفرات فى السعة وكثرة الماء، بمعنى أن كل مايقال يغرق فيه ولا أثر له.

وَلَهُ مِنْ كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ :

مُعَتَّقَةٌ يَعْلُو الْحَبَابُ مُتُونَهَا
فَتَحْسَبُهُ فِيهَا نَثِيرَ جُمَانِ (١)

رَأَتْ مِنْ لُجَيْنٍ رَاحَةً لِمُدِيرِهَا
فَطَافَتْ لَهُ مِنْ عَسْجَدٍ بِبَنَانِ

وَمِنْ غَيْرِ كِتَابِهِ لَهُ :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِيَ لَيْلَةٌ
مِنَ الْعُمْرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبَا

خَلَوْنَا بِهَا نَنْفِي الْقَذَا عَنْ عُيُونِنَا
بِلُؤْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكْبَا

وَمِلْنَا لِتَقْبِيلِ الثُّغُورِ وَلَثْمِهَا
كَمَيْلِ جَنَاحِ الطَّيْرِ يَلْتَقِطُ الْحَبَّا (٢)

قَالَ الْأَبِيوَرْدِيُّ : هَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

---

(١) جمان : جمع جمانة ، ونثير بمعنى منثور (٢) البيت الثالث فى نسخة العماد

كَمْ مِنْ عِنَاقٍ لَنَا ،وَمِنْ قُبَلٍ
مُخْتَلَسَاتٍ حِذَارَ مُرْتَقِبِ
نَقْرَ الْعَصَافِيرِ ـ وَهْىَ خَائِفَةٌ
مِنَ النَّوَاطِيرِ ـ[1] يَانِعَ الرُّطَبِ

وَلَهُ أَيْضاً :

قَدْ حَنَّكَتْ[2] مِنِّى التَّجَا
رِبُ[3] كُلَّ شَىْءٍ غَيْرَ جُودِى
أَبَدًا أَقُولُ لَئِنْ كَسَبْ
تُ لَأَقْبِضَنَّ بِيَدَىْ شَدِيدِ
حَتَّى إِذَا أَثْرَيْتُ عُدْ
تُ إِلَى السَّمَاحَةِ مِنْ جَدِيدِ
إِنَّ الْمُقَامَ بِمِثْلِ حَا
لِى لَا يَتِمُّ مَعَ الْقُعُودِ

---

(١) النواطير : جمع ناطور : وهو حارس الكرم وحافظه ، يريد قبلا تشبه نقر العصافير ليانع الرطب (٢) وفى الاصل : حكمت فأصلحت الى حنكت أى أحكمت (٣) التجارب : تجربة ، وجربت الشىء تجزيبا : اختبرته مرة بعد أخرى

لَا بُدَّ لِي مِنْ رِحْلَةٍ
تُدْنِي مِنَ الْأَمَلِ الْبَعِيدِ

وَلَهُ أَيْضاً :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ
إِلَّا إِذَا مُسَّ بِإِضْرَارِ
كَالْعُودِ لَا يُطْمَعُ فِي طِيبِهِ
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَمْسَسْهُ بِالنَّارِ

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ ابْنُ رَشِيقٍ لِنَفْسِهِ فِي النَّمُوذَجِ :

أَقُولُ كَالْمَأْسُورِ فِي لَيْلَةٍ
أَلْقَتْ عَلَى الْآفَاقِ كَلْكَالَهَا(١)
يَا لَيْلَةَ الْهَجْرِ الَّتِي لَيْتَهَا
قَطَّعَ سَيْفُ الْهَجْرِ أَوْصَالَهَا
مَا أَحْسَنَتْ جُمْلٌ(٢) وَلَا أَجْمَلَتْ
هَذَا وَلَيْسَ الْحُسْنُ إِلَّا لَهَا

---

(١) الكلكل والكلكال : الصدر ، أو ما بين الترقوتين . والمراد به هنا لازمه وهو ثقله ، أى ليلة كثيرة الهم (٢) فى العماد : وفى الاصل « حمله »

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ أَيْضاً :

أُحِبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ
وَقَلَّ عَلَى مَسَامِعِهِ كَلَامِي

وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبُ[1] رَاضٍ
كَمَا قَطَّبْتَ فِي وَجْهِ الْمُدَامِ[2]

وَرُبَّ تَجَهُّمٍ[3] مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ
وَضِغْنٍ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامِ

وَلَهُ أَيْضاً :

مَنْ جَفَانِي فَإِنَّنِي غَيْرُ جَافٍ
صِلَةً[4] أَوْ قَطِيعَةً فِي عَفَافِ

رُبَّمَا هَاجَرَ الْفَتَى مَنْ يُصَافِيهِ
وَلَاقَى بِالْبِشْرِ مَنْ لَا يُصَافِي

---

(١) يقال : قطب قطبا وقطوبا ، وقطب . الرجل ، زوى ما بين عينيه وكلح فهو مقطب (٢) المدام والمدامة : الخمر (٣) فى وفيات الاعيان : تقطب ، — ويقال : تجهمه وتجهم له : استقبله بوجه عبوس . (٤) يريد : أصله صلة ، أو أقطعه قطيعة ، ولكن لاضرر منها ، إذ أنها قطيعة فى عفة عن الاضرار به . « عبد الخالق »

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ فَسْحِ اللُّمَحِ :

الْمَرْءُ فِي فُسْحَةٍ كَمَا عَلِمُوا
حَتَّى يُرَى شِعْرُهُ وَتَأْلِيفُهْ

فَوَاحِدٌ مِنْهُمَا صَفَحْتَ لَهُ
عَنْهُ وَجَازَتْ لَهُ زَخَارِيفُهْ (١)

وَآخَرٌ نَحْنُ (٢) مِنْهُ فِي غَرَرٍ
إِنْ لَمْ يُوَافِقْ رِضَاكَ تَنْقِيفُهْ

وَقَدْ بَعَثْنَا كِيسَيْنِ مِلْؤُهُمَا
نَقْدُ امْرِئٍ حَاذِقٍ وَتَزْيِيفُهْ (٣)

فَانْظُرْ وَمَا زِلْتَ أَهْلَ مَعْرِفَةٍ
يَا مَنْ لَنَا عِلْمُهُ وَمَعْرُوفُهْ

ثُمَّ قَالَ فِي وَرَقَةٍ أُخْرَى تَمَامَ الْأَبْيَاتِ الْعَيْنِيَّةِ ، وَمَا وَجَدْتُهَا أَعْنِي الْأَبْيَاتَ الَّتِي هَذِهِ تَمَامُهَا :

---

(١) جمع زخرف : وهو التحسين والتزيين ، وزخرف الكلام : أباطيله المموهة . يريد فواحد منهما إما صفحت له عنه وأجزت زخاريفه ، وإما نازعته القول .
(٢) فى العماد : والأصل : « نجرى » (٣) يريد أن شعره مثل كيسين ملئا دراهم ، منها الزائف ومنها الخالى من الزيف

وَلَوْ غَيْرُكَ الْمَوْسُومُ عِنْدِى بِرِيبَةٍ
لَأَعْطَيْتُ فِيهِ مُدَّعِي الْقَوْمِ مَا ادَّعَى

فَلَا تَتَخَالَجَكَ[1] الظُّنُونُ فَإِنَّهَا
مَآثِمُ وَاتْرُكْ لِلصَّنَائِعِ[2] مَوْضِعَا

فَوَاللهِ مَا طَوَّلْتُ[3] بِاللَّوْمِ فِيكُمُ
لِسَانًا وَلَا عَرَّضْتُ لِلذَّمِّ مَسْمَعَا

وَلَا مِلْتُ عَنْكُمْ بِالْوِدَادِ وَلَا انْطَوَتْ[4]
حِبَالِى وَلَا وَلَّى ثَنَائِى مُوَدِّعَا

بَلَى رُبَّمَا أَكْرَمْتُ نَفْسِى فَلَمْ تَهُنْ
وَأَجْلَلْتُهَا عَنْ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا

فَبَايَنْتُ[5] لَا أَنَّ الْعَدَاوَةَ بَايَنَتْ
وَقَاطَعْتُ لَا أَنَّ الْوَفَاءَ تَقَطَّعَا

---

(١) تتخالجك : تتناوبك وتتجاذبك (٢) الصنائع جمع صنيعة : وهى الاحسان والصنع الجميل (٣) طوله : جعله طويلا ، والمراد : لم أمدد لسانى بالكلام فى عرضكم . (٤) انطوت : جمعت كأنها انقطعت (٥) أى قاطعتكم وليس هذا ، لأن العداوة الباعثة على المقاطعة ، كما أن المقاطعة لم تكن لأن الوفاء زال عبد الخالق

وَخَتَمَ كِتَابَ الْعُمْدَةِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنَّ الَّذِى صَاغَتْ يَدِى وَفَمِى
وَجَرَى لِسَانِى فِيهِ أَوْ قَلَمِى

مِمَّا عُنِيتُ بِسَبْكِ خَالِصِهِ
وَاخْتَرْتُهُ مِنْ جَوْهَرِ الْكَلِمِ

لَمْ أُهْدِهِ إِلَّا لِتَكْسُوَهُ
ذِكْراً يُجَدِّدُهُ عَلَى الْقِدَمِ

لَسْنَا نَزِيدُكَ فَضْلَ مَعْرِفَةٍ
لَكِنَّهُنَّ مَصَايِدُ الْكَرَمِ

فَاقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ أَشَدْتَ[1] بِهِ
وَنَسَخْتَ[2] عَنْهُ آيَةَ الْعَدَمِ

لَا تُحْسِنُ الدُّنْيَا أَبَا حَسَنٍ
تَأْتِى[3] بِمِثْلِكَ فَائِقَ الْهِمَمِ

(١) أشاد بذكره : أى رفعه بالثناء عليه . (٢) نسخ الشىء : أزاله وأبطله .
(٣) تأتى : يريد أن تأتى

﴿ ١٢ – اَلْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ صَافِيٍّ * ﴾

الحسن بن صافى

أَبُو نِزَارٍ النَّحْوِيُّ ، وَكَانَ أَبُوهُ صَافِيٌّ مَوْلَى الْحُسَيْنِ الْأَرْمَوِيِّ التَّاجِرِ ، وَكَانَ لَا يَذْكُرُ اسْمَ أَبِيهِ إِلَّا بِكُنْيَتِهِ ، لِئَلَّا يُعْرَفَ أَنَّهُ مَوْلًى ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِمَلِكَ النُّحَاةِ . قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ عَسَاكِرٍ الْحَافِظُ : ذَكَرَ لِي أَنَّهُ وُلِدَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِشَارِعِ دَارِ الرَّقِيقِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ إِلَى جِوَارِ حَرَمِ الْخِلَافَةِ ، وَهُنَاكَ قَرَأَ الْعِلْمَ وَتَخَرَّجَ . وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الشَّرِيفِ أَبِي طَالِبٍ الزَّيْنَبِيِّ ، وَقَرَأَ الْفِقْهَ عَلَى أَحْمَدَ ، وَأُصُولَ الْفِقْهِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ بُرْهَانٍ ، وَالْخِلَافَ عَلَى أَسْعَدَ الْمِيهَنِيِّ ، وَالنَّحْوَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي زَيْدٍ الْأَسْتَرَابَاذِيِّ الْفَصِيحِيِّ ، وَفُتِحَ لَهُ الْجَامِعُ وَدَرَّسَ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ وَكَرْمَانَ (١)

(١) وقد تكسر الكاف ، وقيل ان الكسر لحن

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٠

وَغَزْنَةَ ، وَدَخَلَ إِلَى الشَّامِ وَقَدِمَ دِمَشْقَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَعَادَ إِلَيْهَا وَاسْتَوْطَنَهَا إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا ، فِي تَاسِعِ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْبَابِ الصَّغِيرِ ، وَكَانَ قَدْ نَاهَزَ[1] الثَّمَانِينَ ، وَكَانَ صَحِيحَ الِاعْتِقَادِ كَرِيمَ النَّفْسِ ، ذَكَرَ لِي أَسْمَاءَ مُصَنَّفَاتِهِ : كِتَابُ الْحَادِي فِي النَّحْوِ مُجَلَّدَتَانِ ، كِتَابُ الْعُمَدِ فِي النَّحْوِ مُجَلَّدَةٌ وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ ، كِتَابُ الْمُقْتَصَدِ فِي التَّصْرِيفِ مُجَلَّدَةٌ ضَخْمَةٌ ، كِتَابِ أُسْلُوبِ الْحَقِّ فِي تَعْلِيلِ الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ ، وَشَيْءٍ مِنَ الشَّوَاذِّ مُجَلَّدَتَانِ ، كِتَابُ التَّذْكِرَةِ السَّفَرِيَّةِ[2] انْتَهَتْ إِلَى أَرْبَعِمِائَةِ كُرَّاسَةٍ ، كِتَابُ الْعَرُوضِ مُخْتَصَرٌ مُحَرَّرٌ[3] ، كِتَابٌ فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ سَمَّاهُ الْحَاكِمَ مُجَلَّدَتَانِ ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي أُصُولِ الدِّينِ ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ ، كِتَابُ الْمَقَامَاتِ

---

(١) ناهز الثمانين : داناها وقاربها . (٢) فى البغية : « السنجرية » وفى العماد : « التذكرة السفرية » . كما هنا . (٣) من حرر الكتاب ، حسنه ، وأصلحه .

حَذَا حَذْوَ الْحَرِيرِىِّ . وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

يَا قَاصِدًا يَثْرِبَ(١) الْفَيْحَاءَ مُرْتَجِيًا
أَنْ يَسْتَجِيرَ بِعَلْيَا خَاتَمِ الرُّسُلِ

خُذْ عَنْ أَخِيكَ مَقَالًا إِنْ صَدَعْتَ بِهِ(٢)
مُدِحْتَ فِى آخِرِ الْأَعْصَارِ وَالْأُوَلِ

قُلْ يَا مَنِ الْفَخْرُ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ فَإِنْ
تُذُوكِرَ الْفَخْرُ لَمْ يَصْدِفْ(٣) وَلَمْ يَمِلِ

صِيتٌ(٤) إِذَا طُلِبَتْ غَايَاتُهُ خَرَقَتْ
سَبْعًا طِبَاقًا(٥) فَبَذَّتْ كُلَّ ذِى أَمَلِ

عَلَوْتَ وَازْدَدْتَ حَتَّى عَادَ مُنْتَزِحًا(٦)
جِبْرِيلُ عَمَّا لَهُ قَدْ كَانَ لَمْ يَطُلِ

---

(١) يثرب : المدينة المنورة التى بها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والفيحاء : الواسعة

(٢) صدعت به : جهرت من قوله : « فأصدع بماتؤمر » آثر شبه التبليغ بصدع الزجاج بجامع أن كلا له تأثيره البالغ (٣) صدف عنه : أعرض (٤) الصيت : الذكر الحسن

(٥) يريد السموات السبع (٦) عاد بمعنى صار ـ ومنتزحا بمعنى مبتعدا

وَعُدْتَ والْـكِبْرُ قَدْ نَافَى عُلَاكَ فَمَا
عَدَوْتَ شِيمَةَ سَبْطِ[1] الْخَلْقِ مُبْتَهِلِ

أَتَتْكَ غُرُّ قَوَافِى الْمَدْحِ خَاضِعَةً
لَدَيْكَ فَاقْبَلْ ثَنَاءً غَيْرَ مُنْتَحَلِ[2]

ثَنَاءَ مَنْ لَمْ يَجِدْ وَجْنَاءَ[3] تَحْمِلُهُ
إِلَيْكَ أَوْ صُدَّ بِالْإِقْتَارِ[4] عَنْ جَمَلِ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

حَنَانَيْكَ[5] إِنْ جَاءَتْكَ يَوْمًا خَصَائِصِى[6]
وَهَالَكَ[7] أَصْنَافُ الْـكَلَامِ الْمُسَخَّرِ

---

(١) يقال : هو سبط الجسم : أى معتدل القوام حسن القد (٢) انتحل الشعر أو القول : ادعاه لنفسه ، وهو لغيره ، فيريد غير مدعى ولا مختلقا (٣) الوجناء . الناقة الشديدة (٤) الاقتار . من ، أقتر الرجل . قل ماله وافتقر (٥) حنانيك . بلفظ التثنية . كلبيك ، وسعديك ، أى تحنن على مرة بعد أخرى ، وحنانا بعد حنان . والتثنية فيه للتكثير لا للدلالة على الاثنين . والعرب تقول : حنانك يارب ، وحنانيك يارب ، بمعنى واحد ، أى رحمتك (٦) جمع خاصة : وهي ما كان خاصا يريد ان رأيت من القول مالا يقوله غيرى (٧) هالك : يقال : هال فلان الامر . أفزعه وعظم عليه . من الهول

فَسَلْ مُنْصِفاً عَنْ حَالَتِي غَيْرَ جَائِرٍ
يُخَبِّرْكَ أَنَّ الْفَضْلَ لِلْمُتَأَخِّرِ

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُنِيرٍ يَهْجُو مَلِكَ النُّحَاةِ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ أَبُو نِزَارٍ إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ « الْعَاصِوِيُّ » :

أَيَا مَلِكَ النَّحْوِ[1] وَالْخَاءُ مِنْ
تَهَجِّيهِ مِنْ تَحْتُ قَدْ أَعْجَمُوهَا

أَتَانَا قِيَاسُكَ هَـذَا الَّذِي
يُعَجِّمُ[2] أَشْيَاءَ قَدْ أَعْرَبُوهَا

وَلَمَّا تَصَنَّعْتُ فِي الْعَاصَوِيِّ
غَدَا وَجْهُ جَهْلِكَ[3] فِيهِ وَجُوهَا

وَقَالُوا قَفَا[4] الشَّيْخُ إِنَّ الْمُلُو
كَ إِذَ دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا

---

(١) كانت فى الاصل : « النحاة » وفى العماد : « النحو » . (٢) أى يجعله أعجميا
(٣) فى الاصل : « وجهك » وفى العماد : « جهلك » (٤) قفا : يقفو قفوا وقفوا : تبع ، يريد عمل بما فى الآية

فَبَلَغَتْ أَبْيَاتُهُ مَلِكَ النُّحَاةِ فَأَجَابَهُ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا :

أَيَابْنَ مُنِـيرٍ حَسِبْتَ الْهِجَا
ءَ رُتْبَةَ فَخْرٍ فَبَالَغْتَ فِيهَا

جَمَعْتَ الْقَوَافِيَ مِنْ ذَا وَذَا
وَأَفْسَدْتَ أَشْيَاءَ قَدْ أَصْلَحُوهَا

وَفِي آخِرِها :

فَقَالُوا قَفَا الشَّيْخُ إِنَّ الْمُلُو
كَ إِذَا أَخْطَأَتْ سُوقَةٌ أَدَّبُوهَا

قَالَ الْبَلَطِيُّ : كَانَ مَلِكُ النُّحَاةِ قَدِمَ إِلَى الشَّامِ ، فَهَجَاهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، ابْنُ مُنِيرٍ وَالْقَيْسَرَانِيُّ ، وَالشَّرِيفُ الْوَاسِطِيُّ . وَاسْتَخَفَّ[1] بِهِ ابْنُ الصُّوفِيِّ وَلَمْ يُوَفِّهِ قَدْرَ مَدْحِهِ ، فَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَمَدَحَ جَمَالَ الدِّينِ ، وَجَمَاعَةً مِنْ رُؤَسَائِهَا وَقُضَاتِهَا . فَلَمَّا نَبَتْ[2] بِهِ الْمَوْصِلُ ، قِيلَ

(١) استخف به ، أى استهان (٢) نبت به الموصل : أى لم يجد بها قرارا

لَهُ : لَوْ رَجَعْتَ إِلَى الشَّامِ ، فَقَالَ : لَا أَرْجِعُ إِلَى الشَّامِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ ٱبْنُ الصُّوفِيِّ ، وَٱبْنُ مُنِيرٍ ، وَالْقَيْسَرَانِيُّ ، وَالشَّرِيفُ الْوَاسِطِيُّ ، فَقُتِلَ الشَّرِيفُ الْوَاسِطِيُّ ، وَمَاتَ ٱبْنُ مُنِيرٍ وَالْقَيْسَرَانِيُّ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ ، وَمَاتَ الصُّوفِيُّ بَعْدَهُمْ بِأَشْهُرٍ .

وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا أَبُو الْبَقَاءِ . يَعِيشُ بْنُ عَلِيٍّ ٱبْنِ يَعِيشَ النَّحْوِيُّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ لِمَلِكِ النُّحَاةِ غُلَامٌ وَكَانَ سَيِّءَ الْعِشْرَةِ ، قَلِيلَ الْمُبَالَاةِ بِمَوْلَاهُ مَلِكِ النُّحَاةِ ، فَأَرْسَلَهُ يَوْمًا فِي شُغْلٍ لِيَتَعَجَّلَهُ فِي إِنْجَازِهِ ، فَأَبْطَأَ فِيهِ غَايَةَ الْإِبْطَاءِ ، ثُمَّ جَاءَ بِعُذْرٍ غَيْرِ جَمِيلٍ ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَلِكَ النُّحَاةِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْدِقَائِهِ وَالتَّلَامِذَةِ ، فَغَضِبَ مَلِكُ النُّحَاةِ ، وَخَرَجَ عَنْ حَدِّ الْوَقَارِ الَّذِي كَانَ يَلْتَزِمُهُ وَيَتَوَخَّاهُ[1] وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ[2] أَخْبِرْنِي ، مَا سَبَبُ قِلَّةِ مُبَالَاتِكَ بِي ،

---

(١) توخى الأمر توخياً : تعمده ، وتطلبه دون سواه (٢) ويلك : الويل : حلول الشر والهلاك ، ويدعى به لمن وقع فى هلكة يستحقها ـ ويل لك ـ ونظيره : ويله ، أصلها : ويل لأمه ، وتستعمل أيضاً فى الدعاء على الشخص ثم استعملت فى التعجب والاستحسان مثل « قاتله الله » « ولا أب لك » ونحوها .

وَاُطَّرَاحِكَ لِقَبُولِ أَوَامِرِى ؟ أَ نِكْتُكَ قَطُّ ؟ فَبَادَرَ الْغُلَامُ وَقَالَ : لَا وَاللهِ يَا مَوْلَاىَ ، مَعَاذَ (١) اللهِ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ بِى ، فَإِنَّكَ أَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : وَيْلَكَ ، فَنِكْتَنِى قَطُّ ؟ فَحَرَّكَ الْغُلَامُ رَأْسَهُ مُتَعَجِّبًا مِنْ كَلَامِهِ وَسَكَتَ . فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ أَدْرِكْنِى بِالْجَوَابِ ، هَذَا مَوْضِعُ السُّكُوتِ ؟ — لَارَعَاكَ اللهُ — يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ ، عَجِّلْ ، قُلْ مَا عِنْدَكَ ، قُلْ ، فَقَالَ : لَاوَاللهِ . قَالَ : فَمَا السَّبَبُ فِى أَنَّكَ لَا تَقْبَلُ قَوْلِى ، وَلَا تُسْرِعُ فِى حَاجَتِى ؟ فَقَالَ لَهُ إِنْ كَانَ سَبَبُ الانْبِسَاطِ لَا يَكُونُ إِلَّا هَذَيْنِ ، فَأُعِيذُكَ أَلَّا أَعُودَ إِلَى مَا تَكْرَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ .

قَالَ الْعِمَادُ : أَقَامَ مَلِكُ النُّحَاةِ بِالشَّامِ فِى رِعَايَةِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِىٍّ ، وَكَانَ مَطْبُوعًا (٢) مُتَنَاسِبَ

(١) معاذ الله : يريد اعوذ بالله (٢) مطبوعاً : المطبوع ، ما نشأ عليه الطبع ، والمطبوع من الشعراء : الذى يأتى بالشعر من دون تكلف ، وتتبع قاعدة موضوعة لذلك

الْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، يَحْكُمُ عَلَى أَهْلِ التَّمْيِيزِ بِحُكْمِ مَلِكٍ[١] فَيُقِيلُ وَلَا يُسْتَقَالُ[٢] ، وَكَانَ يَقُولُ : هَلْ سِيبَوَيْهِ إِلَّا مِنْ رَعِيَّتِي ؟ وَلَوْ عَاشَ ٱبْنُ جِنِّيٍّ لَمْ يَسَعْهُ إِلَّا حَمْلُ غَاشِيَتِي[٣] ، مُرُّ الشَّكِيمَةِ[٤] ، حُلْوُ الشِّيمَةِ[٥] ، يَضُمُّ يَدَهُ عَلَى الْمِائَةِ وَالْمِائَتَيْنِ ، وَيَمْشِي وَهُوَ مِنْهَا صِفْرُ الْيَدَيْنِ ، مُولَعٌ بِاسْتِعْمَالِ الْحَلَاوَاتِ السُّكَّرِيَّةِ ، وَإِهْدَائِهَا إِلَى جِيرَانِهِ وَإِخْوَانِهِ ، مُغْرًى[٦] بِإِحْسَانِهِ إِلَى خُلْصَانِهِ[٧] وَخِلَّانِهِ .

قَالَ الْعِمَادُ : أَذْكُرُهُ وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ خِلْعَةٌ[٨] مِصْرِيَّةٌ ، وَجَائِزَةٌ سَنِيَّةٌ ، فَأَخْرَجَ الْقَمِيصَ الدَّبِيقِيَّ[٩] إِلَى السُّوقِ ، فَبَلَغَ دُونَ عَشَرَةِ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ : قُولُوا : هَـٰذَا قَمِيصُ

---

(١) فى الاصل ملكه : وفى البغية ص ٢٢٠ علمه (٢) وكانت فى الاصل « ولا يستثقل » وفى البغية : يستقال (٣) غاشيتى : المراد بالغاشية أنه يكون من أتباعه وخدمه (٤) فى الاصل : « مر الشتيمة » (٥) الشيمة : الطبيعة . وهذا وما قبله راجعان الى صفاته التى سبق ذكرها (٦) مغرى : أى مولع (٧) خلصانه : الخلصان ، الخالص من الأخوان والأصحاب ، يستوى فيه الواحد والجمع (٨) خلعة : إسم من خلعت عليه ثوباً ، ألبسته إياه (٩) الدبيقى : نسبة الى دبيق : بلد بمصر ، منها الثياب الدبيقية كان لها ذكر فيما سبق

مَلِكٍ كَبِيرٍ ، أَهْدَاهُ إِلَى مَلِكٍ كَبِيرٍ ، لِيَعْرِفَ النَّاسُ قَدْرَهُ ، فَيَجْلُبُوا عَلَيْهِ الْبِدَرَ عَلَى الْبِدَارِ ، وَلِيُجِلُّوا قَدْرَهُ فِي الْأَقْدَارِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنَا أَحَقُّ إِذَا جَهِلُوا[1] حَقَّهُ ، وَتَنَكَّبُوا فِيهِ[2] سُبُلَ الْوَاجِبِ وَطُرُقَهُ .

ومِنْ ظَرِيفِ مَا يُحْكَى عَنْ مَلِكِ النُّحَاةِ : أَنَّ نُورَ الدِّينِ مَحْمُوداً خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً ، وَنَزَلَ لِيَمْضِيَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَرَأَى حَلْقَةً عَظِيمَةً فَمَالَ إِلَيْهَا لِيَنْظُرَ مَا هِيَ ؟ فَوَجَدَ رَجُلاً قَدْ عَلَّمَ تَيْساً لَهُ اسْتِخْرَاجَ الْخَبَايَا[3] وَتَعْرِيفَهُ مَا يَقُولُ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ مَلِكُ النُّحَاةِ ، قَالَ الرَّجُلُ لِذَلِكَ التَّيْسِ : فِي حَلْقَتِي رَجُلٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ ، شَائِعُ الذِّكْرِ ، مَلِكٌ فِي زِيِّ سُوقَةٍ ، أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَأَكْرَمُ النَّاسِ ، وَأَجْمَلُ النَّاسِ ، فَأَرِنِي إِيَّاهُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ التَّيْسُ الْحَلْقَةَ ، وَخَرَجَ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَلِكِ النُّحَاةِ ، فَلَمْ يَتَمَالَكْ مَلِكُ النُّحَاةِ أَنْ

(١) فى الأصل : « أنا أحق إذا جهلوا به إذا جهلوا حقه » ولعل هذا من أخطاء النساخ (٢) قوله تنكبوا فيه سبل الواجب وطرقه : يقال : تنكب عن الطريق ، تجنبه ، واعتزله ، (٣) الخبايا : جمع خبيء وخبيئة ، وهو ماخبيء وأخفى

خَلَعَ تِلْكَ الخِلْعَةَ ، وَوَهَبَهَا لِصَاحِبِ التَّيْسِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نُورَ الدِّينِ فَعَاتَبَهُ وَقَالَ : اسْتَخْفَفْتَ بِخِلْعَتِنَا حَتَّى وَهَبْتَهَا مِنْ طُرَقِيٍّ ؟ فَقَالَ يَا مَوْلَانَا : عُذْرِى فِى ذَلِكَ وَاضِحٌ ، لِأَنَّ فِى هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيَادَةً عَلَى مِائَةِ أَلْفِ تَيْسٍ ، مَا فِيهِمْ مَنْ عَرَفَ قَدْرِى إِلَّا هَذَا التَّيْسُ ، فَجَازَيْتُهُ عَلَى ذَلِكَ . فَضَحِكَ مِنْهُ نُورُ الدِّينِ وَسَكَتَ .

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَخِفُّ بِالْعُلَمَاءِ ، فَكَانَ إِذَا ذُكِرَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَقُولُ : كَلْبٌ مِنَ الْكِلَابِ . فَقَالَ رَجُلٌ يَوْمًا : فَلَسْتَ إِذًا مَلِكَ النُّحَاةِ ، إِنَّمَا أَنْتَ مَلِكُ الْكِلَابِ ، فَاسْتَشَاطَ[1] غَضَبًا وَقَالَ : أَخْرِجُوا عَنِّى هَذَا الْفُضُولِيَّ . وَقَالَ السَّمْعَانِىُّ : دَخَلَ أَبُو نِزَارٍ بِلَادَ غَزْنَةَ وَكَرْمَانَ ، وَلَقِىَ الْأَكَابِرَ ، وَتُلُقِّىَ مَوْرِدُهُ بِالْإِكْرَامِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ بِلَادَ خُرَاسَانَ وَانْصَرَفَ إِلَى كَرْمَانَ ، وَخَرَجَ مِنْهَا

---

(١) استشاط غضباً : أى التهب غيظا

إِلَى الشَّامِ . قَالَ : وَقَرَأْتُ فِيمَا كَتَبْتُهُ[١] بِوَاسِطَ ، وَلَا أَدْرِي عَمَّنْ سَمِعْتُهُ لِأَبِي نِزَارٍ النَّحْوِيِّ :

أَرَاجِعٌ لِي عَيْشِيَ الْفَارِطْ[٢]
أَمْ هُوَ عَنِّي نَازِحٌ شَاحِطْ ؟؟
أَلَا وَهَلْ تُسْعِفُنِي أَوْبَةٌ[٣]
يَسْمُو بِهَا نَجْمُ الْمُنَى الْهَابِطْ[٤] ؟
أَرْفُلُ فِي مِرْطِ[٥] ارْتِيَاحٍ وَهَلْ
يَطْرُقُ سَمْعِي « هَذِهِ وَاسِطْ » ؟
يَا زَمَنِي عُدْ لِي فَقَدْ رُعْتَنِي
حَتَّى عَرَانِي شَيْبِيَ الْوَاخِطْ[٦]
كَمْ أَقْطَعُ الْبَيْدَاءَ فِي لَيْلَةٍ
يَقْبِضُ ظِلِّي خَوْفُهَا الْبَاسِطْ ؟[٧]

---

(١) كانت فى الاصل : « كتبه » (٢) الفارط : السابق (٣) أوبة : رجعة (٤) الهابط : النازل (٥) مرط بكسر الميم : كساء من صوف أوخز ، يؤتزر به ، وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به . (٦) الواخط : صفة الشيب ، ووخطه الشيب يخطه وخطاه : خالطه أو فشا شيبه ، أو استوى سواده وبياضه

(٧) يريد أن ظله الباسط ينقبض لخوفه من كثرة ما قطع من البيداء فى الليل . فخوف فاعل يقبض ، وباسط صفة ظلى « عبد الخالق »

أَأَرْقُبُ الرَّاحَةَ أَمْ لَا وَهَلْ
يَعْدِلُ يَوْماً دَهْرِيَ الْقَاسِطْ[1] ؟؟
أَيَا ذَوِي وُدِّي أَمَا اشْتَقْتُمُ
إِلَى إِمَامٍ جَأْشُهُ[2] رَابِطْ ؟
وَهَلْ عُهُودِي عِنْدَكُمْ غَضَّةٌ[3]
أَمْ أَنَا فِي ظَنِّي إِذًا غَالِطْ ؟
لِيَهْنِكُمْ مَا عِشْتُمُ وَاسِطٌ
إِنِّي لَكُمْ يَا سَادَتِي غَابِطْ

وَأَنْشَدَ لَهُ :

الْجَيْشُ[4] وَالْبَرَمُ الْكَثِيرُ مَنْظُومُ ذَلِكَ وَالنَّثِيرُ

---

(١) القاسط : الظالم ، ومن لطائف اللغة أن قسط بمعنى ظلم « ومنه قوله تعالى : وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » وأقسط بمعنى عدل ومنه قوله تعالى : « إن الله يحب المقسطين » وليس بين العدل والظلم إلا فتح قاف المصدر فيكون ظلما ، وكسرها فيكون عدلا . « عبد الخالق »

(٢) جأشه رابط : الجأش ، رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، أو نفس الانسان وفلان رابط الجأش : أى يربط نفسه عن الفرار لشجاعته ، والجمع جؤوش

(٣) غضة : من قولهم : شباب غض ، أى ناضر ، والمراد أو أنتم كما عهدتكم من الود والاخلاص أم تغيرتم ؟ (٤) فى الاصل « الجيش » وصوابها ما ذكر والبرم كجبل : لفيف من الناس المختلطين ، والشاعر بصدد أنه يذكر أشياء مما يألفه ، من ذلك اجتماع الناس .

وَدُخَانُ عُودِ الْهِنْدِ وَالشَّـــمْعُ الْمُكَفَّرُ[١] وَالْعَبِيرُ
وَرَشَاشُ مَاءِ الْوَرْدِ قَدْ عُرِفَتْ بِهِ تِلْكَ النُّحُورُ
وَمَثَالِثُ الْعِيدَانِ يُسْــعِدُ[٢] جَسَّهَا بَمٌّ[٣] وَزِيرُ
وَتَخَافُقُ[٤] النَّايَاتِ يَخْــفِقُ[٥] بَيْنَهَا الطَّبْلُ الْقَصِيرُ
وَالشُّرْبُ بِالْقَدَحِ الصَّغِــيرِ يَحُثُّهُ[٦] الْقَدَحُ الْكَبِيرُ
أَحْظَى لَدَىَّ مِنَ الْأَبَا عِرِ وَالْحُدَاةُ بِهَا تَسِيرُ
لِلْعَبْدِ أَنْ يَلْتَذَّ فِي دُنْيَاهُ وَاللهُ الْغَفُورُ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

يَابْنَ الَّذِينَ تَرَفَّعُوا فِي مَجْدِهِمْ
وَعَلَتْ أَخَامِصُهُمْ[٧] فُرُوعَ شَمَامِ[٨]

---

(١) المكفر : قد يكون المراد أنه كالكافور لوناً ، فصيغ من الكافور « مكفر »
(٢) يسعد : أى يساعد ، وجسها : المراد بالجس ، الضرب على العود
(٣) البم من العود : أغلظ أوتاره وأغلظ أصواته ، والجمع بموم — والزير : الدقيق من الاوتار ، أو أحدها . (٤) تخافق النايات : أى تصويتها عند معالجتها .
(٥) كانت فى الاصل : « يغلق » هو كما تقول خفقته بالدرة جعلتها تضربه ضربا أشبه بالمس (٦) يحثه يأتى أثره حثيثا . (٧) أخامصهم : جمع أخمص : وهو مالا يصيب الارض من باطن القدم (٨) شمام كسحاب : جبل وفروعه عالية

أَنَا عَالِمٌ مَلِكٌ بِكَسْرِ اللَّامِ فِ

يمَا أَدَّعِيهِ[(١)] لَا بِفَتْحِ اللَّامِ

أَنْشَدَنِى عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى الْفَضْلِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الزَّاكِى بْنِ أَبِى الْفَوَارِسِ ، السَّلَمِىُّ الْحَرَّانِىُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الصَّيْرَفِىِّ الدِّمَشْقِىُّ قَالَ : أَنْشَدَنِى فُتْيَانُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ فُتْيَانَ الْأَسَدِىُّ النَّحْوِىُّ فِى مَلِكِ النُّحَاةِ ، وَكَانَتْ قَدْ عَضَّتْ يَدَ مَلِكِ النُّحَاةِ سِنَّوْرٌ فَرَبَطَهَا بِمِنْدِيلٍ عَظِيمٍ :

عَتَبْتُ عَلَى قِطِّ مَلْكِ النُّحَاةِ

وَقُلْتُ : أَتَيْتِ بِغَيْرِ الصَّوَابِ

عَضَضْتِ يَدًا خُلِقَتْ لِلنَّدَى

وَبَثِّ[(٢)] الْعُلُومِ وَضَرْبِ الرِّقَابِ

فَأَعْرَضَ عَنِّى وَقَالَ اتَّئِدْ

أَلَيْسَ الْقِطَاطُ أَعَادِى الْكِلَابِ ؟

(١) كانت فى الاصل : « أدعى » والمراد : أنه ملك النحاة . وليس ملكا ، إذ النحو ليس من شأن الملائكة (٢) بث العلوم : أى نشرها وتفريقها

قَالَ : فبلغتهُ الأَبْيَاتُ فغضِبَ منها ، إلّا أَنَّهُ لَمْ يَدْرِ مَنْ قَائِلُهَا ؛ ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي قُلْتُهَا وَبَلَغَنِي ذَلِكَ ، فَانقطَعْتُ عَنْهُ حَيَاءً مُدَّةً ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ شِعْراً أَعتَذِرُ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ :

يَاخَلِيلَيَّ نِلْتُمَا النَّعْمَاءَ
وَتَسَنَّمْتُمَا الْعُلَا [1] وَالْعَلَاءَ

أَلْمِمَا [2] بِالشَّاغُورِ وَالْمَسْجِدِ [3] الْمَعْمُورِ
وَاسْتَمْطِرَا بِهِ الْأَنْوَاءَ [4]

وَامْنَحَا صَاحِبِي الَّذِى كَانَ فِيهِ
كُلَّ يَوْمٍ تَحِيَّةً وَثَنَاءَ

ثُمَّ قُولَا لَهُ اعْتَبَرْنَا الَّذِى فُهْتَ
بِهِ مَادِحاً وَكَانَ هِجَاءَ

---

(١) العلا والعلاء : الرفعة والشرف . (٢) ألما : أى ائتيا هذه الاماكن ، فانزلا بها ، وزوراها زيارة . (٣) فى العماد : « بالمسجد » (٤) الأنواء : جمع نوء : وهو المطر .

وَقَبِلْنَا فِيهِ اعْتِذَارَكَ عَمَّا

قَالَهُ الْجَاهِلُونَ عَنْكَ افْتِرَاءَ

الشَّاغُورُ مَحِلَّةٌ بِدِمَشْقَ بِالْبَابِ الصَّغِيرِ . وَقَالَ فُتْيَانُ[1] ابْنُ الْمُعَلِّمِ الدِّمَشْقِيُّ : رَأَيْتُ أَبَا نِزَارٍ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ لَهُ : مَافَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ فَقَالَ : أَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً مَافِي الْجَنَّةِ مِثْلُهَا ، فَتَعَلَّقَ بِحِفْظِي مِنْهَا أَبْيَاتٌ وَهِيَ :

يَاهَذِهِ أَقْصِرِي عَنِ الْعَذَلِ[2]

فَلَيْسَ فِي الْحَقِّ وَيْكِ[3] مِنْ قِبَلِ[4]

يَارَبِّ هَاقَدْ أَتَيْتُ مُعْتَرِفاً

بِمَا جَنَتْهُ يَدَايَ مِنْ زَلَلِ[5]

مَلْآنَ كَفٍّ بِكُلِّ مَأْثَمَةٍ

صِفْرَ يَدٍ مِنْ مَحَاسِنِ الْعَمَلِ

---

(١) فى معجم البلدان ، أن فتيان هذا نسبته الشاغورى . (٢) العذل : اللوم :
(٢) ويك : وى اسم فعل مضارع ، بمعنى أتعجب ، والكاف ضمير المخاطبة
(٤) من قبل : القبل ، الطاقة والمقدرة — ومنه قوله تعالى « فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها » (٥) زلل : المرة منه زلة : وهى السقطة والخطيئة .

فَكَيْفَ أَخْشَى نَاراً مُسَعَّرَةً (١)
وَأَنْتَ يَارَبُّ فِي الْقِيَامَةِ لِي

قَالَ : فَوَاللهِ مُنْذُ فَرَغْتُ مِنْ إِنْشَادِهَا مَاسَمِعْتُ حَسِيسَ (٢) النَّارِ .

﴿ ١٣ — الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، الْمَعْرُوفُ بِلُغْدَةَ وَلُكْذَةَ (٣) ﴾
« أَيْضاً الْأَصْبَهَانِيُّ »

الحسن بن عبد الله الأصبهانى

أَبُو عَلِيٍّ ، قَدِمَ بَغْدَادَ ، وَكَانَ جَيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِفُنُونِ الْأَدَبِ ، حَسَنَ الْقِيَامِ (٤) بِالْقِيَاسِ ، مُوَفَّقاً فِي كَلَامِهِ ، وَكَانَ إِمَاماً فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَكَانَ فِي طَبَقَةِ أَبِي حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِيِّ ، مَشَايِخُهُمَا سَوَاءٌ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا مُنَاقَضَاتٌ .

---

(١) مسعرة : متقدة . (٢) حسيس النار : إشارة إلى قوله تعالى « لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون » (٣) وفى البغية ص ٢٢٢ : المعروف بلكذة « بضم اللام وسكون الكاف وفتح الذال » ويقال : لغدة ، بالغين والدال

(٤) بالقياس : القياس لغة التقدير . وفى المنطق : قول مؤلف من قضايا ، إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٢٢٢

قَالَ حَمْزَةُ بْنُ حَسَنٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ أَصْبَهَانَ :
وَقَدِمَ عَلَى ابْنِ رُسْتُمٍ الدِّيرِيِّ مِنْ سَامَرَّا : إِبْرَاهِيمُ بْنُ غَيْثٍ الْبَغْدَادِيُّ وَكَانَ أَصْبَهَانِيًّا ، خَرَجَ فِي صِغَرِهِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَبَرَعَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَعْقُوبَ الْفَقِيهِ . وَرَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَبِي زَيْدٍ ، وَقَدِمَ الْخَصِيبُ بْنُ أَسْلَمَ الْبَاهِلِيُّ صَاحِبُ الْأَصْمَعِيِّ وَرَوَى عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ غَيْثٍ ، وَأَبِي عُمَرَ الْخِرَقِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ ، وَعَنِ الْبَاهِلِيِّ صَاحِبِ الْأَصْمَعِيِّ [1] ، وَعَنِ الْكَرْمَانِيِّ صَاحِبِ الْأَخْفَشِ : أَخَذَ أَبُو عَلِيٍّ لُغْدَةُ عِلْمَ اللُّغَةِ . وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ يَحْضُرُ مَجْلِسَ أَبِي إِسْحَاقَ وَيَكْتُبُ عَنْهُ ، ثُمَّ خَالَفَهُ وَقَعَدَ عَنْهُ ، وَجَعَلَ يَنْقُضُ عَلَيْهِ مَا يُمْلِيهِ .

قَالَ حَمْزَةُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي [2]

---

(١) إنما ذكر ياقوت هؤلاء الذين ذكرهم تبريراً لما قاله من — وعن الكرمانى — أخذ أبو على لغدة (٢) كانت فى الاصل : « عن »

أَصْبَهَانَ ، ـ وَصَارَ فِيهَا رَئِيسًا يُؤْخَذُ عَنْهُ ـ جَمَاعَةٌ : مِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ لُغْدَةُ ، وَكَانَ رَأْسًا فِي اللُّغَةِ وَالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالنَّحْوِ . حَفِظَ فِي صِغَرِهِ كُتُبَ أَبِي زَيْدٍ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ ، وَالْأَصْمَعِيِّ ، ثُمَّ تَتَبَّعَ [(١)] مَافِيهَا ، فَامْتَحَنَ بِهَا الْأَعْرَابَ الْوَافِدِينَ أَصْبَهَانَ ، وَكَانُوا يَفِدُونَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبَانَ ، فَيَضْرِبُونَ خِيَمَهُمْ بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فِي بَاغِ [(٢)] سَلْمِ بْنِ عَوْدٍ ، وَيَقْصِدُهُمْ أَبُو عَلِيٍّ كُلَّ يَوْمٍ ، فَيُلْقِي عَلَيْهِمْ مَسَائِلَ شُكُوكِهِ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ ، وَثَبَّتَ تِلْكَ الْأَوْصَافَ عَنْ أَلْفَاظِهِمْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي سَمَّاهُ كِتَابَ النَّوَادِرِ . ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ نَظِيرٌ بِالْعِرَاقِ . قَالَ : وَكِتَابُ النَّوَادِرِ هَذَا كِتَابٌ كَبِيرٌ ، يَقُومُ بِإِزَاءِ كُلِّ مَاخُرِّجَ إِلَى النَّاسِ مِنْ كُتُبِ أَبِي زَيْدٍ فِي النَّوَادِرِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الصِّغَارِ : كِتَابُ الصِّفَاتِ ، كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، كِتَابُ

---

(١) تتبع ما فيها : يقال : تتبع الأمر : طلبه وبحث عنه مليا . ويقال : تتبعت أحواله : أى تطلبتها شيئا بعد شيء فى مهلة مدققاً (٢) اسم مكان فيه دار ابن عود .

خَلْقِ الْفَرَسِ، وَكُتُبٌ أُخَرُ كَثِيرَةٌ مِنْ صِغَارِ الْكُتُبِ، وَلَهُ رُدُودٌ عَلَى عُلَمَاءِ اللُّغَةِ، وَعَلَى رُوَاةِ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ، قَدْ جَمَعْنَاهَا نَحْنُ فِي كِتَابٍ وَأَنْفَذْنَاهُ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِ — رَحِمَهُ اللهُ —.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ: وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الشُّعَرَاءِ نَقَضَهُ عَلَيْهِ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِىُّ، كِتَابُ النُّطْقِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، كِتَابُ عِلَلِ النَّحْوِ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي النَّحْوِ، كِتَابُ الْهَشَاشَةِ وَالْبَشَاشَةِ، كِتَابُ التَّسْمِيَةِ، كِتَابُ شَرْحِ مَعَانِي الْبَاهِلِيِّ، كِتَابُ نَقْضِ عِلَلِ النَّحْوِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ.

وَأَفْرَدَ حَمْزَةُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ أَصْبَهَانَ أَشْعَارًا لِلُغْدَةَ مِنْهَا:

ذَهَبَ الرِّجَالُ الْمُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ[1]
وَالْمُنْكِرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرِ

(١) الفعال بالكسر جمع فعل: وهو العمل، والفعال بالفتح: الفعل الحسن والكرم

وَبَقِيتُ فِي خَلَفٍ يُزَيِّنُ بَعْضُهُمْ
بَعْضاً لِيَسْتُرَ مُعْوِرٌ(١) عَنْ مُعْوِرِ

مَا أَقْرَبَ الْأَشْيَاءَ حِينَ يَسُوقُهَا
قَدَرٌ وَأَبْعَدَهَا إِذَا لَمْ تُقْدَرِ

الْجَدُّ(٢) أَنْهَضُ بِالْفَتَى مِنْ كَدِّهِ(٣)
فَانْهَضْ بِجَدٍّ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ ذَرِ

وَإِذَا تَعَسَّرَتِ الْأُمُورُ فَأَرْجِهَا(٤)
وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَعْسُرِ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرْ
رِ وَأَيْنَ الشَّرِيكُ فِي الْمُرِّ أَيْنَا ؟؟

الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْقَـ
ـوْمِ وَإِنْ غِبْتَ كَانَ أُذْناً وَعَيْنَا(٥)

---

(١) يقال : رجل معور : قبيح السريرة . (٢) أى الحظ (٣) الكد بالفتح مصدر كد يكد كدا : اشتد فى العمل وطلب الكسب ، وألح فى الطلب . قال الكميت :

فنيت فلم أرددكم عند بغية وحجت فلم أكددكم بالأصابع

(٤) أرجها : أى أجلها وأصلها أرجئها . من الأرجاء وهو تأجيل الأمر مدة ما .

(٥) إذا حضرت كان موضع سرورك ، وإن غبت كان أذنا تسمع فتطيع إذا دعوت وعينا تكاؤك وتحفظك «عبد الخالق»

مِثْلُ تِبْرِ[١] الْعِقْيَانِ إِنْ مَسَّهُ النَّا
رُ جَلَاهُ الْجَلَاءُ فَازْدَادَ زَيْنَا

وَأَخُو السُّوءِ إِنْ يَغِبْ عَنْكَ يَسْبَعْ
كَ[٢] وَإِنْ يَحْضُرْ يَكُنْ ذَاكَ شَيْنَا

جَيْبُهُ[٣] غَيْرُ نَاصِحٍ وَمُنَاهُ
أَنْ يَعِيبَ الْخَلِيلَ إِفْكًا وَمَيْنَا

فَاصْرِمَنْهُ وَلَا تَلَهَّفْ عَلَيْهِ
إِنَّ صَرْمًا لَهُ كَنَقْدِكَ[٤] دَيْنَا

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

بَذَلْتُ لَكَ الصَّفَاءَ بِكُلِّ جُهْدِى
وَكُنْتُ كَمَا هَوِيتَ فَصِرْتَ وَخْزًا[٥]

(١) قوله تبر العقيان : التبر : ما كان من الذهب غير مضروب أو غير مصوغ ، أو فى تراب معدنه . والعقيان : الذهب الخالص . وفى الأساس : ذهب ينبت نباتا ، وليس مما يذاب من الحجارة . (٢) يسبعك : يقال : سبع فلاناً شتمه ووقع فيه ، وقيل : عضه بأسنانه . (٣) جيبه : الجيب : القلب والصدر ، يقال : هو ناصح الجيب ، أى القلب والصدر ، يعنى أمينهما . (٤) كنقدك ديناً : أى كسدادك ديناً عليك (٥) من الوخز بالإبر لغرض الإيلام .

جَرَحْتَ بِمُدْيَةٍ خَزَزْتَ أَنْفِى

وَحَبْلَ مَوَدَّتِى بِيَدَيْكَ حَزَّا

فَلَمْ تَتْرُكْ إِلَى صُلْحٍ مَجَازاً[١]

وَلَا فِيهِ لِمُطَّلِبِهِ مَهَزَّا[٢]

سَتَمْكُثُ نَادِماً فِى الْعَيْشِ مِنِّى

وَتَعْلَمُ أَنَّ رَأْيَكَ كَانَ عَجْزَا

وَتَذْكُرُنِى إِذَا جَرَّبْتَ غَيْرِى

وَتَعْلَمُ أَنَّنِى لَكَ كُنْتُ كَنْزَا

﴿ ١٤ — الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَرْزُبَانِىُّ السِّيرَافِىُّ ، * ﴾

الحسن بن عبد الله المرزبانى

أَبُو سَعِيدٍ النَّحْوِىُّ الْقَاضِى ، وَسِيرَافُ بُلَيْدٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ أَرْضِ فَارِسَ ، رَأَيْتُهُ أَنَا وَبِهِ أَثَرُ عِمَارَةٍ قَدِيمَةٍ ، وَجَامِعٌ حَسَنٌ ، إِلَّا أَنَّهُ الْآنَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخَرَابُ ، وَقَدْ

(١) مجازا : أى معبرا — والمراد لم يدع طريقا ينفذ منه إلى الصلح .

(٢) المهزوالمهزة : الحركة ، ومنه قول الحريرى :

قصدته والشيخ نبغى جنى عود له مازال مهزوزا

أى مطلوباً منه ثمر العطاء ، لأن العود يهز ليسقط ثمره

(*) راجع بغية الوعاة : ص ٢٢١

كَانَ وَلِىَ الْقَضَاءَ عَلَى بَعْضِ الْأَرْبَاعِ (١) بِبَغْدَادَ ، وَمَاتَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَانِىَ رَجَبٍ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فِى خِلَافَةِ الطَّائِعِ وَدُفِنَ فِى مَقَابِرِ الْخَيْزُرَانِ . وَكَانَ أَبُوهُ مَجُوسِيًّا اسْمُهُ بِهْزَادُ ، فَسَمَّاهُ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدَ اللهِ ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَدْرُسُ بِبَغْدَادَ الْقُرْآنَ وَالْقِرَاءَاتِ ، وَعُلُومَ الْقُرْآنِ ، وَالنَّحْوَ ، وَاللُّغَةَ ، وَالْفِقْهَ ، وَالْفَرَائِضَ (٢) . وَكَانَ قَدْ قَرَأَ عَلَى أَبِى بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ الْقُرْآنَ ، وَعَلَى أَبِى بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ اللُّغَةَ ، وَدَرَسَا جَمِيعًا عَلَيْهِ النَّحْوَ ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِى بَكْرِ بْنِ السَّرَّاجِ ، وَأَبِى بَكْرٍ الْمَبْرَمَانِ النَّحْوَ ، وَقَرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، وَدَرَسَ الْآخَرُ عَلَيْهِ الْحِسَابَ .

قَالَ الْخَطِيبُ : وَكَانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ زَاهِدًا وَرِعًا ، لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْحُكْمِ أَجْرًا ، إِنَّمَا كَانَ يَأْكُلُ مِنْ كَتْبِ (٣) يَمِينِهِ ، فَكَانَ لَا يَخْرُجُ إِلَى مَجْلِسِ الْحُكْمِ وَلَا إِلَى مَجْلِسِ التَّدْرِيسِ ، حَتَّى يَنْسَخَ عَشْرَ وَرَقَاتٍ يَأْخُذُ أُجْرَتَهَا عَشَرَةَ دَرَاهِمَ ،

---

(١) الأرباع جمع ربع : أسماء مصطلح عليها « مثل قسم وثمن »

(٢) الفرائض : المواريث (٣) من كتب يمينه : أى كتابة يده ، وهو مصدر كتب كالكتابة ، وفى رأيى أنها من كسب يمينه ، نعم إن الكلام يدل على ذلك من طريقة الكتابة ولكن الكسب أعم . « عبد الخالق »

تَكُونُ بِقَدْرِ مَئُونَتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى مَجْلِسِهِ . وَصَنَّفَ كُتُبًا مِنْهَا : شَرْحُ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ : رَأَيْتُ أَصْحَابَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ يُكْثِرُونَ الطَّلَبَ لِكِتَابِ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ وَيَجْتَهِدُونَ فِي تَحْصِيلِهِ . فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تَقَعُونَ فِيهِ ، وَتَزْرُونَ[1] عَلَى مُؤَلِّفِهِ ، فَمَا لَكُمْ وَلَهُ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِ ، وَنُعَرِّفَهُ خَطَأَهُ فِيهِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : فَحَصَّلُوهُ وَاسْتَفَادُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو حَيَّانَ ، فَإِنِّي لَمْ أَنْقُلْ أَلْفَاظَ الْخَبَرِ لِعَدَمِ الْأَصْلِ الَّذِي قَرَأْتُهُ مِنْهُ[2] ، وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ وَأَصْحَابُهُ كَثِيرِي الْحَسَدِ لِأَبِي سَعِيدٍ ، وَكَانُوا يُفَضِّلُونَ عَلَيْهِ الرُّمَّانِيَّ ، فَحَكَى ابْنُ جِنِّيٍّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ : أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ قَرَأَ عَلَى ابْنِ السَّرَّاجِ خَمْسِينَ وَرَقَةً مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ ثُمَّ

---

(١) وتزرون على مؤلفه : أى تعيبونه ، وتضعون من قدره

(٢) يريد المؤلف أن يقول : إن هذا الخبر نقلته تلخيصاً من كلام أبى حيان ، فأنى لم أتمكن من الأصل الذى فيه الخبر « عبد الخالق »

انْقَطَعَ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فَلَقِيتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَاتَبْتُهُ عَلَى انْقِطَاعِهِ . فَقَالَ لِي : يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُقَدِّمَ مَا هُوَ أَهَمُّ . وَهُوَ عِلْمُ الْوَقْتِ مِنَ اللُّغَةِ وَالشِّعْرِ ، وَالسَّمَاعِ مِنَ الشُّيُوخِ ، فَكَانَ يَلْزَمُ ابْنَ دُرَيْدٍ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُ مِنْ أَهْلِ السَّمَاعِ .

وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي يَهْجُو أَبَا سَعِيدٍ السِّيرَافِيَّ :

لَسْتَ صَدْراً[1] وَلَا قَرَأْتَ عَلَى صَدْ
رٍ وَلَا عِلْمُكَ الْبَكِيُّ[2] بِكَافِ[3]

لَعَنَ اللهُ كُلَّ شِعْرٍ وَنَحْوٍ
وَعَرُوضٍ يَجِيءُ مِنْ سِيرَافِ

وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ فَقَالَ :

---

(١) صدر القوم : رئيسهم ومقدمهم ، ومن يتصدر فى أمورهم ، والجمع صدور

(٢) البكى : القليل ، ومنه الحديث « مر بنا على عين بكية » أى قليلة الماء

(٣) فى وفيات الأعيان : « بشاف »

قَالَ لِي أَبُو أَحْمَدَ : وُلِدَ أَبُو سَعِيدٍ بِسِيرَافَ ، وَفِيهَا ابْتَدَأَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَخَرَجَ عَنْهَا قَبْلَ الْعِشْرِينَ ، وَمَضَى إِلَى عُمَانَ فَتَفَقَّهَ بِهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى سِيرَافَ ، وَمَضَى إِلَى الْعَسْكَرِ فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً . « قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَبِهَا قَرَأَ فِيمَا أَحْسَبُ عَلَى الْمَبْرَمَانِ » قَالَ : كَانَ فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ الْعِرَاقِيِّينَ ، وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ، نَخَلَفَ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ مَعْرُوفٍ قَاضِيَ الْقُضَاةِ عَلَى قَضَاءِ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَكَانَ أُسْتَاذَهُ فِي النَّحْوِ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى[1] الْجَانِبَيْنِ . وَمَوْلِدُهُ قَبْلَ التِّسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ ، أَلِفَاتُ الْقَطْعِ وَالْوَصْلِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ ، كِتَابُ شَرْحِ مَقْصُورَةِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، كِتَابُ الْإِقْنَاعِ فِي النَّحْوِ لَمْ يَتِمَّ ، فَتَمَّمَهُ ابْنُهُ يُوسُفُ ، وَكَانَ يَقُولُ : وَضَعَ أَبِي النَّحْوَ فِي الْمَزَابِلِ بِالْإِقْنَاعِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ سَهَّلَهُ حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى مُفَسِّرٍ ، كِتَابُ شَوَاهِدِ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ،

(١) فى الفهرست : ثم الجانبين ، ثم الجانب الشرقى

كِتَابُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاء ، كِتَابُ صَنْعَةِ الشِّعْرِ وَالْبَلَاغَةِ ، كِتَابُ الْمَدْخَلِ إِلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ، كِتَابُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي تَقْرِيظِ[1] عَمْرِو بْنِ بَحْرٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَئِمَّةِ ، كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْجَاحِظَ وَيُفَضِّلُونَهُ فَقَالَ : وَمِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ شَيْخُ الشُّيُوخِ ، وَإِمَامُ الْأَئِمَّةِ مَعْرِفَةً بِالنَّحْوِ وَالْفِقْهِ ، وَاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ ، وَالْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي ، وَالْقُرْآنِ وَالْفَرَائِضِ ، وَالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ ، وَالْحِسَابِ وَالْهَنْدَسَةِ . أَفْتَى فِي جَامِعِ الرُّصَافَةِ خَمْسِينَ سَنَةً عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، فَمَا وُجِدَ لَهُ خَطَأٌ ، وَلَا عُثِرَ مِنْهُ عَلَى زَلَّةٍ . وَقَضَى بِبَغْدَادَ ، وَشَرَحَ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ فِي

(٢) قرظه تقريظاً : مدحه وهو حى بحق أو باطل — وأبنه : مدحه ميتاً — قيل : أصل التقريظ ، من دبغ الأديم بالقرظ ، لان المقرظ يزين نديمه ، كما يحسن القارظ أديمه — وأصل التأبين من اقتفاء الاثر — كأن المادح يتتبع آثار الرجل بعد موته ، فيقوم بالثناء عليه

ثَلاثَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ بِخَطِّهِ فِي السُّلَيْمَانِيِّ ، فَمَا جَارَاهُ[١] فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا سَبَقَهُ إِلَى تَمَامِهِ إِنْسَانٌ . هَـذَا مَعَ الثِّقَةِ وَالدِّيَانَةِ ، وَالْأَمَانَةِ وَالرِّوَايَةِ . صَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَأَكْثَرَ الدَّهْرِ كُلِّهِ .

قَالَ لَنَا الْأَنْدَلُسِيُّ : فَارَقْتُ بَلَدِي فِي أَقْصَى الْغَرْبِ طَلَبًا لِلْعِلْمِ ، وَابْتِغَاءَ مُشَاهَدَةِ الْعُلَمَاءِ ، فَكُنْتُ إِلَى أَنْ دَخَلْتُ بَغْدَادَ وَتَلَقَّيْتُ[٢] أَبَا سَعِيدٍ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ نَادِمًا[٣] سَادِمًا فِي اغْتِرَابِي عَنْ أَهْلِي وَوَطَنِي ، مِنْ غَيْرِ جَدْوَى فِي عِلْمٍ أَوْ حَظٍّ مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا سَعِدْتُ بِرُؤْيَةِ هَذَا ، عَلِمْتُ أَنَّ سَعْيِي قُرِنَ بِسَعْدِي، وَغُرْبَتِي اتَّصَلَتْ بِبُغْيَتِي ، وَأَنَّ عَنَائِي لَمْ يَذْهَبْ هَدَرًا[٤] ، وَأَنَّ رَجَائِي لَمْ يَنْقَطِعْ

---

(١) فى الاصل : « جراه » (٢) تلقيت أبا سعيد : أى استقبلته

(٣) نادماً سادما : الندم معروف ، والسدم : الهم أو مع ندم — أو غيظ مع حزن والسادم من به سدم — يقال رجل نادم سادم ، قيل هو إتباع للتأكيد — ويقال سادم نادم أيضا ، ومنه قول الحريرى :

قل لوال غادرته بعد بيْنٍ ... سادما نادما يعض اليدين

(٤) هدرا : أى باطلا

يَأْساً . قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ الصَّابِيء : قَرَأْنَا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فِي كِتَابِ مَا يَلْحَنُ فِيهِ الْعَامَّةُ لِأَبِي حَاتِمٍ : «هُوَ الشَّمَعُ مَفْتُوحَ الشِّينِ وَالْمِيمِ » فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يُحْكَى عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ : شِمَعَ بِكَسْرِ الشِّينِ . فَقَالَ : لَا يُعَاجُ (١) عَلَيْهِ . قُلْنَا لَهُ : فَهُوَ صَحِيحٌ عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ عَنْهُ بِخَطِّي فِي كِتَابِ الْجَمْهَرَةِ (٢) .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ النَّحْوِيِّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الدُّرَيْدِيُّ سَأَلَانِي عَنْ ذَلِكَ ، فَاسْتَعْفَيْتُ مِنَ الْإِجَابَةِ ، لِئَلَّا أَنْسُبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ حَرْفاً أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى خِلَافِهِ .

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي كِتَابِ مُحَاضَرَاتِ الْعُلَمَاء قَالَ : وَحَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِ الدَّهْرِ ، وَقَرِيعِ الْعَصْرِ ، الْعَدِيمِ الْمِثْلِ ، الْمَفْقُودِ الشَّكْلِ ، أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى

---

(١) لا يعاج عليه : من قولهم : ما أعوج بكلامه : أى ما ألتفت اليه

(٢) يريد ومع هذا فلا يعول عليه

الْحُسَيْنِ بْنِ مَرْدَوَيْهِ الْفَارِسِيُّ ، يَشْرَحُ لَهُ تَرْجَمَةَ الْمَدْخَلِ إِلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ مِنْ تَصْنِيفِهِ . فَقَالَ لَهُ : عَاقِّ عَلَيْهِ ، وَاصْرِفْ هِمَّتَكَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّكَ لَا تُدْرِكُهُ إِلَّا بِتَعَبِ الْحَوَاسِّ ، وَلَا تَتَصَوَّرُهُ إِلَّا بِالِاعْتِزَالِ عَنِ النَّاسِ . فَقَالَ : — أَيَّدَ اللهُ الْقَاضِيَ — ، أَنَا مُؤْثِرٌ لِذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اخْتِلَالَ الْأَمْرِ وَقُصُورَ الْحَالِ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُهُ . فَقَالَ لَهُ : أَلَكَ عِيَالٌ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : عَلَيْكَ دُيُونٌ ؟ قَالَ : دُرَيْهِمَاتٌ . قَالَ : فَأَنْتَ رَيِّحُ الْقَلْبِ ، حَسَنُ الْحَالِ ، نَاعِمُ الْبَالِ ، اشْتَغِلْ بِالدَّرْسِ وَالْمُذَاكَرَةِ ، وَالسُّؤَالِ وَالْمُنَاظَرَةِ ، وَاحْمَدِ اللهَ تَعَالَى عَلَى خِفَّةِ الْحَاذِ[1] ، وَحُسْنِ الْحَالِ . وَأَنْشَدَهُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مَالٌ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ طُرُقٌ يَسْعَى بِهِنَّ الْوَلَائِدُ

وَكَانَ لَهُ خُبْزٌ وَمِلْحٌ فَفِيهِمَا
لَهُ بُلْغَةٌ حَتَّى تَجِيءَ الْعَوَائِدُ[2]

---

(١) خفة الحاذ : يقال فلان خفيف الحاذ أى قليل المال والعيال

(٢) العوائد جمع عائدة — وهي المعروف والصلة والعطف والمنفعة .

وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَوْعَةٌ إِنْ سَدَدْتَهَا
فَكُلُّ طَعَامٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ وَاحِدُ

قَالَ : وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ الْكَامِلَ لِلْمُبَرِّدِ ، فَجَاءَهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَرْدَكٍ وَكَانَ هَذَا مِنْ سَاوَةَ ، وَاسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَوَلَدَ بِهَا ، وَكَانَ لَهُ قُرْبٌ وَمَنْزِلَةٌ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ ، يُوجِبُ حَقَّهُ وَيَرْعَاهُ لَهُ . فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ عِنْدِي ابْنَةٌ بَلَغَتْ حَدَّ التَّزْوِيجِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالْبَغْدَادِيِّينَ يَخْطُبُونَهَا ، فَمَا تَرَى وَمِمَّنْ أُزَوِّجُهَا ؟ فَقَالَ : فَمَنْ يَخَافُ اللهَ تَعَالَى ، وَأَكْثَرُهُمْ تَقِيَّةً وَخَشْيَةً مِنْهُ ، فَإِنَّ مَنْ يَخَافُ اللهَ إِنْ أَحَبَّهَا بَالَغَ فِي إِكْرَامِهَا ، وَإِنْ لَمْ يُحِبَّهَا تَحَرَّجَ[1] مِنْ ظُلْمِهَا ، فَاسْتَحْسَنَّا ذَلِكَ وَأَثْبَتْنَاهُ . ثُمَّ قَالَ : لَا تَنْسُبُوا هَذَا إِلَيَّ ، إِنَّمَا هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ .

قَالَ : وَشَبِيهُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ : أَنَّ رَجُلًا وَقَفَ عَلَى الْحَسَنِ فَقَالَ : عَلِّمْنِي مَا يُقَرِّبُنِي إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى

---

(١) تحرج من الأمر : تأثم ، وحقيقته : جانب الحرج أى الإثم ، وهو المراد

النَّاسِ ، قَالَ : أَمَّا مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللهِ فَمَسْأَلَتُهُ . وَأَمَّا مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى النَّاسِ فَتَرْكُ مَسْأَلَتِهِمْ . وَقَالَ : وَتَأَخَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَنْ مَجْلِسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، وَكَانَ يَرْعَى حَقَّ أَبِيهِ فِيهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ وَجِيهًا شَرِيفًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ قَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَخَّرَكَ ؟ فَأَشَارَ إِلَى شُرْبِ الدَّوَاءِ ، وَلِأَجْلِهِ تَأَخَّرَ عَنِ الْمَجْلِسِ ، فَأَنْشَدَنَا :

لَنِعْمَ الْيَوْمُ يَوْمُ السَّبْتِ حَقًّا
لِصَيْدٍ إِنْ أَرَدْتَ بِلَا امْتِرَاءِ

وَفِي الْأَحَدِ الْبِنَاءُ فَإِنَّ فِيهِ
تَبَدَّى(١) اللهُ فِي خَلْقِ السَّمَاءِ

وَفِي الِاثْنَيْنِ إِنْ سَافَرْتَ حَقًّا
يَكُونُ الْأَوْبُ فِيهِ بِالنَّمَاءِ

وَإِنْ تَرُمِ الْحِجَامَةَ فَالثُّلَاثَا
فَفِي سَاعَاتِهِ دَرْكُ الشِّفَاءِ

(١) تبدى الله : بدأ

وَإِنْ شَرِبَ امْرُؤٌ يَوْمًا دَوَاءً
فَنِعْمَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ
وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ قَضَاءُ حَاجٍ
فَفِيهِ اللهُ آذَنَ بِالْقَضَاءِ
وَيَوْمُ الْجُمْعَةِ التَّزْوِيجُ فِيهِ
وَلَذَّاتُ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ(١)

قَالَ : وَلَمَّا قَبِلَ ابْنُ مَعْرُوفٍ شَهَادَتَهُ ، عَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ وَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، إِنَّكَ إِمَامُ الْوَقْتِ وَعَيْنُ الزَّمَانِ ، وَالْمَنْظُورُ إِلَيْهِ وَالصَّدْرُ ، وَإِذَا حَضَرْتَ مَحْفِلًا كُنْتَ الْبَدْرَ ، قَدِ اشْتَهَرَ ذِكْرُكَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْبِلَادِ ، وَانْتَشَرَ عِلْمُكَ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ وَنَادٍ ، وَالْأَلْسِنَةُ مُقِرَّةٌ بِفَضْلِكَ ، فَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى الِانْقِيَادِ لِابْنِ مَعْرُوفٍ وَاخْتِلَافِكَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، وَصِرْتَ تَابِعًا بَعْدَ

---

(١) كنت أظن مثل هذا الشعر جاء متأخراً لركاكته وغثاثته ، فضلا عن أن معناه ليس بذاك ، وليس هذا من موضوعات الشعر ، ولكن إنشاد السيرافى له يدل على قدمه . على أنه قد يكون قائله . « عبد الخالق » .

أَنْ كُنْتَ مَتْبُوعاً، وَمُؤْتَمِراً بَعْدَ أَنْ كُنْتَ آمِراً، وَضَعْتَ مِنْ قَدْرِكَ، وَضَيَّعْتَ كَثِيراً مِنَ حُرْمَتِكَ، وَأَنْزَلْتَ نَفْسَكَ مَنْزِلَةَ غَيْرِكَ، وَمَا فَكَّرْتَ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ، وَلَا شَاوَرْتَ أَحَداً مِنْ صَحْبِكَ[1]. فَقَالَ: اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقَاضِيَ سَبَبُ اكْتِسَابِ ذِكْرٍ جَمِيلٍ، وَصِيتٍ حَسَنٍ، وَمُبَاهَاةٍ وَمُنَافَسَةٍ لِأَقْرَانِهِ وَإِخْوَانِهِ[2]، وَمَعَ ذَلِكَ لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ مَنْزِلَةٌ. وَبَلَغَنِي أَنَّهُ يَسْتَفْتِي بِرَأْيِهِ، وَيَعُدُّهُ مِنْ جُمْلَةِ ثِقَاتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَعَرَّضَ[3] بِي، وَصَرَّحَ فِي الْأَمْرِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَثَانِيَةً عَقِبَ أُولَى، فَلَمْ أُجِبْ إِلَيْهِ، وَلَمْ أُسْلِسْ قِيَادِي لَهُ، بخِفْتُ مَعَ كَثْرَةِ الْخِلَافِ اعْتِمَادِي[4] بِمَا أَسْتَضِرُّ بِهِ وَيَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرِي. وَإِذَا اتَّفَقَ أَمْرَانِ،

(١) يظهر أن أبا سعيد شهد عند ابن معروف، فألم المختصين به أكثر أن يكون السيرافى شاهدا عند مثل ابن معروف، وانما شهد، لانه كان يتردد على مجلس ابن معروف، فلاوم من أصل هذا، لأنه أكبر من أن يختلف اليه. «عبد الخالق»

(٢) فى الأصل: «ومباهاة لأقرانه ومنافسة لأخوانه» لأن الغرض أن ابن معروف بما له عند السلطان من جاه وثقة، كان سببا فى أن أقرانه وإخوانه صار لهم ذكر وصيت الخ فلعل الشيخ يطمع فى مثل هذا. (٣) عرض لفلان وبفلان بكذا: ضد صرح، أى قال قولا وهو يعنيه. (٤) أى أن أقصد

فَاتِّبَاعُ مَا هُوَ أَسْلَمُ جَانِبًا وَأَقَلُّ غَائِلَةً أَوْلَى . وَقَدْ كَانَ الْآنَ مَا كَانَ ، وَالْكَلَامُ فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ هَذَا بِأَيَّامٍ ، وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ آمِدَ صَاحِبٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ مَاهَانَ بِكِتَابٍ يُهَنِّئُهُ فِيهِ بِمَا تَلَبَّسَ بِهِ مِنَ الْعَدَالَةِ ، وَكَانَ الْكِتَابُ يَشْتَمِلُ عَلَى كَلِمَاتٍ وَجِيزَةٍ ، وَأَلْفَاظٍ حَسَنَةٍ ، وَمَعَانٍ مُنْتَقَاةٍ . وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَمِمَّنْ لَازَمَهُ سِنِينَ عِدَّةً ، وَعَلَّقَ عَنْهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّاشِيُّ ، زُهَاءَ عَشَرَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ مِنْ[1] شَرْحِهِ لِكِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَغَيْرِهِ ، دَرْسًا وَمُذَاكَرَةً. وَكَانَتْ لَهُ أَيْضًا بِضَاعَةٌ قَوِيَّةٌ فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ ، وَبَصَرٌ[2] تَامٌّ بِمَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ فِي النَّحْوِ ، حَتَّى مَا كَانَ يُطَاقُ[3] . وَكَانَ مَنْ أَصْدَرَ الْكِتَابَ عَلَى يَدِهِ رَجُلًا كُرْدِيًّا ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ ثَقِيلَةٌ فَوْقَهَا صِنَاعَةٌ[4] عَظِيمَةٌ ، قَدْ أَضَرَّتْ بِهِ شَمْسُ

(١) فى الاصل : على (٢) وبصر : أى علم بتصرف (٣) يريد ألا يطيق أحد مجادلته ولا نقض قوله (٤) فى الأصل : « صاعة » وهو تصحيف والغرض أن بها نوعا من التطريز والوشي عظيما ، مما يدل على قدر الرجل .

الْهَوَاجِرِ ، وَمُقَاسَاةُ السَّفَرِ ، وَقَطْعُ الْمَهَامِهِ وَالْمَفَاوِزِ .
وَكَانَ الشَّيْخُ يُبَيِّنُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ الْفَرْقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
« مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ » وَالاحْتِجَاجَ عَمَّنْ نَصَبَهُ
وَرَفَعَهُ ، وَالْكُرْدِيُّ مَا يَفْهَمُ مِنْهُ الْقَلِيلَ وَلَا الْكَثِيرَ ،
ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ وَقَالَ : يَا شَيْخُ ، فِي أَيِّ شَيْءٍ
أَنْتَ ؟ وَفِيمَاذَا تَتَكَلَّمُ ؟ فَقَالَ : أَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ لَا يَعْرِفُهُ
كُلُّ أَحَدٍ ، وَلَا يَتَصَوَّرُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . قَالَ : فَفَسِّرْهُ
لِي لَعَلِّي أَفْهَمُهُ . قَالَ : لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا . قَالَ :
أَنْتَ عَالِمٌ ، وَمَنِ اقْتَبَسَ مِنْكَ عِلْمًا لَزِمَكَ الْجَوَابُ .
فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ بِمَجْلِسٍ يَجْرِي فِيهِ حَدِيثُ الْفَرْضِ وَالنَّفْلِ
وَالسُّنَنِ ، وَظَوَاهِرِ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ لِتَسْتَفِيدَ مِنْهُ ، وَتَنْتَفِعَ
بِهِ . فَأَخَذَ الْكُرْدِيُّ فِي الْمُطَاوَلَةِ ، وَإِيرَادِ الْهَذَيَانِ
وَمَا لَا مَحْصُولَ لَهُ . وَسَكَتَ عَنْهُ أَبُو سَعِيدٍ ، وَصَمَتَ
هُوَ أَيْضًا . وَجَعَلَ أَبُو سَعِيدٍ عَلَى عَادَتِهِ ، يُبَيِّنُ وَيُوضِحُ
وَيَتَكَلَّمُ ، وَيَنْثُرُ الدُّرَّ وَلَا يَهْدَأُ وَلَا يَفْتُرُ [1] لِسَانُهُ ، وَلَا

---

(١) ولا يفتر : أي ولا يسكن

يَجِفُّ رِيقُهُ . وَالْكُرْدِي مُلَازِمُهُ ، وَكَأَنَّهُ كَالْمُتَبَرِّمِ[(١)] بِهِ ، وَالْمُسْتَثْقِلِ لِجُلُوسِهِ ، وَمُلَازَمَتِهِ إِيَّاهُ إِلَى أَنْ قَامَ وَمَضَى.

ثُمَّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : مَاظَنَنْتُ أَنَّ ثَقِيلًا تَمَكَّنَ مِنْ أَحَدٍ تَمَكُّنَ هَذَا مِنَّا الْيَوْمَ ، وَإِنَّ أَلَمَ ثِقْلِهِ خَلَصَ إِلَى الرُّوحِ وَالْبَدَنِ كَمَا خَلَصَ إِلَيَّ ، لَقَدْ هَمَمْتُ تَارَةً بِضَرْبِهِ فَقُلْتُ : رُبَّمَا ضَرَبَنِي أَيْضاً ، ثُمَّ هَمَمْتُ بِالْقِيَامِ فَقُلْتُ : ضَرْبٌ مِنَ الْخُرْقِ[(٢)] ، ثُمَّ كِدْتُ أَصِيحُ فَقُلْتُ : نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ ، ثُمَّ بَقِيتُ أَدْعُو سِرًّا ، وَأَرْغَبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي صَرْفِهِ ، فَتَفَضَّلَ اللهُ الْكَرِيمُ عَلَيَّ بِذَلِكَ ، وَمَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ ، لَمْ تَزَلْ أَبْيَاتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ لَهَاتِي وَلِسَانِي . فَقُلْنَا لَهُ : وَمَا الْأَبْيَاتُ ؟ فَقَالَ :

يَاشَقِيقَ الرَّصَاصِ وَالْجَبَلِ
وَقَرِيعَ الْأَيَّامِ فِي الثِّقَلِ

(١) من قولهم : تبرم فى الشيء وبه : أى مل (٢) الخرق : الجهل والحمق

أَرِحْ حَيَاتِي فَقَدْ هَجَمْتَ عَلَى
نَفْسِي وَأَشْرَفْتَ بِي عَلَى أَجَلِي

وَاللهِ لَوْ كُنْتَ وَالِداً حَدِباً
وَكُنْتَ تُحْيِي الْأَمْوَاتَ فِي الْمَثَلِ

وَتَمْزُجُ الثَّلْجَ فِي الْعِسَاسِ[1] لَدَى الْـ
ـقَيْظِ وَعِنْدَ الشِّتَاءِ بِالْعَسَلِ

رَحَلْتُ عَنْ ذَاكَ عِنْدَ آخِرِهِ
وَاخْتَرْتُ أَلَّا أَرَاكَ فِي الرِّحَلِ

خُذْ طَرِيفِي وَتَالِدِي فَإِذَا
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ نُخْذْ إِذاً سَمَلِي[2]

وَارْحَلْ إِلَى الظُّلْمَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ
مِنْ خَلْفِ قَافٍ يَاشَرَّ مُرْتَحِلِ

قَالَ : وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ بِالْعِرَاقِ رِجْلٌ[3] مِنَ الْجَرَادِ ،

---

(١) العساس : جمع عس : قدح يروى الثلاثة والاربعة . (٢) السمل : الخلق من الثياب ، والجمع أسمال ـ ويقال : ثوب أسمال ، باعتبار أجزائه كما يقال : ثوب أخلاق . والخلق : البالى (٣) الرجل من الجراد : القطعة العظيمة منه

فَأَضَرَّتْ بِالزُّرُوعِ وَالأَثْمَارِ ، وَغَلَتِ الأَسْعَارُ ، وَأَثَّرَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ . فَحَضَرْنَا مَجْلِسَ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، وَكُلٌّ مِنَّا شَكَا حَالَهُ ، وَذَكَرَ خَلَّتَهُ[1] ، وَكَانَ فِينَا رَجُلٌ مُزَارِعٌ ، ذَكَرَ أَنَّهُ زَرَعَ بِنَوَاحِي النَّهْرَوَانِ أَرْبَعَةَ آلَافِ جَرِيبٍ[2] مِلْكاً وَضَمَاناً وَإِجَارَةً رَجَاءَ الْفَائِدَةِ ، وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْجَرَادُ ، وَهَلَكَ ذَلِكَ الرَّجُلُ لِأَجْلِهِ .

ثُمَّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : لَا يَهُولَنَّكَ أَمْرُهَا ، فَإِنَّهَا جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ مَأْمُورٌ . بَلَغَنَا أَنَّ جَرَادَةً سَقَطَتْ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَخَذَهَا وَنَشَرَ[3] جَنَاحَهَا وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا ؟ قَالُوا لَا ، قَالَ : مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا : أَنَا مُغْلِي الأَسْعَارِ ، مَعَ تَدَفُّقِ الأَنْهَارِ . وَأَوْرَدَ فِي ذِكْرِ الْجَرَادِ مَا حَيَّرَ النَّاظِرِينَ ، ثُمَّ قَالَ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا وُصِفَ بِهِ الْجَرَادُ ، قَوْلُ بَعْضِ الْخُطَبَاءِ حَيْثُ يَقُولُ :

---

(١) الخلة بالفتح : الحاجة والفقر والخصاصة (٢) الجريب : مقدار معلوم من الأرض ، وهو ما يحصل من ضرب ستين فى نفسها ، أى فى ستين أمتاً . والأصل فيه المكيال .

(٣) نشر الجناح : أظهره ، وكان مطويا وهذا المكتوب الذى رواه إنما هو كناية ولسان حال .

إِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقاً وَسَمَّاهَا جَرَاداً ، وَأَلْبَسَهَا أَجْلَاداً ، وَجَنَّدَهَا أَجْنَاداً ، وَأَدْمَجَهَا [١] إِدْمَاجاً ، وَكَسَاهَا مِنَ الْوَشْيِ دِيبَاجاً ، وَجَعَلَ لَهَا ذُرِّيَّةً وَأَزْوَاجاً ، إِذَا أَقْبَلَتْ خِلْتَهَا سَحَاباً أَوْ عَجَاجاً ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ حَسِبْتَهَا قَوَافِلَ وَحُجَّاجاً ، مُزَخْرَفَةَ الْمَقَادِيمِ ، مُزَبْرَجَةً [٢] الْمَآخِيرِ ، مُزَوَّقَةَ الْأَطْرَافِ ، مُنْقَطِعَةَ الْأَخْفَافِ ، مُنَمْنَمَةَ [٣] الْحَوَاشِي ، مُنَمَّقَةَ الْغَوَاشِي [٤] ، ذَاتَ أَرْدِيَةٍ مُزَعْفَرَةٍ ، وَأَكْسِيَةٍ مُعَصْفَرَةٍ ، وَأَخْفِيَةٍ مُخَطَّطَةٍ . مُعْتَدِلَةٌ قَامَتُهَا ، مُؤْتَلِفَةٌ خِلْقَتُهَا ، مُخْتَلِفَةٌ حِلْيَتُهَا ، مَوْصُولَةُ الْمَفَاصِلِ ، مُدْرَجَةُ الْحَوَاصِلِ ، تَسْعَى وَتَخْتَالُ ، وَتَمِيسُ وَتَخْتَالُ ، وَتَطُوفُ وَتَجْتَالُ ، فَتَبَارَكَ خَالِقُهَا ، وَتَعَالَى رَازِقُهَا ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، رَحْمَةً مِنْهُ عَلَيْهَا ، أَوْسَعَهَا رِزْقاً ، وَأَتْقَنَهَا

(١) أدمجها : أى طواها وأدخلها بعضها فى بعض ، من قولهم : أدمج الشىء فى الثوب : أى لفه فيه . (٢) مزبرجة : أى مزينة ، والزبرج : الزينة ، من وشى أو جوهر أو نحو ذلك . (٣) منمنمة : مزخرفة ومنقوشة ومزينة (٤) الغواشى: جمع غاش وغاشية ، بمعنى الغطاء .

خَلْقًا ، وَفَتَقَ مِنْهَا رَتْقًا ، وَوَشَّجَ[1] أَعْرَاقَهَا ، وَأَلْجَمَ أَعْنَاقَهَا ، وَطَوَّقَهَا أَطْوَاقَهَا ، وَقَسَمَ مَعَايِشَهَا وَأَرْزَاقَهَا ، تَنْظُرُ شَزْرًا[2] مِنْ وَرَائِهَا ، وَتَرْقُبُ النَّازِلَ مِنَ سَمَائِهَا ، وَتَحْرُسُ الدَّائِرَ مِنْ حَوْلِهَا . سِلَاحُهَا عَتِيدٌ ، وَبَأْسُهَا شَدِيدٌ ، وَمَضَرَّتُهَا تَعْدِيدٌ ، تَدِبُّ عَلَى سِتٍّ وَتَطِيرُ ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَهَا خَلْقًا عَجِيبًا ، وَجَعَلَ لَهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ وَشَجَرٍ نَصِيبًا ، وَجَعَلَ لَهَا إِدْبَارًا وَإِقْبَالًا ، وَطَلَبًا وَاحْتِيَالًا ، حَتَّى دَبَّتْ وَدَرَجَتْ ، وَخَرَجَتْ وَدَخَلَتْ ، وَنَزَلَتْ وَعَرَجَتْ[3] ، مَعَ الْمَنْظَرِ الْأَنِيقِ ، وَالْعَصَبِ الدَّقِيقِ ، وَالْبَدَنِ الرَّقِيقِ « هَذَا خَلْقُ اللهِ ، فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ؟ » .

ثُمَّ قَالَ : وَمَاذَا تَقُولُونَ فِي طَيْرٍ ؟ إِذَا طَارَ بَسَطَ ، وَإِذَا دَنَا مِنَ الْأَرْضِ لَطَعَ[4] ، ؟ رِجْلَاهُ كَالْمِنْشَارِ ، وَعَيْنَاهُ كَالزُّجَاجِ . عَيْنُهُ فِي جَنْبِهِ ، وَرِجْلُهُ أَطْوَلُ مِنْ قَامَتِهِ ،

---

(١) أى جعلها مشتبكة (٢) أى نظر عبوس (٣) عرجت : أى ارتقت ، من عرج فى السلم : ارتقى . (٤) يقال : لطع فلان فلاناً : ضرب مؤخره برجله ، والغرض : أصابه .

أَلَا وَهِيَ الْجَرَادَةُ . ثُمَّ قَالَ : وَأَحْسَنُ مِنْهُ : جِيدُهَا كَجِيدِ الْبَقَرِ ، وَرَأْسُهَا كَرَأْسِ الْفَرَسِ ، وَقَرْنُهَا كَقَرْنِ الْوَعِلِ[١] ، وَرِجْلُهَا كَرِجْلِ الْجَمَلِ ، وَبَطْنُهَا كَبَطْنِ الْحَيَّةِ ، تَطِيرُ بِأَرْبَعَةِ أَجْنِحَةٍ ، وَتَأْكُلُ بِلِسَانِهَا ، فَتَبَارَكَ اللهُ مَا أَحْسَنَهَا ! وَأَحْسَنُ مَافِيهَا : أَنَّهَا طَعَامٌ طَاهِرٌ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَنُقَّلٌ[٢] تُجْدِبُ أَقْوَامًا وَتُخْصِبُ آخَرِينَ . فَقُلْنَا لَهُ : مَا مَعْنَى قَوْلِكَ « تُجْدِبُ أَقْوَامًا وَتُخْصِبُ آخَرِينَ » ؟ قَالَ : إِنَّهَا إِذَا حَلَّتِ الْبَوَادِيَ وَالْفَيَافِيَ وَمَوَاضِعَ الرِّمَالِ ، فَهِيَ خِصْبٌ لَهُمْ وَمِيرَةٌ[٣] ، وَإِذَا حَلَّتْ بِمَأْوَى الزَّرْعِ وَالْأَشْجَارِ فَهِيَ تُجْدِبُ ، لِأَنَّهَا تَأْتِي عَلَى الشَّوْكِ وَالشَّجَرِ ، وَالرَّطْبِ وَالْيَابِسِ ، فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ .

قَالَ : وَقَالَ أَيْضًا فِي تَضَاعِيفِ[٤] كَلَامِهِ : خَادِمُ الْمَلِكِ لَا يَتَقَدَّمُ فِي رِضَاهُ خُطْوَةً[٥] ، إِلَّا اسْتَفَادَ بِهَا قُدْمَةً[٦]

(١) الوعل ، والوعل : تيس الجبل ، وقيل : ذكر الأروى ، وهو الشاة الجبلية . والجمع : أو عال ووعول . (٢) يريد أنها متنقلة ، وفى تنقلها إجداب ، وقد وضح هذا فى قوله بعد . (٣) الميرة : الطعام يمتاره الانسان . (٤) تضاعيف كلامه : أى أثناء سطوره وحاشيته . (٥) كانت فى الاصل : « بخطوة » وفى : « خطوة » فأصلحت إلى مثل مافى النهاد . (٦) القدمة : السابقة فى الأمر والجرأة .

وَحُظْوَةً . قَالَ : وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ الْمَشَايِخِ كَانَ أَذْكَرَ لِحَالِ الشَّبَابِ ، وَأَكْثَرَ تَأَسُّفًا عَلَى ذَهَابِهِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ إِذَا رَأَى أَحَدًا مِنْ أَقْرَانِهِ قَدْ عَاجَلَهُ الشَّيْبُ تَسَلَّى بِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ، كَانَتْ فِي أَيَّامِ الشَّبَابِ وَزَمَنِ الصِّبَا . وَإِذَا ذُكِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّيْبِ وَالشَّبَابِ ، بَكَى وَجْدًا وَحَنَّ ، وَشَكَا وَأَنَّ ، وَتَذَكَّرَ عَهْدَ الشَّبَابِ . وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ مُقَطَّعَاتِ مَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ فِي الشَّيْبِ وَيَبْكِي عَلَيْهَا . وَأَنْشَدَ يَوْمًا :

فَإِنْ يَكُنِ الْمَشِيبُ طَرَا عَلَيْنَا
وَوَلَّى بِالْبَشَاشَةِ وَالشَّبَابِ

فَإِنِّي لَا أُعَاقِبُهُ بِشَيْءٍ
يَكُونُ عَلَيَّ أَهْوَنَ مِنْ خِضَابِ

رَأَيْتُ بِأَنَّ ذَاكَ وَذَا عَذَابٌ
فَيَنْتَقِمُ الْعَذَابُ مِنَ الْعَذَابِ

قَالَ : وَأَنْشَدَنَا لِمَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ فِي الشَّيْبِ وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ :

وَلَوْ أَنَّ دَارَ الشَّيْبِ قَرَّتْ بِصَاحِبٍ
عَلَى ضِيقِهَا لَمْ نَبْغِ دَارًا بِدَارِهِ

وَلَكِنَّ هَذَا الشَّيْبَ لِلْمَوْتِ رَائِدٌ
يُخَبِّرُنَا عَنْهُ بِقُرْبِ مَزَارِهِ

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَيَنْصُرُهُ، فَجَرَى حَدِيثُ تَحْلِيلِ النَّبِيذِ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْخُرَاسَانِيِّينَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، دَعْنَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ. مَا تَرَى أَنْتَ فِي شُرْبِ النَّبِيذِ وَالْقَدْرِ الَّذِي لَا يُسْكِرُ وَيُسْكِرُ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمَذْهَبُ فَمَعْرُوفٌ لَا عُدُولَ عَنْهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَقْتَضِيهِ الرَّأْيُ وَيُوجِبُهُ الْعَقْلُ، وَيَلْزَمُ مِنْ حَيْثُ الِاحْتِيَاطُ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْسَنِ وَالْأَوْلَى، فَتَرْكُهُ وَالْعُدُولُ عَنْهُ.

فَقَالَ لَهُ: بَيِّنْ لَنَا — عَافَاكَ اللهُ —. فَقَالَ: أَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُسْكِرُ حَلَالًا فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكَانَ يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ رَفْضُهُ وَتَرْكُهُ،

مُجَّةِ الْعَقْلِ وَالِاسْتِحْسَانِ . فَإِنَّ شَارِبَهُ مَحْمُولٌ عَلَى كُلِّ مَعْصِيَةٍ ، مَدْفُوعٌ إِلَى كُلِّ بَلِيَّةٍ ، مَذْمُومٌ عِنْدَ كُلِّ ذِي عَقْلٍ(١) وَمُرُوءَةٍ ، يُحِيلُهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْعُقَلَاءِ وَالْفُضَلَاءِ وَالْأُدَبَاءِ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ جُمْلَةِ السُّفَهَاءِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَيَضُرُّ بِالدِّمَاغِ وَالْعَقْلِ ، وَالْكَبِدِ وَالذِّهْنِ ، وَيُوَلِّدُ الْقُرُوحَ فِي الْجَوْفِ ، وَيَسْلُبُ شَارِبَهُ ثَوْبَ الصَّلَاحِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْمَهَابَةِ ، حَتَّى يَصِيرَ بِمَنْزِلَةِ الْمُخَبَّطِ الْمِخْرِيقِ(٢) وَالْمُتْبَئِجِّ ، يَقُولُ بِغَيْرِ فَهْمٍ ، وَيَأْمُرُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَضْحَكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَيَبْكِي مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ، وَيَخْضَعُ لِعَدُوِّهِ ، وَيَصُولُ عَلَى وَلِيِّهِ ، وَيُعْطِي مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَطِيَّةَ ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَسْتَوْجِبُ الصِّلَةَ ، وَيُبَذِّرُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ أَنْ يُمْسِكَ ، وَيُمْسِكُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ أَنْ يُبَذِّرَ ، يَصِيرُ حَامِدُهُ ذَامًّا ، وَأَفْعَالُهُ مَلَامًا ، عَبْدُهُ لَا يُوَقِّرُهُ ، وَأَهْلُهُ لَا تَقْرَبُهُ ، وَوَلَدُهُ يَهْرُبُ مِنْهُ ، وَأَخُوهُ

---

(١) « عقل مروءة » : هكذا فى الاصل — ولعله كما ذكر

(٢) المخبط : من : خبطه الشيطان : أى مسه بأذى وضر به ، والمخريق ، من الخرقه وهو الحمق ، والمتبئج : من : ابتأج الرجل ، أى ضخم واسترخى

يَفْزَعُ عَنْهُ ، يَتَمَرَّغُ فِى قَيْئِهِ ، وَيَتَقَلَّبُ فِى سَلْحِهِ [١] ، وَيَبُولُ فِى ثِيَابِهِ ، وَرُبَّمَا قَتَلَ قَرِيبَهُ ، وَشَتَمَ نَسِيبَهُ ، وَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَكَسَرَ آلَةَ الْبَيْتِ ، وَلَفَظَ بِالْخَنَى ، وَقَالَ كُلَّ غَلِيظَةٍ وَفُحْشٍ ، يَدْعُو عَلَيْهِ جَارُهُ ، وَيُزْرِى بِهِ أَصْحَابُهُ ، عِنْدَ اللهِ مَلُومٌ ، وَعِنْدَ النَّاسِ مَذْمُومٌ ، وَرُبَّمَا يَسْتَوْلِى عَلَيْهِ فِى حَالِ سُكْرِهِ مَخَايِلُ الْهُمُومِ ، فَيَبْكِى دَماً ، وَيَشُقُّ جَيْبَهُ حُزْناً ، وَيَنْسَى الْقَرِيبَ ، وَيَتَذَكَّرُ الْبَعِيدَ ، وَالصِّبْيَانُ يَضْحَكُونَ مِنْهُ ، وَالنِّسْوَانُ يَفْتَعِلْنَ النَّوَادِرَ عَلَيْهِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَبَعِيدٌ مِنَ اللهِ ، قَرِيبٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، قَدْ خَالَفَ الرَّحْمَنَ فِى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ نَاصِيَتِهِ ، وَزَيَّنَ فِى عَيْنِهِ إِتْيَانَ الْكَبَائِرِ ، وَرُكُوبَ الْفَوَاحِشِ ، وَاسْتِحْلَالَ الْحَرَامِ ، وَإِضَاعَةَ الصَّلَاةِ ، وَالْحِنْثَ فِى الْأَيْمَانِ ، سِوَى مَا حَلَّ بِهِ عِنْدَ الْإِفَاقَةِ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَيَسْتَوْجِبُ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللهِ إِنَّ قَوْلَكَ وَوَصْفَكَ لَهُ أَعْلَقُ بِالْقَلْبِ

---

(١) من سلح الرجل : أى تغوط

مِنْ كُلِّ وَاضِحٍ وَبُرْهَانٍ لَائِحٍ ، وَحُجَّةٍ وَأَثَرٍ ، وَقَوْلٍ وَخَبَرٍ . فَقَالَ لَهُ : لَوْلَا ذَهَابُ الْوَقْتِ لَا عِوَضَ لَهُ ، لَاسْتَدْلَلْتُ لِكُلِّ خَصْلَةٍ ذَكَرْتُهَا ، وَلَفْظَةٍ أَوْرَدْتُهَا بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ ، أَوْ خَبَرٍ مَأْثُورٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى قُلْتَ : إِنَّ الْأَلْفَاظَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ ذَاكَ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فِي هَذَا أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ ، مِنْ أَنْ يُبَيَّنَ وَيُوَضَّحَ . وَلِأَبِي حَنِيفَةَ مَسَائِلُ لَا أَرْتَضِيهَا لَهُ ، وَقَدْ خَالَفَهُ فِيهَا أَعْيَانُ أَصْحَابِهِ [١] ، وَالنَّاقِلَةُ لِمَذْهَبِهِ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ أَرِيبٍ هَفْوَةٌ ، وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ ، وَالْكَلَامُ إِذَا كَثُرَ لَا يَخْلُو مِنَ الْخَطَإِ ، وَالْقَوْلُ إِذَا تَتَابَعَ لَا يَعْرَى مِنَ التَّنَاقُضِ ، — وَاللهُ الْمُعِينُ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ — .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : دَخَلْتُ مَسْجِداً بِبَابِ الشَّامِ يَوْماً أَنْظُرُ أَبَا الْمَنْصُورِ الْعُمَرِيَّ [٢] فَرَأَيْتُ عَرَبِيّاً

---

(١) فى الاصل : « الصحابة » (٢) نسبة إلى عمر كسكر : موضع قرب واسط

قدِ اشتاقَ ومِخلاتهُ[١] تحتَ رأسِهِ ، وهوَ يترنَّمُ بهذهِ الأبياتِ بحلقٍ أطيبَ ما يكونُ ، وصوتٍ أندى ما يُسمَعُ :

سَمَاءُ الْحُبِّ تَهطِلُ بِالصُّدُودِ
وَنَارُ الْحُبِّ تَحرِقُ مِنْ بَعِيدِ

وَعَيْنُ الْحُبِّ تأتِي بِالْمَنَايَا
فتَغرِسُهُ[٢] عَلَى قَلْبٍ عَمِيدِ[٣]

وَأَوَّلُ مَنْ عَشِقْتُ عَشِقْتُ ظَبْياً
لَهُ فِي الصَّدْرِ قَلْبٌ مِنْ حَدِيدِ

فقلتُ لهُ : أَعِدِ الأبيَاتَ . فقالَ لِي : دَخلتَ عَلَيَّ وَشَغَلْتَنِي عَمَّا كُنتُ عَلَيْهِ ، خَلَوْتُ بِنَفْسِي فِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَتَمَنَّى أَمَانِيَّ دُونَهَا خَرْطُ الْقَتَادِ ، فَأَفْسَدْتَهَا عَلَيَّ . فَحَفِظْتُ الأَبْيَاتَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَانْصَرَفْتُ وَتَرَكْتُهُ . قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَأَنْشَدَنَا أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ :

---

(١) المخلاة : ما يجعل فيه الخلى ، وهو الرطب من النبات أو كل بقلة قلعتها — ومنه المثل : عبد وخلى فى يديه . أى أنه مع عبوديته غنى (٢) يريد فتغرس الدين الحب ، وفى غرسها المنايا (٣) العميد : الذى هده العشق ، قال الشاعر .

يلوموننى فى حب ليلى عواذلى ولكننى من حبها لعميد

تَفَكَّرْتُ فِي شَيْبِ الْفَتَى وَشَبَابِهِ
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الْحَقَّ لِلشَّيْبِ وَاجِبُ
يُصَاحِبُنِي شَرْخُ الشَّبَابِ فَيَنْقَضِي
وَشَيْبِي إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ مُصَاحِبُ

ثُمَّ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَحْفَظَ لِجَوَامِعِ الزُّهْدِ نَظْماً وَنَثْراً ، وَمَا وَرَدَ فِي الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ ، مِنْ شَيْخِنَا أَبِي سَعِيدٍ . وَذَاكَ أَنَّهُ كَانَ دَيِّناً ، وَرِعاً تَقِيًّا ، زَاهِداً عَابِداً خَاشِعاً ، لَهُ دَأَبٌ بِالنَّهَارِ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالْخُشُوعِ ، وَوِرْدٌ بِاللَّيْلِ مِنَ الْقِيَامِ وَالْخُضُوعِ ، صَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً الدَّهْرَ كُلَّهُ . قَالَ : وَقَالَ لِي أَبُو إِسْحَاقَ الْمَدَائِنِيُّ : مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ خَبَراً وَلَا شَيْئاً قَطُّ فِيهِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ ، وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْعِقَابِ ، وَالْمُجَازَاةِ وَالثَّوَابِ ، وَالْإِنْذَارِ ، وَالْإِعْذَارِ ، وَذَمِّ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبِهَا بِأَهْلِهَا ، وَتَغَيُّرِهَا

عَلَى أَبْنَائِهَا — إِلَّا وَبَكَى مِنْهَا ، وَجَزِعَ عِنْدَهَا ، وَرُبَّمَا نَغَّصَ عَلَيْهِ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ ، وَامْتَنَعَ مِنْ عَادَاتِهِ فِى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ . وَكَانَ يُنْشِدُنَا وَيُورِدُ عَلَيْنَا مِنْ أَمْثَالِهِ ، مَا كُنَّا نَسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَفِيدُ مِنْهُ ، وَمَا نَجْعَلُهُ حَظَّ يَوْمِنَا . وَرَأَيْتُهُ يَوْمًا يُنْشِدُ وَيَبْكِى :

حَنَى الدَّهْرُ مِنْ بَعْدِ اسْتِقَامَتِهِ ظَهْرِى
وَأَفْضَى إِلَى تَنْغِيصِ عِيشَتِهِ عُمْرِى

وَدَبَّ الْبِلَى فِى كُلِّ عُضْوٍ وَمَفْصِلٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِى يَبْقَى سَلِيمًا عَلَى الدَّهْرِ ؟

قَالَ : وَوَصَّى يَوْمًا بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ شَرْحَ الْفَصِيحِ لِابْنِ دَرَسْتَوَيْهِ : كُنْ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : اجْعَلْ مَا فِى كُتُبِكَ رَأْسَ مَالِكَ ، وَمَا فِى صَدْرِكَ لِلتَّفَقُّهِ . قَالَ : وَأَنْشَدَنَا :

وَذِى حِيلَةٍ لِلشَّيْبِ ظَلَّ يَحُوطُهُ
يُقَرِّضُهُ حِينًا وَحِينًا يُنَتِّفُ (١)

---

(١) يقرضه . أى يقطعه ، وينتف . اى ينزع . والتشديد فيهما للمبالغة .

وَمَا لَطُفَتْ لِلشَّيْبِ حِيلَةُ عَالِمٍ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا حِيلَةُ الشَّيْبِ أَلْطَفُ[١]

قَالَ أَبُو حَيَّانَ[٢] : شَكَا أَبُو الْفَتْحِ الْقَوَّاسُ إِلَيْهِ طُولَ عُطْلَتِهِ ، وَكَسَادَ سُوقِهِ ، وَوُقُوفَ أَمْرِهِ ، وَذَهَابَ مَالِهِ ، وَرِقَّةَ حَالِهِ ، وَكَثْرَةَ دُيُونِهِ وَعِيَالِهِ ، وَتَجَلُّفَ[٣] صِبْيَانِهِ ، وَسُوءَ عِشْرَةِ أَهْلِهِ مَعَهُ ، وَقِلَّةَ رِضَاهُمْ بِهِ ، وَمُطَالَبَتَهُمْ لَهُ بِمَا لَا يَقُومُ بِهِ ، وَأَنَّهُ يَقَعُ وَيَقُومُ ، وَيَدْخُلُ كُلَّ مَدْخَلٍ ، حَتَّى يُحَصِّلَ لِنَفْسِهِ وَعِيَالِهِ بَعْضَ كِفَايَتِهِمْ . فَقَالَ لَهُ : ثِقْ بِاللهِ خَالِقِكَ ، وَكِلْ أَمْرَكَ إِلَى رَازِقِكَ ، وَأَقْلِلْ مِنْ شَغْبِكَ[٤] وَأَجْمِلْ فِي طَلَبِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ بِمَرْأًى مِنَ اللهِ وَمَسْمَعٍ ، قَدْ تَكَفَّلَ بِرِزْقِكَ ، فَيَأْتِيكَ

---

(١) إنه ما تلطف إنسان لمدارة الشيب إلا كان ظهوره وبقاؤه أبيض ناصعاً ألطف مما فعل . (٢) ها هو ذا أبو حيان يصف لك حال شاك لا يشكو حاله للسيرافى ، فانظر ما جاء على لسان الشاكى إنه لابى حيان ، لأنا ما رأينا شاكياً يكون هذا قوله ، إلا ما كان للحريرى فى مقاماته ، وكذلك التنميق الذى مر فى وصف الجراد ، والذى سلف فى وصف مضار الخمر ، فانها يلمح من بين سطورها أبو حيان وأسلوبه الجاحظى الذى يعشقه عشقا « عبد الخالق »

(٣) تجلف صبيانه . أى هزالهم وسوء حالهم (٤) شغبك . الشغب . بسكون الغين تهييج الشر ، ولا يصح فيه شغب بالتحريك وقيل : التحريك لغة فيه

مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُهُ ، وَضَمِنَ لَكَ وَلِعِيَالِكَ قُوتَهُمْ ، فَيَدِرُّ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْتَقِبُهُ ، وَعَلَى حَسَبِ الثِّقَةِ [١] بِاللهِ يَكُونُ حُسْنُ الْمَعُونَةِ ، وَبِمِقْدَارِ عُدُولِكَ عَنِ اللهِ إِلَى خَلْقِهِ يَكُونُ كَلُّ الْمَثُونَةِ [٢] . وَأَنْشَدَ وَذَكَرَ أَنَّهُ لِبَعْضِ الْمُحْدَثِينَ :

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ إِنَّ الرِّزْقَ فِي طَلَبِكْ
وَالرِّزْقُ يَأْتِي وَإِنْ أَقْلَلْتَ مِنْ تَعَبِكْ
لَا يَمْلِكَنَّكَ لَا حِرْصٌ وَلَا تَعَبٌ
فَيُسْلِمَاكَ وَلَا تَدْرِي إِلَى عَطَبِكْ
إِنْ تَخْفَ أَسْبَابُ هَذَا [٣] الرِّزْقِ عَنْكَ فَكَمْ
لِلرِّزْقِ مِنْ سَبَبٍ يُغْنِيكَ عَنْ سَبَبِكْ
بَلْ إِنْ تَكُنْ فِي أَعَزِّ الْعِزِّ ذَا أَرَبٍ
فَلَا يَكُنْ زَادُ مَنْ لَمْ تَبْلُ مِنْ أَرَبِكْ

(١) فى الاصل : « وعلى حسب النفقه بالله تكون المعونة » وفى العماد : ما كتبناه.
(٢) كل المثونة . أى ثقلها وحالها — الكل : الضعيف والمراد هنا ثقل العبء ه.
(٣) فى الأصل : « بدون هذا »

لَا تَعْرِضَنَّ لِزَادٍ لَسْتَ تَمْلِكُهُ
وَاقْنَعْ بِزَادِكَ أَوْ فَاصْبِرْ عَلَى سَغَبِكْ

وَلَسْتَ تَحْمَدُ أَنْ تُعْزَى إِلَى نَشَبٍ
إِذَا عُزِيتَ إِلَى بُخْلٍ عَلَى نَشَبِكْ

هَبْ جَاهِلَ الْقَوْمِ غَرَّتْهُ جَهَالَتُهُ
أَلَسْتَ ذَا أَدَبٍ فَاعْمَلْ عَلَى أَدَبِكْ؟

لَا تَكْلَبَنَّ[1] عَلَى عِرْضِ الْكِرَامِ تَعِشْ
وَالْكَلْبُ أَحْسَنُ حَالًا مِنْكَ فِي كَلَبِكْ

وَلَا تَعِبْ عِرْضَ مَنْ فِي عِرْضِهِ جَرَبٌ
إِلَّا وَأَنْتَ نَقِيُّ الْعِرْضِ مِنْ جَرَبِكْ

وَإِنَّمَا النَّاسُ فِي الدُّنْيَا ذَوُو رُتَبٍ
فَانْهَضْ إِلَى الرُّتْبَةِ[2] الْعَلْيَاءِ مِنْ رُتَبِكْ

---

(١) كلب يكلب كلباً على الأمر : أى ألح : مستعار من كلب الكلب إذا ضرى وتعود عض الناس (٢) فى الأصل : « العليا » بدون همزة » وقد صححناه ليستقيم الوزن .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى مَجْلِسِ أَبِى سَعِيدٍ عَلِيُّ ابْنُ الْمُسْتَنِيرِ ، وَكَانَ هَذَا ابْنَ بِنْتِ قُطْرُبٍ ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَعْرِفُ لَهُ تَقَدُّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى وَطَاءَةِ خُلُقٍ وَحُسْنِ عِشْرَةٍ ، وَحَلَاوَةِ كَلَامٍ وَفَقْرٍ مُدْقِعٍ ، وَضُرٍّ ظَاهِرٍ وَحَالَةٍ سَيِّئَةٍ ، وَأَمْرٍ مُخْتَلٍّ وَمَعِيشَةٍ ضَيِّقَةٍ ، وَكَثْرَةِ عِيَالٍ وَمَئُونَةٍ مَعَ نَشَاطِ الْقَلْبِ ، وَثَبَاتِ النَّفْسِ وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ ، وَكَثْرَةِ الْمَرَحِ وَالطَّرَبِ وَالِارْتِيَاحِ .

وَقَرَأَ يَوْماً عَلَى أَبِى سَعِيدٍ دِيوَانَ الْمُرَقِّشِ وَأَخَذَ خَطَّهُ بِذَلِكَ ، وَعَجَّلَ الِانْصِرَافَ مِنْ عِنْدِهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : أَيْنَ عَزَمْتَ ؟ قَالَ : أَذْهَبُ لِأُصْلِحَ أَمْرَ الْعِيَالِ ، وَأَتَمَحَّلَ وَأَحْتَالَ ، فَدَعَا لَهُ بِالرِّزْقِ وَالسَّعَةِ وَالْمَعُونَةِ وَالْكِفَايَةِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ضَاحِكُ السِّنِّ ، قَرِيرُ الْعَيْنِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ : هَذَا الرَّجُلُ مَعَ مَا فِيهِ ، لَا يُعْرَفُ الْحُزْنُ فِى وَجْهِهِ ، وَلَا يَشْتَدُّ هَمُّهُ ، وَيَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ . فَالْتَفَتَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

أَيُّهَا الشَّيْخُ : وَرَاءَهُ حَالٌ يُخْفِيهَا عَنَّا ، وَيَطْوِيهَا مِنَّا ؟ قَالَ : مَا أَظُنُّ الْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ عَاقِلٌ ، وَالْعَاقِلُ يَعْلُو عَلَى[1] هَمِّهِ وَحُزْنِهِ ، فَيَقْهَرُهُمَا بِعَقْلِهِ وَعِلْمِهِ ، وَالْجَاهِلُ يَشْتَدُّ هَمُّهُ وَحُزْنُهُ ، وَيُرَى ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ لِجَهْلِهِ . فَاسْتَحْسَنَّا ذَلِكَ وَأَثْبَتْنَاهُ .

قَالَ فِي كِتَابِ الْإِمْتَاعِ : فَقَالَ لِيَ الْوَزِيرُ : أَيْنَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ ؟ وَأَيْنَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى مِنْهُمَا ؟ وَأَيْنَ ابْنُ الْمَرَاغِيِّ أَيْضاً مِنَ الْجَمَاعَةِ ؟ وَكَذَلِكَ الْمَرْزُبَانِيُّ وَابْنُ شَاذَانَ ، وَابْنُ الْوَرَّاقِ وَابْنُ حَيَّوَيْهِ . فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : أَبُو سَعِيدٍ أَجْمَعُ لِشَمْلِ الْعِلْمِ ، وَأَنْظَمُ لِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ ، وَأَدْخَلُ فِي كُلِّ بَابٍ ، وَأَخْرَجُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَأَلْزَمُ لِلْجَادَّةِ الْوُسْطَى فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ ، وَأَرْوَى لِلْحَدِيثِ ، وَأَقْضَى فِي الْأَحْكَامِ ، وَأَفْقَهُ فِي الْفَتْوَى ، وَأَحْضَرُ بَرَكَةً عَلَى الْمُخْتَلِفِينَ ، وَأَظْهَرُ أَثَراً فِي الْمُقْتَبِسَةِ . وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ نُوحُ بْنُ نَصْرٍ وَكَانَ مِنْ أُدَبَاءِ

---

(١) كانت فى الأصل : « يعلو عليه همه » .

مُلوكِ آلِ سَامَانَ ، سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمائَةٍ كِتَابًا خَاطَبَهُ فِيهِ بِالْإِمَامِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِمائَةِ مَسْأَلَةٍ الْغَالِبُ عَلَيْهَا الْحِرَانُ [1] وَمَا أَشْبَهَ الْحِرَانَ . وَبَاقِى ذَلِكَ أَمْثَالٌ مَصْنُوعَةٌ عَلَى الْعَرَبِ شَكَّ فِيهَا فَسَأَلَهُ عَنْهَا . وَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ مَقْرُونًا بِكِتَابِ الْوَزِيرِ الْبَلْعَمِيِّ خَاطَبَهُ فِيهِ بِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ ، ضَمَّنَهُ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ وَأَمْثَالًا لِلْعَرَبِ مُشْكِلَةً .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَرْزُبَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَلِكُ الدَّيْلَمِ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ كِتَابًا خَاطَبَهُ فِيهِ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ، سَأَلَ عَنْ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ مَسْأَلَةً أَكْثَرُهَا فِى الْقُرْآنِ ، وَبَاقِى ذَلِكَ فِى الرِّوَايَاتِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الصَّحَابَةِ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ حِنْزَابَةَ مِنْ مِصْرَ كِتَابًا خَاطَبَهُ فِيهِ بِالشَّيْخِ الْجَلِيلِ ، وَسَأَلَهُ فِيهِ عَنْ ثَلَاثِمائَةِ كَلِمَةٍ مِنْ فُنُونِ الْحَدِيثِ الْمَرْوِىِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ

(١) الحران للدابة : وهو وقوفها إذا استدر جريها ، شبهت الكلمة الخارجة عن إدراك العقل ، بحران الدابة فى صعوبة المعالجة .

السَّلَفِ . وَقَالَ لِيَ (١) الدَّارَقُطْنِيُّ سَنَةَ سَبْعِينَ : أَنَا جَمَعْتُ ذَلِكَ لِابْنِ حِنْزَابَةَ عَلَى طَرِيقِ الْمَعُونَةِ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ مَلِكُ سِجِسْتَانَ عَلَى يَدِ شَيْخِنَا أَبِي سُلَيْمَانَ (٢) كِتَابًا خَاطَبَهُ فِيهِ بِالشَّيْخِ الْفَرْدِ . سَأَلَ عَنْ سَبْعِينَ مَسْأَلَةً فِي الْقُرْآنِ . وَمِائَةِ كَلِمَةٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَثَلَاثِمِائَةِ بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ ، هَكَذَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو سُلَيْمَانَ ، وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً فِي الْأَحْكَامِ ، وَثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً فِي الْأُصُولِ عَلَى طَرِيقِ الْمُتَكَلِّمِينَ .

قَالَ الْوَزِيرُ (٣) : وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ وَالْجَوَابَاتُ عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ : قَالَ : فِي كَمْ تَقَعُ ؟ قُلْتُ لَعَلَّهَا تَقَعُ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، لِأَنَّ أَكْثَرَهَا فِي الظُّهُورِ . قَالَ : مَا أَحْوَجَنَا إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَالِاسْتِمْتَاعِ بِهَا ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا ، وَأَيْنَ الْفَرَاغُ وَأَيْنَ السُّكُونُ ؟؟ وَنَحْنُ فِي كُلِّ يَوْمٍ نُدْفَعُ

---

(١) أبو حيان هو المتكلم (٢) هو المنطقى (٣) هو ابن سعدان

إِلَى طَامَّةٍ تُنْسِي مَاسَلَفَ ، وَتُوعِدُ بِالدَّاهِيَةِ ثُمَّ قَالَ : صِلْ حَدِيثَكَ . قُلْتُ : وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ : فَأَشَدُّ تَفَرُّداً بِالْكِتَابِ وَأَكْثَرُ إِكْبَاباً عَلَيْهِ ، وَأَبْعَدُ مِنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِمَّا هُوَ عِلْمُ الْكُوفِيِّينَ ، وَمَا تَجَاوَزَ فِي اللُّغَةِ كُتُبَ أَبِي زَيْدٍ وَأَطْرَافاً لِغَيْرِهِ ، وَهُوَ مُتَّقِدٌ بِالْغَيْظِ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَبِالْحَسَدِ لَهُ . كَيْفَ تَمَّ لَهُ تَفْسِيرُ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ؟ بِغَرِيبِهِ وَأَمْثَالِهِ ، وَشَوَاهِدِهِ وَأَبْيَاتِهِ . وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، لِأَنَّ هَذَا شَيْءٌ مَاتَمَّ لِلْمُبَرِّدِ وَلَا لِلزَّجَّاجِ ، وَلَا لِابْنِ السَّرَّاجِ وَلَا لِابْنِ دَرَسْتَوَيْهِ ، مَعَ سَعَةِ عِلْمِهِمْ ، وَقَبْضِ بَنَانِهِمْ .(١)

وَلِأَبِي عَلِيٍّ أَطْرَافٌ مِنَ الْكَلَامِ فِي مَسَائِلَ أَجَادَ فِيهَا وَلَمْ يَأْتَلِ(٢) ، وَلَكِنَّهُ قَعَدَ عَنِ الْكِتَابِ عَلَى النَّظْمِ الْمَعْرُوفِ . وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُنَا : أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ اشْتَرَى شَرْحَ أَبِي سَعِيدٍ بِالْأَهْوَازِ - فِي تَوَجُّهِهِ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ ،

(١) وقبض بنانهم : هو من : قبض على الشيء بيده : أمسكه وضم عليه أصابعه ، وهو إشارة إلى تمكنهم (٢) أي يقصر

لَاحِقًا بِالْخِدْمَةِ الْمَوْسُومَةِ بِهِ وَالنِّدَامَةِ[1] الْمَوْقُوفَةِ عَلَيْهِ - بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ ، وَهَـذَا حَدِيثٌ مَشْهُورٌ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ يَأْبَوْنَ الْإِقْرَارَ بِهِ ، إِلَّا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَرَادَ النَّقْضَ عَلَيْهِ وَإِظْهَارَ الْخَطَإِ .

وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ هَمَّ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فَلَمْ يُقْضَ لَهُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ أَبَا سَعِيدٍ مَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَأَبُو عَلِيٍّ يَشْرَبُ وَيُخَالِعُ[2] ، وَمَا هَذِي سَجِيَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَطَرِيقَةُ الدَّيَّانِينَ . وَأَبُو سَعِيدٍ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، وَلَا يُصَلِّي إِلَّا فِي الْجَمَاعَةِ ، وَيُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَيَلِي الْقَضَاءَ سِنِينَ ، وَيَتَأَلَّهُ[3] وَيَتَحَرَّجُ ، وَغَيْرُهُ بِمَعْزِلٍ عَنْ هَذَا ، وَلَوْلَا الْإِبْقَاءُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لَكَانَ الْقَلَمُ يَجْرِي بِمَا هُوَ خَافٍ ، وَيُخْبِرُ بِمَا هُوَ مُجَمْجَمٌ[4] وَلَكِنَّ الْأَخْذَ بِحُكْمِ الْمُرُوءَةِ أَوْلَى ، وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا

---

(١) أى المنادمة والشراب (٢) يخالع : من خلع خلاعة : أى انقاد لهواه ، وتهتك واستخف (٣) يتأله : يتعبد (٤) مجمجم : من جمجم الكلام لم يبينه ، يريد بما هو مستتر غير ظاهر

يُوجِبُ اللَّائِمَةَ أَحْرَى[1]، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ حَسَنَ الْخَطِّ، وَلَقَدْ أَرَادَهُ الصَّيْمَرِيُّ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالتَّحْرِيرِ فَاسْتَعْفَى وَقَالَ: هَـذَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى دُرْبَةٍ وَأَنَا عَارٍ مِنْهَا، وَسِيَاسَةٍ وَأَنَا غَرِيبٌ فِيهَا. وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرِمِ.

وَحَدَّثَنَا النَّصْرِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ وَكَانَ يَكْتُبُ النَّوْبَةَ لِلْمُهَلَّبِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَخُطُّ بَيْنَ يَدَيِ الصَّيْمَرِيِّ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَالْتَمَسَنِي يَوْمًا لِأَنْ أُجِيبَ ابْنَ الْعَمِيدِ أَبَا الْفَضْلِ عَنْ كِتَابٍ فَلَمْ يَجِدْنِي، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ بِحَضْرَتِهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ لِفَضْلِ الْعِلْمِ أَقْوَمُ بِالْجَوَابِ مِنْ غَيْرِهِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ وَيُجِيبَ، فَأَطَالَ فِي عَمَلِ نُسْخَةٍ كَثُرَ فِيهَا الضَّرْبُ[2] وَالْإِصْلَاحُ، ثُمَّ أَخَذَ يُحَرِّرُ

(١) أبو حيان هنا كامل الأدب، وعند مايذكر الصاحب، لايبقى ولا يذر، من قول يدل على حطة وضعة وإسقاط ذكر الصاحب «عبد الخالق»

(٢) الضرب: الشطب، يقال: شطب عن الشيء: مال عنه، والضرب على الكلمة شطب لأنه عدول عنها إلى غيرها، ويرادف الشطب الترميج: وهو إفساد سطور بعد كتابتها. «عبد الخالق»

وَالصَّيْمَرِيُّ يَقْرَأُ مَا يَكْتُبُهُ ، فَوَجَدَهُ مُخْلِفًا لِجَارِي الْعَادَةِ لَفْظًا ، مُبَايِنًا لِمَأْثُورِهِ تَرْتِيبًا . قَالَ : وَدَخَلْتُ فِي تِلْكَ الْحَالِ فَتَمَثَّلَ الصَّيْمَرِيُّ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

يَا بَارِيَ الْقَوْسِ بَرْيًا لَيْسَ يُصْلِحُهُ

لَا تَظْلِمِ الْقَوْسَ أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا

ثُمَّ قَالَ لِأَبِي سَعِيدٍ : خَفِّفْ عَنْكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، وَادْفَعِ الْكِتَابَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ تِلْمِيذِكَ لِيُجِيبَ عَنْهُ ، فَخَجِلَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ . فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ الْجَوَابَ مِنْ غَيْرِ نُسْخَةٍ تَحَيَّرَ مِنِّي أَبُو سَعِيدٍ .

ثُمَّ قَالَ لِلصَّيْمَرِيِّ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ : لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ مَا كَانَ مِنِّي ، وَلَا بِمُسْتَكْبَرٍ مَا كَانَ مِنْهُ ، إِنَّ مَالَ الْغَنِيِّ لَا يَصِحُّ فِي بَيْتِ الْمَالِ إِلَّا بَيْنَ مُسْتَخْرِجٍ وَجِهْبَذٍ ، وَالْكُتَّابُ جَهَابِذَةُ الْكَلَامِ ، وَالْعُلَمَاءُ مُسْتَخْرِجُوهُ . فَتَبَسَّمَ الصَّيْمَرِيُّ وَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ وَقَالَ : عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَخْلَيْتَنَا مِنْ فَائِدَةٍ .

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ بَعِيدَ الْقَرِينِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالتَّفْسِيرُ ، وَالْفِقْهُ وَالْفَرَائِضُ ، وَالشُّرُوطُ وَالنَّحْوُ ، وَاللُّغَةُ وَالْعَرُوضُ ، وَالْقَوَافِي وَالْحِسَابُ ، وَالْهَنْدَسَةُ وَالشِّعْرُ ، وَالْحَدِيثُ وَالْأَخْبَارُ ، وَهُوَ فِي كُلِّ هَـذَا ، إِمَّا فِي الْغَايَةِ وَإِمَّا فِي الْوَسَطِ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : فَعَلِيُّ الرُّتَبِ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَالْكَلَامِ وَالْمَنْطِقِ ، وَلَا عَيْبَ[1] بِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْلُكْ طَرِيقَ وَاضِعِ الْمَنْطِقِ ، بَلْ أَفْرَدَ لَهُ صِنَاعَةً وَأَظْهَرَ بَرَاعَةً ، وَقَدْ عَمِلَ فِي الْقُرْآنِ كِتَابًا نَفِيسًا ، هَذَا مَعَ الدِّينِ الثَّخِينِ ، وَالْعَقْلِ الرَّزِينِ .

وَأَمَّا ابْنُ الْمَرَاغِيِّ : فَلَا يَلْحَقُ بِهَؤُلَاءِ مَعَ بَرَاعَةِ اللَّفْظِ ، وَسَعَةِ الْحِفْظِ ، وَقُوَّةِ النَّفْسِ ، وَغَزَارَةِ النَّفْثِ[2] ، وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ ، وَمَنْ نَظَرَ لَهُ فِي كِتَابِ الْبَهْجَةِ عَرَفَ مَا أَقُولُ ، وَاعْتَقَدَ فَوْقَ مَا وَصَفْتُ .

---

(١) فى الاصل : « وعيب بدون لا » (٢) النفث : أصله من نفث الشيطان الشعر والغزل ثم استعير كما هنا ، فقيل : ما أحسن نفثات فلان ، أى شعره

وَأَمَّا الْمَرْزُبَانِيُّ وَابْنُ شَاذَانَ، وَالْقَوْمِيسِينِيُّ وَابْنُ الْخَلَّالِ، وَابْنُ حَيُّويَهِ: فَلَهُمْ رِوَايَةٌ وَجَمْعٌ، لَيْسَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ نَقْطٌ وَلَا إِعْجَامٌ، وَلَا إِسْرَاجٌ وَلَا إِلْجَامٌ.

وَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِيُّ شَيْخُنَا قَالَ: حَدَّثَنِي تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْيَمَنِ زَيْدُ ابْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ شَيْخُنَا قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ دَخَلَ عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَوَّلُ مَنْ أَقْوَى فِي الشِّعْرِ أَبُونَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا
فَوَجْهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ
وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: يُمْكِنُ إِنْشَادُهُ عَلَى وَجْهٍ لَا يَكُونُ فِيهِ إِقْوَاءٌ[1]. فَقَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِأَنْ تَنْصِبَ

---

(١) فى الاصل: «أقوى» والاقواء: مخالفة القوافى فى الحركات، كرفع مع جر مثل الذى ذكر.

بَشَاشَةً عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَتَرْفَعَ الْوَجْهَ الْمَلِيحَ بِقَلَّ ، وَيَكُونَ قَدْ حُذِفَ التَّنْوِينُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ :

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلَا ذَاكِرِ اللهَ إِلَّا قَلِيلَا

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ : جَرَى لَيْلَةً ذِكْرُ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ فِي مَجْلِسِ ابْنِ عَبَّادٍ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ يَتَعَصَّبُ لَهُ وَيُقَدِّمُهُ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَهُ وَأَبَانَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَصَادَفَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ بَحْرَ عِلْمٍ وَطَوْدَ حِلْمٍ .

فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْخَشْكِيُّ : إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ فِي كِتَابِ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ شَيْئًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّادٍ مُتَنَمِّرًا(١) وَلَمْ يَقُلْ حَرْفًا ، فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنِّي تَوَصَّلْتُ بِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى سَأَلَ عَنْ حِلْمِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى مَعَ ذَنْبِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فَقَالَ : وَاللهِ لَقَدْ مَلَكَنِي الْغَيْظُ مِنْ ذَلِكَ الْجَاهِلِ حَتَّى عَزَبَ عَنِّي رَأْيِي ، وَلَمْ أَجِدْ فِي الْحَالِ

(١) متنمر من تنمر ومعناه : غضب وساء خلقه

شَيْئًا يَشْفِي غَيْظِي وَغُلَّتِي مِنْهُ ، فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِسُكُوتِي عَنْهُ ، فَشَابَهَتِ الْحَالُ الْحِلْمَ وَمَا كَانَ ذَلِكَ حِلْمًا ، وَلَكِنْ طَلَبًا لِنَوْعٍ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ لَائِقٍ بِهِ . فَوَاللهِ مَا يَدْرِى ذَلِكَ الْكَلْبُ وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ خَرَجَ مِنْ قَرْيَتِهِ وَرَقَةً مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ . وَهَلْ سَبَقَ أَحَدٌ إِلَى مِثْلِهِ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى آخِرِهِ ، مَعَ كَثْرَةِ فُنُونِهِ ، وَخَوَافِي أَسْرَارِهِ ؟ وَكَانَ أَبُو مُوسَى هَذَا مِنْ طَبَرِسْتَانَ ، فَعُدَّ هَذَا التَّعَصُّبُ مِنْ مَنَاقِبِ ابْنِ عَبَّادٍ ، وَحَجَبَ أَبَا مُوسَى بَعْدَ ذَلِكَ .

وَمِنْ عَجِيبِ مَا مَرَّ بِي : مَا قَرَأْتُهُ فِي كِتَابِ الِانْتِصَارِ الْمُنْبِي عَنْ فَضَائِلِ الْمُتَنَبِّي ، لِأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَغْرِبِيِّ رَاوِيَةِ الْمُتَنَبِّي ، وَكَانَ قَدْ رَدَّ فِيهِ عَلَى بَعْضِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ شِعْرَ الْمُتَنَبِّي مَسْرُوقٌ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ وَالْبُحْتُرِيِّ . وَلَهُ قَصِيدَةٌ عَارَضَ بِهَا بَعْضَ قَصَائِدِ الْمُتَنَبِّي ، وَأَخَذَ الْمَغْرِبِيُّ يَرُدُّ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَرَأَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَشْهَدَ بِأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ مُؤَدِّبِ الْأَمِيرِ

أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ خَطَّهُ بِأَنَّ قَصِيدَتَهُ خَيْرٌ مِنْ قَصِيدَةِ أَبِي الطَّيِّبِ . قَالَ : وَمَنْ جَعَلَ الْحُكْمَ فِي هَذَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ ؟ إِنَّمَا يَحْكُمُ فِي الشِّعْرِ الشُّعَرَاءُ لَا الْمُؤَدِّبَةُ . وَبِمِثْلِ هَذَا جَرَتْ سُنَّةُ الْعَرَبِ فِي الْقَدِيمِ ، كَانَتْ تُضْرَبُ لِلنَّابِغَةِ خَيْمَةٌ مِنْ أَدَمٍ بِسُوقِ عُكَاظَ ، وَتَأْتِي الشُّعَرَاءُ مِنْ سَائِرِ الْآفَاقِ فَتَعْرِضُ أَشْعَارَهَا عَلَيْهِ ، فَيَحْكُمُ لِمَنْ أَجَادَ ، وَخَبَرُهُ مَعَ حَسَّانٍ وَغَيْرِهِ مَعْرُوفٌ . وَلَوْ كَانَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنَّحْوِ أَشْعَرَهُمْ ، لَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَوِيُّ أَشْعَرَ النَّاسِ . وَمَا عُرِفَ لَهُ مِنْ نَظْمِ بَيْتٍ وَلَا أَبْيَاتٍ وَلَا سُمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ .

وَأَمَّا إِعْطَاءُ أَبِي سَعِيدٍ خَطَّهُ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْخَزَّازِ الْوَرَّاقِ بِبَغْدَادِ ، وَأَبُو بَكْرٍ الْقَنْطَرِيُّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْخُرَاسَانِيِّ ، وَهُمَا وَرَّاقَانِ أَيْضاً مِنْ جِلَّةِ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ : أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ إِذَا أَرَادَ بَيْعَ كِتَابٍ - اسْتَكْتَبَهُ بَعْضَ تَلَامِذَتِهِ - حِرْصاً

عَلَى النَّفْعِ مِنْهُ ، وَنَظَراً فِي رِقِّ الْمَعِيشَةِ ـ كَتَبَ فِي آخِرِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي حَرْفٍ مِنْهُ :

« قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : قَدْ قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَيَّ وَصَحَّ » لِيُشْتَرَى بِأَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِ مِثْلِهِ . قُلْتُ : وَهَذَا ضِدُّ مَا وَصَفَهُ بِهِ الْخَطِيبُ مِنْ مَتَانَةِ الدِّينِ ، وَتَأَبِّيهِ مِنْ أَخْذِ رِزْقٍ عَلَى الْقَضَاءِ ، وَقَنَاعَتِهِ بِمَا يُحَصِّلُ مِنْ نُسَخِهِ هَذِهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانَ .

« مُنَاظَرَةٌ جَرَتْ بَيْنَ مَتَّى بْنِ يُونُسَ الْقِنَائِيِّ الْفَيْلَسُوفِ »
« وَبَيْنَ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ — »

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : ذَكَرْتُ لِلْوَزِيرِ مُنَاظَرَةً جَرَتْ فِي مَجْلِسِ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَتْحِ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ ، بَيْنَ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ وَأَبِي بِشْرٍ مَتَّى . وَاخْتَصَرْتُهَا فَقَالَ لِي : اكْتُبْ هَذِهِ الْمُنَاظَرَةَ عَلَى التَّمَامِ ، فَإِنَّ شَيْئًا يَجْرِي فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ النَّبِيهِ ، وَبَيْنَ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ بِحَضْرَةِ أُولَئِكَ

الْأَعْلَامِ ، يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَنَمَ سَمَاعُهُ ، وَتُوعَى فَوَائِدُهُ ، وَلَا يُتَهَاوَنُ بِشَيْءٍ مِنْهُ . فَكَتَبْتُ :

حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ بِلُمَعٍ[1] مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، فَأَمَّا عَلِيُّ ابْنُ عِيسَى النَّحْوِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ ، فَإِنَّهُ رَوَاهَا مَشْرُوحَةً قَالَ : لَمَّا انْعَقَدَ الْمَجْلِسُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَالَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْفُرَاتِ لِلْجَمَاعَةِ وَفِيهِمُ الْخَالِدِيُّ ، وَابْنُ الْإِخْشِيدِ ، وَالْكِنْدِيُّ ، وَابْنُ أَبِي بِشْرٍ ، وَابْنُ رَبَاحٍ ، وَابْنُ كَعْبٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَالزُّهْرِيُّ ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى ابْنِ الْجَرَّاحِ ، وَأَبُو فِرَاسٍ ، وَابْنُ رَشِيدٍ ، وَابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيُّ ، وَابْنُ يَحْيَى الْعَلَوِيُّ ، وَرَسُولُ بْنُ طُغْجَ مِنْ مِصْرَ ، وَالْمَرْزُبَانِيُّ صَاحِبُ بَنِي سَامَانَ : أُرِيدُ أَنْ يَنْتَدِبَ مِنْكُمْ إِنْسَانٌ لِمُنَاظَرَةِ مَتَّى فِي حَدِيثِ الْمَنْطِقِ فَإِنَّهُ يَقُولُ : لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ ، وَالْخَيْرِ مِنَ الشَّرِّ ، وَالْحُجَّةِ مِنَ الشُّبْهَةِ ، وَالشَّكِّ مِنَ الْيَقِينِ ،

(١) لمع جمع لمعة : وهي القطعة من النبت أخذت فى اليبس . والمراد : بعض القصة.

إلّا بما حَوَيْناهُ منَ المَنْطقِ ، ومَلَكْنَاهُ مِنَ القِيَامِ عَلَيْهِ، وَاسْتَفَدْنَاهُ مِنْ مَوَاضِعِهِ عَلَى مَرَاتِبِهِ وَحُدُودِهِ ، وَاطَّلَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ اسْمِهِ عَلَى حَقَائِقِهِ ، فَأَحْجَمَ القَوْمُ وَأَطْرَقُوا .
فَقَالَ ابْنُ الفُرَاتِ : وَاللهِ إنَّ فِيكُمْ لَمَنْ يَفِي بِكَلَامِهِ وَمُنَاظَرَتِهِ ، وَكَسْرِ مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَإِنِّي لَأَعُدُّكُمْ فِي العِلْمِ بِحَاراً ، وَلِلدِّينِ وَأَهْلِهِ أَنْصَاراً ، وَلِلْحَقِّ وَطُلَّابِهِ مَنَاراً ، فَمَا هَذَا التَّغَامُزُ (١) وَالتَّلَامُزُ اللَّذَانِ تَجِلُّونَ عَنْهُمَا ؟ . فَرَفَعَ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ رَأْسَهُ وَقَالَ : اعْذُرْ أَيُّهَا الوَزِيرُ ، فَإِنَّ العِلْمَ المَصُونَ فِي الصُّدُورِ ، غَيْرُ العِلْمِ المَعْرُوضِ فِي هَذَا المَجْلِسِ عَلَى الأَسْمَاعِ المُصِيخَةِ ، وَالعُيُونِ المُحْدِقَةِ ، وَالعُقُولِ الجَامِدَةِ ، وَالأَلْبَابِ النَّاقِدَةِ ، لِأَنَّ هَذَا يَسْتَصْحِبُ الهَيْبَةَ ، وَالهَيْبَةُ مَكْسَرَةٌ ، وَيَجْتَلِبُ الحَيَاءَ ، وَالحَيَاءُ مَغْلَبَةٌ ، وَلَيْسَ البِرَازُ فِي مَعْرَكَةٍ غَاصَّةٍ ، كَالصِّرَاعِ (٢) فِي بُقْعَةٍ خَاصَّةٍ .

فَقَالَ ابْنُ الفُرَاتِ : أَنْتَ لَهَا يَا أَبَا سَعِيدٍ ، فَاعْتِذَارُكَ

(١) التغامز من تغامزوا : أي أشار بعضهم إلى بعض . والتلامز : التعايب .
(٢) في الأصل : « المصراع »

عَنْ غَيْرِكَ ، يُوجِبُ عَلَيْكَ الِانْتِصَارَ لِنَفْسِكَ ، وَالِانْتِصَارُ لِنَفْسِكَ رَاجِعٌ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِفَضْلِكَ . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : مُخَالَفَةُ الْوَزِيرِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ هُجْنَةٌ [١] ، وَالِاحْتِجَانُ [٢] عَنْ رَأْيِهِ إِخْلَادٌ إِلَى التَّقْصِيرِ ، — وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن زَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ حُسْنَ التَّوْفِيقِ وَالْمَعُونَةِ فِي الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ — . ثُمَّ وَاجَهَ مَتَّى فَقَالَ : حَدِّثْنِي عَنِ الْمَنْطِقِ مَا تَعْنِي بِهِ ؟ فَإِنَّا إِذَا فَهِمْنَا مُرَادَكَ فِيهِ ، كَانَ كَلَامُنَا مَعَكَ فِي قَبُولِ صَوَابِهِ ، وَرَدِّ خَطَئِهِ عَلَى سَنَنٍ مَرْضِيٍّ ، وَعَلَى طَرِيقَةٍ مَعْرُوفَةٍ . قَالَ مَتَّى : أَعْنِي بِهِ أَنَّهُ آلَةٌ مِنَ الْآلَاتِ ، يُعْرَفُ بِهِ صَحِيحُ الْكَلَامِ مِنْ سَقِيمِهِ ، وَفَاسِدُ الْمَعْنَى مِنْ صَالِحِهِ كَالْمِيزَانِ ، فَإِنِّي أَعْرِفُ بِهِ الرُّجْحَانَ مِنَ النُّقْصَانِ ، وَالشَّائِلَ [٣] مِنَ الْجَانِحِ [٤]

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَخْطَأْتَ ، لِأَنَّ صَحِيحَ الْكَلَامِ مِنْ

---

(١) الهجنة : المراد بها اللؤم — يقال : فلان هجين : أى لئيم

(٢) الاحتجان عن الشيء : الصد والصرف عنه (٣) الشائل : المرتفع

(٤) الجانح : المائل

سَقِيمِهِ يُعْرَفُ[(١)] بِالْعَقْلِ إِنْ كُنَّا نَبْحَثُ بِالْعَقْلِ . هَبْكَ عَرَفْتَ الرَّاجِحَ مِنَ النَّاقِصِ مِنْ طَرِيقِ الْوَزْنِ ، مَنْ لَكَ بِمَعْرِفَةِ الْمَوْزُونِ ؟ أَهُوَ حَدِيدٌ أَمْ ذَهَبٌ ، أَمْ شَبَهٌ[(٢)] أَمْ رَصَاصٌ ؟ وَأَرَاكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْوَزْنِ فَقِيراً إِلَى مَعْرِفَةِ جَوْهَرِ الْمَوْزُونِ وَإِلَى مَعْرِفَةِ قِيمَتِهِ ، وَسَائِرِ صِفَاتِهِ الَّتِى يَطُولُ عَدُّهَا . فَعَلَى هَذَا لَمْ يَنْفَعْكَ الْوَزْنُ الَّذِى كَانَ عَلَيْهِ اعْتِمَادُكَ ، وَفِى تَحْقِيقِهِ كَانَ اجْتِهَادُكَ إِلَّا نَفْعاً يَسِيراً مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، وَبَقِيَتْ عَلَيْكَ وُجُوهٌ ، فَأَنْتَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

« حَفِظْتَ شَيْئاً وَضَاعَتْ مِنْكَ أَشْيَاءُ »

«وَبَعْدُ» : فَقَدْ ذَهَبَ عَلَيْكَ شَىْءٌ هَهُنَا ، لَيْسَ كُلُّ مَا فِى الدُّنْيَا يُوزَنُ ، بَلْ فِيهَا مَا يُكَالُ ، وَفِيهَا مَا يُوزَنُ ، وَمَا يُذْرَعُ[(٣)] ، وَفِيهَا مَا يُمْسَحُ ، وَفِيهَا مَا يُحْزَرُ[(٤)] .

---

(١) فى العماد : «يعرف بالنظم المألوف» والاعراب المعروف، إذا تكلمنا بالعربية ، وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل الخ وسقطت من الاصل . (٢) الشبه محرك ويكسر: النحاس الاصفر (٣) ذرع الشىء : قاسه بذراعه (٤) يحزر : أى يقدر خرصاً ومنه حزرت النخل : إذا خرصته وقدرته

وَهَذَا ، وَإِنْ كَانَ هَـكَذَا فِى الأَجْسَامِ المَرْئِيَّةِ ، فَإِنَّهُ أَيْضاً عَلَى ذَلِكَ فِى المَعْقُولَاتِ المَقْرُوءَةِ ، وَالأَجْسَامُ[1] ظِلَالُ العُقُولِ ، وَهِىَ تَحْـكِيهَا بِالتَّبْعِيدِ وَالتَّقْرِيبِ مَعَ الشَّبَهِ المَحْفُوظِ ، وَالمُمَاثَلَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَدَعْ هَذَا إِذَا كَانَ المَنْطِقُ وَضَعَهُ رَجُلٌ مِنْ يُونَانَ عَلَى لُغَةِ أَهْلِهَا وَاصْطِلَاحِهِمْ عَلَيْهَا ، وَمَا يَتَعَارَفُونَهُ بِهَا مِنْ رُسُومِهَا وَصِفَاتِهَا ، مِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ التُّرْكَ ، وَالهِنْدَ ، وَالفُرْسَ ، وَالعَرَبَ أَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ ، وَيَتَّخِذُوهُ حَكَماً لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، وَقَاضِياً بَيْنَهُمْ ، مَا شَهِدَ لَهُ قَبِلُوهُ ، وَمَا أَنْـكَرَهُ رَفَضُوهُ ؟ قَالَ مَتَّى : إِنَّمَا لَزِمَ ذَلِكَ ، لِأَنَّ المَنْطِقَ بَحْثٌ عَنِ الأَغْرَاضِ المَعْقُولَةِ ، وَالمَعَانِى المُدْرَكَةِ ، وَتَصَفُّحٌ لِلْخَوَاطِرِ السَّانِحَةِ[2] ، وَالسَّوَانِحِ الهَاجِسَةِ[3] ، وَالنَّاسُ فِى المَعْقُولَاتِ سَوَاءٌ .

(١) فى الاصل : « والاحساس » (٢) السانحة : من : سنح لى رأى فى ذلك : أى عرض (٣) الهاجسة مؤنث الهاجس : ما وقع فى خلدك ، والجمع هواجس

أَلَا تَرَى أَنَّ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعَةً ثَمَانِيَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَكَذَلِكَ مَا أَشْبَهَهُ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : لَوْ كَانَتِ الْمَطْبُوعَاتُ بِالْعَقْلِ ، وَالْمَذْكُورَاتُ بِاللَّفْظِ تَرْجِعُ مَعَ شُعَبِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، وَطَرَائِقِهَا الْمُتَبَايِنَةِ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْبَيِّنَةِ ، فِى أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعَةٍ أَنَّهُمَا ثَمَانِيَةٌ ، زَالَ الِاخْتِلَافُ وَحَضَرَ الِاتِّفَاقُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا .

وَلَقَدْ مَوَّهْتَ[١] بِهَذَا الْمِثَالِ ، وَلَكُمْ عَادَةٌ فِى مِثْلِ هَذَا التَّمْوِيهِ ، وَلَكِنْ نَدَعُ هَذَا أَيْضاً إِذَا كَانَتِ الْأَغْرَاضُ الْمَعْقُولَةُ وَالْمَعَانِى الْمُدْرَكَةُ ، لَا يُوصَلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِاللُّغَةِ الْجَامِعَةِ لِلْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ ، أَفَلَيْسَ قَدْ لَزِمَتِ الْحَاجَةُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : أَخْطَأْتَ[٢] ، قُلْ

---

(١) موهت : جئت بكلام ظاهره مغر وباطنه غير ما يراد به ، وهذا شبيه بالمغالطة أو قل هو سفسطة (٢) إنما خطأه لأن جواب الجواب بعد السؤال المقرون بالنفى هو بلى قال الله تعالى : « ألست بربكم ؟ قالوا : بلى »

فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بَلَى . قَالَ مَتَّى : بَلَى ، أَنَا أُقَلِّدُكَ فِي مِثْلِ هَذَا .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَأَنتَ إِذاً لَسْتَ تَدْعُونَا إِلَى عِلْمِ الْمَنْطِقِ ، بَلْ إِلَى تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ لُغَةَ يُونَانَ ، فَكَيْفَ صِرْتَ تَدْعُونَا إِلَى لُغَةٍ لَا تَفِي بِهَا ، وَقَدْ عَفَتْ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَبَادَ أَهْلُهَا ، وَانْقَرَضَ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَفَاوَضُونَ بِهَا ، وَيَتَفَاهَمُونَ أَغْرَاضَهُمْ بِتَصَرُّفِهَا ، عَلَى أَنَّكَ تَنْقُلُ مِنَ السُّرْيَانِيَّةِ ، فَمَا تَقُولُ فِي مَعَانٍ مُتَحَوِّلَةٍ [١] بِالنَّقْلِ مِنْ لُغَةِ يُونَانَ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى سُرْيَانِيَّةٍ ، ثُمَّ مِنْ هَذِهِ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى عَرَبِيَّةٍ ؟ قَالَ مَتَّى : يُونَانُ وَإِنْ بَادَتْ مَعَ لُغَتِهَا ، فَإِنَّ التَّرْجَمَةَ قَدْ حَفِظَتِ الْأَغْرَاضَ وَأَدَّتِ الْمَعَانِيَ ، وَأَخْلَصَتِ الْحَقَائِقَ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : إِذَا سَلَّمْنَا لَكَ أَنَّ التَّرْجَمَةَ صَدَقَتْ وَمَا كَذَبَتْ ، وَقَوَّمَتْ وَمَا حَرَّفَتْ ، وَوَزَنَتْ وَمَا جَزَفَتْ ،

---

(١) كانت فى الاصل : « متهولة »

وَأَنَّهَا مَا الْتَاثَتْ[1] وَلَا حَافَتْ ، وَلَا نَقَصَتْ وَلَا زَادَتْ ، وَلَا قَدَّمَتْ وَلَا أَخَّرَتْ ، وَلَا أَخَلَّتْ بِمَعْنَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَلَا بِأَخَصِّ الْخَاصِّ ، وَلَا بِأَعَمِّ الْعَامِّ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا لَا يَكُونُ ، وَلَيْسَ فِي طَبَائِعِ اللُّغَاتِ وَلَا مَقَادِيرِ الْمَعَانِي ، فَكَأَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَ هَذَا : لَا حُجَّةَ إِلَّا عُقُولُ يُونَانَ ، وَلَا بُرْهَانَ إِلَّا مَاوَضَعُوهُ[2] ، وَلَا حَقِيقَةَ إِلَّا مَا أَبْرَزُوهُ .

قَالَ مَتَّى : لَا ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ أَصْحَابُ عِنَايَةٍ بِالْحِكْمَةِ ، وَالْبَحْثِ عَنْ ظَاهِرِ هَذَا الْعَالَمِ وَبَاطِنِهِ ، وَعَنْ كُلِّ مَايَتَّصِلُ بِهِ وَيَنْفَصِلُ عَنْهُ ، وَبِفَضْلِ عِنَايَتِهِمْ ظَهَرَ مَاظَهَرَ ، وَانْتَشَرَ مَا انْتَشَرَ ، وَفَشَا مَا فَشَا ، وَنَشَأَ مَا نَشَأَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ ، وَأَصْنَافِ الصِّنَاعَةِ ، وَلَمْ نَجِدْ هَذَا لِغَيْرِهِمْ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَخْطَأْتَ وَتَعَصَّبْتَ ، وَمِلْتَ مَعَ

---

(١) ما التاثت : أى ما اختلطت ولا التبست . يقال : التاث الأمر التياثا : اختلط والتبس (٢) كانت فى الأصل : « وصفوه »

الْهَوَى ، فَإِنَّ الْعِلْمَ مَبْثُوثٌ[1] فِى الْعَالَمِ ، وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

أَلْعِلْمُ فِى الْعَالَمِ مَبْثُوثُ
وَنَحْوَهُ الْعَاقِلُ مَحْثُوثُ[2]

وَكَذَلِكَ الصِّنَاعَاتُ مَفْضُوضَةٌ عَلَى جَمِيعِ مَنْ عَلَى جَدِيدِ الْأَرْضِ، وَلِهَذَا غَلَبَ عِلْمٌ فِى مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وَكَثُرَتْ صِنَاعَةٌ فِى بُقْعَةٍ دُونَ صِنَاعَةٍ . وَهَذَا وَاضِحٌ وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهِ مَشْغَلَةٌ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّمَا كَانَ يَصِحُّ قَوْلُكَ وَتَسْلَمُ دَعْوَاكَ ، لَوْ كَانَتْ يُونَانُ مَعْرُوفَةً بَيْنَ جَمِيعِ الْأُمَمِ بِالْعِصْمَةِ الْغَالِبَةِ ، وَالْفِطْرَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْبِنْيَةِ الْمُخَالِفَةِ ، وَأَنَّهُمْ لَوْ أَرَادُوا أَنْ يُخْطِئُوا مَا قَدَرُوا ، وَلَوْ قَصَدُوا أَنْ يَكْذِبُوا مَا اسْتَطَاعُوا ، وَأَنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَقَّ تَكَفَّلَ بِهِمْ ، وَالْخَطَأَ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ ، وَالْفَضَائِلَ لَصِقَتْ بِأُصُولِهِمْ وَفُرُوعِهِمْ ، وَالرَّذَائِلَ بَعُدَتْ عَنْ جَوَاهِرِهِمْ وَعُرُوقِهِمْ ، وَهَذَا جَهْلٌ مِمَّنْ يَظُنُّهُ

(١) مبثوث : منتشر مذاع . يقال : بث الرجل الحديث : نشره وأذاعه .

(٢) يسير إليه سيرا حثيثا أى سريعا

بِهِمْ ، وَعِنَادٌ مِمَّنْ يَدَّعِيهِ عَلَيْهِمْ ، بَلْ كَانُوا كَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ ، يُصِيبُونَ فِي أَشْيَاءَ وَيُخْطِئُونَ فِي أَشْيَاءَ ، وَيَصْدُقُونَ فِي أُمُورٍ وَيَكْذِبُونَ فِي أُمُورٍ ، وَيُحْسِنُونَ فِي أَحْوَالٍ وَيُسِيئُونَ فِي أَحْوَالٍ . وَلَيْسَ وَاضِعُ الْمَنْطِقِ يُونَانَ بِأَسْرِهَا ، إِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، وَقَدْ أَخَذَ عَمَّنْ قَبْلَهُ ، كَمَا أَخَذَ عَنْهُ مَنْ بَعْدَهُ ، وَلَيْسَ هُوَ حُجَّةً عَلَى هَذَا الْخَلْقِ الْكَثِيرِ وَالْجَمِّ الْغَفِيرِ . وَلَهُ مُخَالِفُونَ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ ، وَمَعَ هَذَا : فَالِاخْتِلَافُ فِي الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ ، وَالْبَحْثِ وَالْمَسْأَلَةِ وَالْجَوَابِ سِنْخٌ[1] وَطَبِيعَةٌ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ يَرْفَعُ بِهِ هَذَا الْخِلَافَ أَوْ يُحَلْحِلُهُ[2] أَوْ يُؤَثِّرُ فِيهِ ، هَيْهَاتَ هَذَا مُحَالٌ . وَلَقَدْ بَقِيَ الْعَالَمُ بَعْدَ مَنْطِقِهِ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ مَنْطِقِهِ ، فَامْسَحْ وَجْهَكَ بِالسَّلْوَةِ عَنْ شَيْءٍ لَا يُسْتَطَاعُ ، لِأَنَّهُ مُفْتَقَدٌ[3] بِالْفِطْرَةِ وَالطِّبَاعِ ،

---

(١) السنخ : الأصل . (٢) يحلحله : يزيله عن موضعه ويحركه .

(٣) مفتقد : يقال افتقد الشيء وتفقده : طلبه عند غيبته .

وَأَنْتَ فَلَوْ فَرَّغْتَ بَالَكَ ، وَصَرَفْتَ عِنَايَتَكَ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذِهِ اللُّغَةِ الَّتِي تُحَاوِرُنَا بِهَا ، وَتُجَارِينَا فِيهَا ، وَتُدَرِّسُ أَصْحَابَكَ بِمَفْهُومِ أَهْلِهَا ، وَتَشْرَحُ كُتُبَ يُونَانَ بِعَادَةِ أَصْحَابِهَا، لَعَلِمْتَ أَنَّكَ غَنِيٌّ عَنْ مَعَانِي يُونَانَ ، كَمَا أَنَّكَ غَنِيٌّ عَنْ لُغَةِ يُونَانَ ، وَهَهُنَا مَسْأَلَةٌ : أَتَقُولُ إِنَّ النَّاسَ عُقُولُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وَأَنْصِبَاؤُهُمْ مِنْهَا مُتَفَاوِتَةٌ ؟ قَالَ مَتَّى : نَعَمْ . قَالَ : وَهَذَا التَّفَاوُتُ وَالاِخْتِلَافُ بِالطَّبِيعَةِ أَوِ الاِكْتِسَابِ ؟ قَالَ : بِالطَّبِيعَةِ . قَالَ : فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَهُنَا شَيْءٌ يَرْتَفِعُ بِهِ الاِخْتِلَافُ الطَّبِيعِيُّ ، وَالتَّفَاوُتُ الْأَصْلِيُّ ؟ قَالَ مَتَّى : هَذَا قَدْ مَرَّ فِي جُمْلَةِ كَلَامِكَ آنِفًا .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَهَلْ وَصَلْتَهُ بِجَوَابٍ قَاطِعٍ ، وَبَيَانٍ نَاصِعٍ ؟ وَدَعْ هَذَا ، أَسْأَلُكَ عَنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ هُوَ دَائِرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَمَعَانِيهِ مُتَمَيِّزَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعَقْلِ ، فَاسْتَخْرِجْ أَنْتَ مَعَانِيَهُ مِنْ نَاحِيَةِ مَنْطِقِ أَرِسْطَاطَالِيسَ

الّذِى تَدِلُّ بِهِ ، وَتُبَاهِي بِتَفْخِيمِهِ ، وَهُوَ الْوَاوُ ، وَمَا أَحْكَامُهُ ؟ وَكَيْفَ مَوَاقِعُهُ ؟ وَهَلْ هُوَ عَلَى وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوْ وُجُوهٍ ؟ فَبُهِتَ مَتَّى وَقَالَ : هَذَا نَحْوٌ ، وَالنَّحْوُ لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لَاحَاجَةَ بِالْمَنْطِقِيِّ إِلَى النَّحْوِ ، وَبِالنَّحْوِيِّ حَاجَةٌ إِلَى الْمَنْطِقِ ، لِأَنَّ الْمَنْطِقَ يَبْحَثُ عَنِ الْمَعْنَى ، وَالنَّحْوَ يَبْحَثُ عَنِ اللَّفْظِ ، فَإِنْ مَرَّ الْمَنْطِقِيُّ بِاللَّفْظِ فَبِالْعَرَضِ ، وَإِنْ عَبَرَ النَّحْوِيُّ بِالْمَعْنَى فَبِالْعَرَضِ ، وَالْمَعْنَى أَشْرَفُ مِنَ اللَّفْظِ ، وَاللَّفْظُ أَوْضَعُ مِنَ الْمَعْنَى .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَخْطَأْتَ ، لِأَنَّ الْمَنْطِقَ وَالنَّحْوَ ، وَاللَّفْظَ وَالْإِفْصَاحَ ، وَالْإِعْرَابَ وَالْبِنَاءَ ، وَالْحَدِيثَ وَالْإِخْبَارَ وَالِاسْتِخْبَارَ ، وَالْعَرْضَ وَالتَّمَنِّيَ ، وَالْحَضَّ وَالدُّعَاءَ ، وَالنِّدَاءَ وَالطَّلَبَ ، كُلُّهَا مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ بِالْمُشَاكَلَةِ وَالْمُمَاثَلَةِ . أَلَا تَرَى أَنَّ رَجُلًا لَوْ قَالَ : نَطَقَ زَيْدٌ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ مَا تَكَلَّمَ بِالْحَقِّ ، وَتَكَلَّمَ بِالْفُحْشِ وَلَكِنْ مَا قَالَ الْفُحْشَ ، وَأَعْرَبَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَكِنْ

مَا أَفْصَحَ ، وَأَبَانَ الْمُرَادَ وَلَـكِنْ مَا أَوْضَحَ ، أَوْ فَاهَ بِحَاجَتِهِ وَلَـكِنْ مَا لَفَظَ ، أَوْ أَخْبَرَ وَلَـكِنْ مَا أَنْبَأَ ، لَـكَانَ فِي جَمِيعِ هَذَا مُخَرِّفاً وَمُنَاقِضاً ، وَوَاضِعاً لِلْـكَلَامِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَمُسْتَعْمِلًا لِلَّفْظِ عَلَى غَيْرِ شَهَادَةٍ مِنْ عَقْلِهِ وَعَقْلِ غَيْرِهِ ، وَالنَّحْوُ مَنْطِقٌ وَلَـكِنَّهُ مَسْلُوخٌ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْمَنْطِقُ نَحْوٌ وَلَـكِنَّهُ مَفْهُومٌ بِاللُّغَةِ ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، أَنَّ اللَّفْظَ طَبِيعِيٌّ وَالْمَعْنَى عَقْلِيٌّ ، وَلِهَذَا كَانَ اللَّفْظُ بَائِداً[1] عَلَى الزَّمَانِ ، يَقْفُو أَثَرَ الطَّبِيعَةِ بِأَثَرٍ آخَرَ مِنَ الطَّبِيعَةِ ، وَلِهَذَا كَانَ الْمَعْنَى ثَابِتاً عَلَى الزَّمَانِ ، لِأَنَّ مُسْتَمْلِيَ[2] الْمَعْنَى عَقْلٌ ، وَالْعَقْلُ إِلَهِيٌّ ، وَمَادَّةَ اللَّفْظِ طِينِيَّـةٌ ، وَكُلُّ طِينِيٍّ مُتَهَافِتٌ[3] ، وَقَدْ بَقِيتَ أَنْتَ بِلَا اسْمٍ لِصِنَاعَتِكَ الَّتِي تَنْتَحِلُهَا ، وَآلَتِكَ الَّتِي تَزْهَى بِهَا ، إِلَّا أَنْ تَسْتَعِيرَ مِنَ

---

(١) بائدا : أى ذاهبا منقطعا لا بقاء له (٢) مستملى : أى طالب الاملاء

(٣) التهافت : التساقط قطعة قطعة .

الْعَرَبِيَّةِ لَهَا أَسْمًا فَتُعَارَ ، وَيُسَلِّمَ لَكَ بِمِقْدَارٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بُدٌّ مِنْ قَلِيلِ هَذِهِ اللُّغَةِ مِنْ أَجْلِ التَّرْجَمَةِ ، فَلَا بُدَّ لَكَ أَيْضاً مِنْ كَثِيرِهَا مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ التَّرْجَمَةِ ، وَاجْتِلَابِ الثِّقَةِ ، وَالتَّوَقِّي مِنَ الْخَلَّةِ اللَّاحِقَةِ لَكَ . قَالَ مَتَّى : يَكْفِينِي مِنْ لُغَتِكُمْ هَذِهِ : الِاسْمُ وَالْفِعْلُ وَالْحَرْفُ ، فَإِنِّي أَتَبَلَّغُ بِهَذَا الْقَدْرِ إِلَى أَغْرَاضٍ قَدْ هَذَّبَتْهَا لِي يُونَانُ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَخْطَأْتَ : لِأَنَّكَ فِي هَذَا الِاسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ فَقِيرٌ إِلَى وَضْعِهَا[1] وَبِنَائِهَا ، عَلَى التَّرْتِيبِ الْوَاقِعِ فِي غَرَائِزِ أَهْلِهَا ، وَكَذَلِكَ أَنْتَ مُحْتَاجٌ بَعْدَ هَذَا ، إِلَى حَرَكَاتِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ ، فَإِنَّ الْخَطَأَ وَالتَّحْرِيفَ فِي الْحَرَكَاتِ ، كَالْخَطَإِ وَالْفَسَادِ فِي الْمُتَحَرِّكَاتِ . وَهَذَا بَابٌ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ وَرَهْطُكَ عَنْهُ

(١) فى الأصل « وصفها »

فِي غَفْلَةٍ، عَلَى أَنَّ هَهُنَا سِرًّا مَا عَلِقَ بِكَ، وَلَا أَسْفَرَ[١] لِعَقْلِكَ، وَهُوَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لُغَةً مِنَ اللُّغَاتِ لَا تُطَابِقُ لُغَةً أُخْرَى مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا، بِحُدُودِ صِفَاتِهَا فِي أَسْمَائِهَا وَأَفْعَالِهَا، وَحُرُوفِهَا وَتَأْلِيفِهَا، وَتَقْدِيمِهَا وَتَأْخِيرِهَا، وَاسْتِعَارَتِهَا وَتَحْقِيقِهَا، وَتَشْدِيدِهَا وَتَخْفِيفِهَا، وَسَعَتِهَا وَضِيقِهَا، وَنَظْمِهَا وَنَثْرِهَا، وَسَجْعِهَا وَوَزْنِهَا وَمَيْلِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ، وَمَا أَظُنُّ أَحَدًا يَدْفَعُ هَذَا الْحُكْمَ أَوْ يَسْأَلُ فِي صَوَابِهِ مِمَّنْ يَرْجِعُ إِلَى مُسْكَةٍ[٢] مِنْ عَقْلٍ، أَوْ نَصِيبٍ مِنْ إِنْصَافٍ، فَمِنْ أَيْنَ يَجِبُ أَنْ نَثِقَ بِشَيْءٍ تُرْجِمَ لَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ، بَلْ أَنْتَ إِلَى أَنْ تَعْرِفَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَى أَنْ تَعْرِفَ الْمَعَانِيَ الْيُونَانِيَّةَ، عَلَى أَنَّ الْمَعَانِيَ لَا تَكُونُ يُونَانِيَّةً وَلَا هِنْدِيَّةً، كَمَا أَنَّ الْأَغْرَاضَ[٣] لَا تَكُونُ فَارِسِيَّةً وَلَا عَرَبِيَّةً وَلَا تُرْكِيَّةً.

---

(١) أسفر لعقلك: أي أضاء وأشرق، ومنه: أسفر الصبح. والمراد عدم ظهوره له (٢) المسكة: بضم الميم: العقل الوافر يرجع إليه.
(٣) كانت في الأصل: «اللغات»

وَمَعَ هذَا، فَإِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَعَانِيَ حَاصِلَةٌ بِالْعَقْلِ وَالْفَحْصِ وَالْفِكْرِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَحْكَامُ اللُّغَةِ ، فَلِمَ تُزْرِي[1] عَلَى الْعَرَبِيَّةِ ؟ وَأَنْتَ تَشْرَحُ كُتُبَ أَرِسْطَاطَالِيسَ بِهَا مَعَ جَهْلِكَ بِحَقِيقَتِهَا .

وَحَدِّثْنِي عَنْ قَائِلٍ قَالَ لَكَ : حَالِي فِي مَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ وَالتَّصَفُّحِ لَهَا وَالْبَحْثِ عَنْهَا ، حَالُ قَوْمٍ كَانُوا قَبْلَ وَاضِعِ الْمَنْطِقِ ، أَنْظُرُ كَمَا نَظَرُوا ، وَأَتَدَبَّرُ كَمَا تَدَبَّرُوا ، لِأَنَّ اللُّغَةَ قَدْ عَرَفْتُهَا بِالْمَنْشَأِ وَالْوِرَاثَةِ، وَالْمَعَانِيَ نَقَّرْتُ[2] عَنْهَا بِالنَّظَرِ وَالرَّأْيِ ، وَالِاعْتِقَابِ[3] وَالِاجْتِهَادِ، مَا تَقُولُ لَهُ ؟ لَا يَصِحُّ لَهُ هذَا الْحُكْمُ ، وَلَا يَسْتَتِبُّ[4] هذَا الْأَمْرُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ هذِهِ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي عَرَفْتَهَا أَنْتَ ، وَلَعَلَّكَ تَفْرَحُ بِتَقْلِيدِكَ وَإِنْ كَانَ عَلَى بَاطِلٍ ، أَكْثَرَ مِمَّا يَفْرَحُ بِاسْتِبْدَادِهِ وَإِنْ كَانَ عَلَى حَقٍّ ، وَهذَا هُوَ الْجَهْلُ

---

(١) تزرى على العربية : تعيب عليها -(٢) نقرت عنها : أى بحثت عنها ، كنقرت بالتخفيف ، والتشديد للمبالغة . (٣) الاعتقاب : من : تعقب زيد الخبر : سأل غير من كان سأله أولا . (٤) لايستتب : أى لايتهيأ ولا يتم ولا يستقيم .

الْمُبِينُ ، وَالْحُكْمُ غَيْرُ الْمُسْتَبِينِ [١] ، وَمَعَ هَذَا فَحَدِّثْنِي عَنِ الْوَاوِ مَا حُكْمُهُ ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبَيِّنَ أَنَّ تَفْخِيمَكَ لِلْمَنْطِقِ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ، وَأَنْ تَجْهَلَ حَرْفًا وَاحِدًا مِنَ اللُّغَةِ الَّتِي تَدْعُو بِهَا إِلَى الْحِكْمَةِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَمَنْ جَهِلَ حَرْفًا وَاحِدًا أَمْكَنَ أَنْ يَجْهَلَ آخَرَ أَوِ اللُّغَةَ بِكَمَالِهَا ، وَإِنْ كَانَ لَا يَجْهَلُهَا كُلَّهَا وَإِنَّمَا يَجْهَلُ بَعْضَهَا ، فَلَعَلَّهُ يَجْهَلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا يَنْفَعُهُ فِيهِ عِلْمٌ بِمَا لَا يَحْتَاجُ . وَهَذِهِ رُتْبَةُ الْعَامَّةِ ، أَوْ هِيَ رُتْبَةُ مَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَامَّةِ بِقَدْرٍ يَسِيرٍ ؟ فَلِمَ يَتَأَبَّى عَلَى هَذَا وَيُنْكِرُ ؟ وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنَ الْخَاصَّةِ وَخَاصَّةِ الْخَاصَّةِ ، وَأَنَّهُ يَعْرِفُ سِرَّ الْكَلَامِ وَغَامِضَ الْحِكْمَةِ ، وَخَفِيَّ الْقِيَاسِ وَصَحِيحَ الْبُرْهَانِ . وَإِنَّمَا سَأَلْتُكَ عَنْ مَعَانِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ، فَكَيْفَ لَوْ نَثَرْتُ عَلَيْكَ الْحُرُوفَ كُلَّهَا وَطَالَبْتُكَ بِمَعَانِيهَا وَمَوَاضِعِهَا الَّتِي لَهَا بِالْحَقِّ ، وَالَّتِي لَهَا بِالتَّجَوُّزِ ؟ وَسَمِعْتُكُمْ

(١) كانت فى الأصل : « الغير مستبين » وهي خطأ ، أولا : لان أل لاتلحق ألفاظا نص عليها مثل بعض وكل وغير — ثانيا : أن أل لا تلحق المضاف دون المضاف إليه. إلا فى مواضع ليس منها هذا « عبد الخالق »

تَقُولُونَ « فِي » لَا يَعْلَمُ النَّحْوِيُّونَ مَوَاقِعَهَا ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ : هِيَ لِلْوِعَاءِ ، كَمَا يَقُولُونَ : إِنَّ الْبَاءَ لِلْإِلْصَاقِ . وَإِنَّ « فِي » تُقَالُ عَلَى وُجُوهٍ ، يُقَالُ : الشَّيْءُ فِي الْوِعَاءِ ، وَالْإِنَاءُ فِي الْمَكَانِ ، وَالسَّائِسُ فِي السِّيَاسَةِ ، وَالسِّيَاسَةُ فِي السَّائِسِ . أَلَا تَرَى هَذَا التَّشْقِيقَ[1] هُوَ مِنْ عُقُولِ يُونَانَ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ لُغَتِهَا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْقَلَ هَذَا بِعُقُولِ الْهِنْدِ ، وَالتُّرْكِ ، وَالْعَرَبِ ، فَهَذَا جَهْلٌ مِنْ كُلِّ مَنْ يَدَّعِيهِ ، وَخَطَلٌ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي أَفَاضَ النَّحْوِيُّ إِذَا قَالَ : « فِي لِلْوِعَاءِ » فَقَدْ أَفْصَحَ فِي الْجُمْلَةِ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ ، وَكَنَى مَعَ ذَلِكَ عَنِ الْوُجُوهِ الَّتِي تَظْهَرُ بِالتَّفْصِيلِ ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ ، وَهُوَ كَافٍ فِي مَوْضِعِ السِّكِّيتِ[2]

فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمُوَفَّقُ ، أَجِبْهُ بِالْبَيَانِ عَنْ مَوَاقِعِ الْوَاوِ ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ فِي إِفْحَامِهِ[3] ،

(١) فى الاصل : « التشقيق » يقال : شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج

(٢) السكيت : الكثير السكوت . (٣) إفحامه : أى إسكاته بالحجة .

وَحَقَّقَ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ مَا هُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مُتَشَيِّعٌ[١] لَهُ .

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : لِلْوَاوِ وُجُوهٌ وَمَوَاقِعُ : مِنْهَا مَعْنَى الْعَطْفِ فِي قَوْلِكَ : أَكْرَمْتُ زَيْداً وَعَمْراً . وَمِنْهَا الْقَسَمُ فِي قَوْلِكَ : وَاللهِ لَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا . وَمِنْهَا الِاسْتِئْنَافُ كَقَوْلِكَ : خَرَجْتُ وَزَيْدٌ قَائِمٌ[٢] ، لِأَنَّ الْكَلَامَ بَعْدَهُ ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ ، وَمِنْهَا مَعْنَى رُبَّ الَّتِي هِيَ لِلتَّقْلِيلِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ :

« وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِي الْمُخْتَرَقْ[٣] »

وَمِنْهَا : أَنْ تَكُونَ أَصْلِيَّةً فِي الِاسْمِ كَقَوْلِكَ : وَاقِدٌ ، وَاصِلٌ ، وَافِدٌ . وَفِي الْفِعْلِ كَقَوْلِكَ : وَجِلَ يَوْجَلُ . وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ مُقْحَمَةً نَحْوُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :

---

(١) متشيع من قولهم : تشيع لفلان تعصب له ، ومنه الشيعة ، لمن شايعوا سيدنا عليا وتبعوه . (٢) هذه الواو تعرب للحال والشيخ يجعلها استئنافا لأن بعدها ابتداء وخبرا ويسمى هذا وجها والمعنى على الحال فى حال خروج زيد مثل فى حال طلوع الشمس من جاء فلان والشمس طالعة وهذه الحال تسمى ظرفية لأنها لا صاحب لها فى الكلام وتقديرها فى حال كذا (٣) هذا البيت لرؤبة بن العجاج من رجاز العصر الأموى وهو من مشطور الرجز يقول : رب مكان مظلم النواحى خال ممن يخترقه ، ومحط القول جاء بعد فى أبيات أخرى ، فليراجعها من شاء . « عبد الخالق »

« فَلَمَّا أَسْلمَا وَتَلَّهُ[1] لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ » أَىْ نَادَيْنَاهُ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى
بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِى حِقَافٍ[2] عَقَنْقَلِ

الْمَعْنَى انْتَحَى بِنَا . وَمِنْهَا مَعْنَى الْحَالِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ[3] : « وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا » أَى يُكَلِّمُ النَّاسَ حَالَ صِغَرِهِ بِكَلَامِ الْكَهْلِ فِي حَالِ كُهُولَتِهِ . وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى حَرْفِ الْجَرِّ كَقَوْلِكَ : اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ ، أَىْ مَعَ الْخَشَبَةِ .

---

(١) تله للجبين : أى صرعه على عنقه وخده ، كما تقول : كبه لوجهه . وهذا الذى قاله السيرافى رأى لفريق كثير من النحاة ، ولكن فريقا آخر يرى الواو غير مقحمة ويعتبرها عاطفة ، والجواب محذوفا وتقديره : لم نتركه ينفذ رؤياه ورحمناه وحميناه من ذبح ابنه « إنا كذلك نجزى المحسنين » « عبد الخالق »

(٢) البيت لامرىء القيس ، ويروى قفاف ، والقفاف : جمع قف ، وهو ما ارتفع من الأرض . العقنقل : هي الرمال الملتوية وقد رفعت لفظ بطن على الفاعلية بانتحى على سبيل المجاز العقلى ، من إسناد الفعل إلى المكان (٣) جعل الواو هنا للحال يخالف قول ابن مالك :

وذات بدء مضارع ثبت حوت ضميراً ومن الواو خلت

حتى أنهم جعلوا المضارع فى مثل هذا المثال خبراً لمبتدإ محذوف حتى لا تكون الواو داخلة على مضارع مثبت وعلى هذا قول الشاعر :

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا

فَقَالَ ٱبْنُ الْفُرَاتِ لِمَتَّى . يَاأَبَا بِشْرٍ ، أَكَانَ هَـذَا فِى نَحْوِكَ(١) ؟ ثُمَّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : دَعْ هَـذَا ؛ هَهُنَا مَسْأَلَةٌ عَلَاقَتُهَا بِالْمَعْنَى الْعَقْلِيِّ أَكْثَرُ مِنْ عَلَاقَتِهَا بِالشَّكْلِ اللَّفْظِيِّ ، مَا تَقُولُ فِى قَوْلِ الْقَائِلِ : زَيْدٌ أَفْضَلُ الْإِخْوَةِ ؟ قَالَ صَحِيحٌ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ إِنْ قَالَ زَيْدٌ أَفْضَلُ إِخْوَتِهِ ؟ قَالَ صَحِيحٌ . قَالَ : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مَعَ الصِّحَّةِ ؟ فَبَلَحَ(٢) وَجَنَحَ وَعَصَبَ(٣) رِيقُهُ .

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَفْتَيْتَ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا ٱسْتِبَانَةٍ . الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : جَوَابُكَ عَنْهَا صَحِيحٌ ، وَإِنْ كُنْتَ غَافِلًا عَنْ وَجْهِ صِحَّتِهَا . وَالْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : جَوَابُكَ عَنْهَا غَيْرُ صَحِيحٍ ، وَإِنْ كُنْتَ أَيْضاً ذَاهِلًا عَنْ وَجْهِ بُطْلَانِهَا . قَالَ مَتَّى : بَيِّنْ ، مَا هَذَا التَّهْجِينُ ؟

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : إِذَا حَضَرْتَ الْمُخْتَلِفَةَ(٤) ٱسْتَفَدْتَ ،

---

(١) يريد بالنحو المنطق. (٢) بلح الرجل بلوحا : أعيا وعجز ، قال الأعشى :

واشتكى الأوصال منه وبلح

(٣) عصب ريقه : جف مستعار للتحير (٤) يعنى التلاميذ ، لاختلافهم إلى الدرس وترددهم عليه .

لَيْسَ هَذَا مَكَانَ التَّدْرِيسِ ، بَلْ هُوَ مَجْلِسُ إِزَالَةِ التَّلْبِيسِ ، مَعَ مَنْ عَادَتُهُ التَّمْوِيهُ وَالتَّشْبِيهُ . وَالْجَمَاعَةُ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَخْطَأْتَ ، فَلِمَ تَدَّعِي أَنَّ النَّحْوِيَّ إِنَّمَا يَنْظُرُ فِي اللَّفْظِ لَا فِي الْمَعْنَى ؟ وَالْمَنْطِقِيَّ يَنْظُرُ فِي الْمَعْنَى لَا فِي اللَّفْظِ . هَذَا كَانَ يَصِحُّ لَوْ كَانَ الْمَنْطِقِيُّ يَسْكُتُ وَيُجِيلُ فِكْرَهُ فِي الْمَعَانِي ، وَيُرَتِّبُ مَا يُرِيدُ فِي الْوَهْمِ السَّيَّاحِ[1] ، وَالْخَاطِرِ الْعَارِضِيِّ ، وَالْحَدْسِ[2] الطَّارِىءِ .

وَأَمَّا وَهُوَ يُرِيغُ[3] أَنْ يُبْرِزَ مَاصَحَّ لَهُ بِالِاعْتِبَارِ وَالتَّصَفُّحِ إِلَى الْمُتَعَلِّمِ وَالْمُنَاظِرِ ، فَلَابُدَّ لَهُ مِنَ اللَّفْظِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى مُرَادِهِ ، وَيَكُونُ طِبَاقًا لِغَرَضِهِ ، وَمُوَافِقًا لِقَصْدِهِ .

قَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، تَمِّمْ لَنَا كَلَامَكَ فِي شَرْحِ الْمَسْأَلَةِ ، حَتَّى تَكُونَ الْفَائِدَةُ ظَاهِرَةً لِأَهْلِ

---

(١) السياح : الذى يسير كثيرا من السياحة (٢) الحدس : الظن والتخمين والتوهم (٣) يريغ : أى يريد ويطلب

الْمَجْلِسِ ، وَالتَّبْكِيتُ عَامِلًا فِى نَفْسِ أَبِى بِشْرٍ . فَقَالَ : مَا أَكْرَهُ مِنْ إِيضَاحِ الْجَوَابِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا مَلَلَ الْوَزِيرِ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا طَالَ مَلَّ .

قَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : مَا رَغِبْتُ فِى سَمَاعِ كَلَامِكَ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلَلِ عَلَاقَةٌ ، فَأَمَّا الْجَمَاعَةُ فَحِرْصُهَا عَلَى ذَلِكَ ظَاهِرٌ . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : إِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ أَفْضَلُ إِخْوَتِهِ لَمْ يَجُزْ ، وَإِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ أَفْضَلُ الْإِخْوَةِ جَازَ ، وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمَا : أَنَّ إِخْوَةَ زَيْدٍ هُمْ غَيْرُ زَيْدٍ ، وَزَيْدٌ خَارِجٌ مِنْ جُمْلَتِهِمْ ، دَلِيلُ ذَلِكَ[1] ، أَنَّهُ لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ : مَنْ إِخْوَةُ زَيْدٍ؟ لَمْ يَجُزْ أَنْ تَقُولَ : زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَبَكْرٌ وَخَالِدٌ ، وَإِنَّمَا تَقُولُ : بَكْرٌ وَعَمْرٌو وَخَالِدٌ ، وَلَا يَدْخُلُ زَيْدٌ فِى جُمْلَتِهِمْ . فَإِذَا كَانَ زَيْدٌ خَارِجًا عَنْ إِخْوَتِهِ صَارَ غَيْرَهُمْ ، فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ إِخْوَتِهِ ، كَمَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ حِمَارُكَ أَفْضَلَ الْبِغَالِ ، لِأَنَّ الْحِمَارَ غَيْرُ الْبِغَالِ . كَمَا أَنَّ زَيْدًا غَيْرُ

(١) فى الأصل « وذلك دليل »

إِخْوَتِهِ . فَإِذَ قُلْتَ : زَيْدٌ أَفْضَلُ الإِخْوَةِ جَازَ . لِأَنَّهُ أَحَدُ الإِخْوَةِ ، وَالاِسْمُ يَقَعُ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ ، فَهُوَ بَعْضُ الإِخْوَةِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قِيلَ مَنِ الإِخْوَةُ ؟ عَدَدْتَهُ فِيهِمْ ، فَقُلْتَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَبَكْرٌ وَخَالِدٌ ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ : حِمَارُكَ أَفْرَهُ[1] الْحَمِيرِ . فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَاوَصَفْنَا ، جَازَ أَنْ يُضَافَ إِلَى وَاحِدٍ مَنْكُورٍ يَدُلُّ عَلَى الْجِنْسِ فَتَقُولَ : زَيْدٌ أَفْضَلُ رَجُلٍ ، وَحِمَارُكَ أَفْرَهُ حِمَارٍ ، فَيَدُلَّ رَجُلٌ عَلَى الْجِنْسِ كَمَا دَلَّ الرِّجَالُ ، وَكَمَا فِي عِشْرِينَ دِرْهَمًا وَمِائَةِ دِرْهَمٍ .

فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : مَا بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ مَزِيدٌ ، وَلَقَدْ جَلَّ عِلْمُ النَّحْوِ عِنْدِى بِهَذَا الاِعْتِبَارِ وَهَذَا الاِنْقِيَادِ .

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : مَعَانِى النَّحْوِ مُنْقَسِمَةٌ بَيْنَ حَرَكَاتِ اللَّفْظِ وَسَكَنَاتِهِ ، وَبَيْنَ وَضْعِ الْحُرُوفِ فِى مَوَاضِعِهَا الْمُقْتَضِيَةِ لَهَا ، وَبَيْنَ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ،

(١) أفره : أى أنشط ، وأمهر ، وأخف .

وَتَوَخِّي الصَّوَابِ فِي ذَلِكَ ، وَتَجَنُّبِ الْخَطَإِ فِي ذَلِكَ وَإِنْ زَاغَ شَيْءٌ عَنِ النَّعْتِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ سَائِغًا بِالِاسْتِعْمَالِ النَّادِرِ وَالتَّأْوِيلِ الْبَعِيدِ ، أَوْ مَرْدُودًا لِخُرُوجِهِ عَنْ عَادَةِ الْقَوْمِ الْجَارِيَةِ عَلَى فِطْرَتِهِمْ . فَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِ الْقَبَائِلِ ، فَذَلِكَ شَيْءٌ مُسَلَّمٌ لَهُمْ وَمَأْخُوذٌ عَلَيْهِمْ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَحْصُورٌ بِالتَّتَبُّعِ وَالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ ، وَالْقِيَاسِ الْمُطَّرِدِ عَلَى الْأَصْلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ ، وَإِنَّمَا دَخَلَ الْعُجْبُ عَلَى الْمَنْطِقِيِّينَ لِظَنِّهِمْ أَنَّ الْمَعَانِيَ لَا تُعْرَفُ وَلَا تُسْتَوْضَحُ إِلَّا بِطَرِيقِهِمْ وَنَظَرِهِمْ وَتَكَلُّفِهِمْ . فَتَرْجَمُوا لُغَةً هُمْ فِيهَا ضُعَفَاءُ نَاقِصُونَ ، بِتَرْجَمَةٍ أُخْرَى هُمْ فِيهَا ضُعَفَاءُ نَاقِصُونَ . وَجَعَلُوا تِلْكَ التَّرْجَمَةَ صِنَاعَةً ، وَادَّعَوْا عَلَى النَّحْوِيِّينَ أَنَّهُمْ مَعَ اللَّفْظِ لَا مَعَ الْمَعْنَى .

ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو سَعِيدٍ عَلَى مَتَّى فَقَالَ : أَلَا تَعْلَمُ يَا أَبَا بِشْرٍ أَنَّ الْكَلَامَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى أَشْيَاءَ قَدِ ائْتَلَفَتْ بِمَرَاتِبَ ؟ مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ : هَذَا ثَوْبٌ ،

وَالثَّوْبُ يَقَعُ عَلَى أَشْيَاءَ بِهَا صَارَ ثَوْبًا ، ثُمَّ بِهِ نُسِجَ بَعْدَ أَنْ غُزِلَ ، فَسَدَاتُهُ(١) لَا تَكْفِي دُونَ لُحْمَتِهِ ، وَلُحْمَتُهُ لَا تَكْفِي دُونَ سَدَاتِهِ ، ثُمَّ تَأْلِيفُهُ كَنَسْجِهِ ، وَبَلَاغَتُهُ كَقِصَارَتِهِ(٢) ، وَدِقَّةُ سِلْكِهِ كَرِقَّةِ لَفْظِهِ ، وَغِلَظُ غَزْلِهِ كَكَثَافَةِ حُرُوفِهِ ، وَمَجْمُوعُ هَـذَا كُلِّهِ ثَوْبٌ ، وَلَـكِنْ بَعْدَ تَقْدِمَةِ كُلِّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ الفُرَاتِ : سَلْهُ يَا أَبَا سَعِيدٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ هَذَا كُلَّمَا تَوَالَى عَلَيْهِ بَانَ انْقِطَاعُهُ ، وَانْخَفَضَ ارْتِفَاعُهُ فِي الْمَنْطِقِ الَّذِي يَنْصُرُهُ ، وَالْحَقِّ الَّذِي لَا يَنْصُرُهُ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَالَ : لِهَذَا عَلَيَّ دِرْهَمٌ غَيْرَ قِيرَاطٍ ؟ قَالَ مَتَّى : مَالِي عِلْمٌ بِهَذَا النَّمَطِ(٣) . قَالَ : لَسْتُ نَازِعًا عَنْكَ حَتَّى يَصِحَّ عِنْدَ الْحَاضِرِينَ أَنَّكَ صَاحِبُ مَخْرَقَةٍ(٤)

(١) السدى : من الثوب ما مد من خيوطه ، واللحمة : منه ما نسج عرضاً

(٢) القصارة : صناعة القصار ؛ وقصر الثوب أى دقه وبيضه ، فهو قصار

(٣) النمط من الشىء : الطريقة والمذهب ، والصنف والنوع .

(٤) المخرقة : مصدر خرق ، والمراد الحمق بالتمويه والكذب .

وَزَرَقٍ[1] ، هَهُنَا مَا هُوَ أَخَفُّ مِنْ هَذَا .

قَالَ رَجُلٌ لِصَاحِبِهِ : بِكَمِ الثَّوْبَانِ الْمَصْبُوغَانِ ؟ وَقَالَ آخَرُ : بِكَمْ ثَوْبَانِ مَصْبُوغَانِ ؟ وَقَالَ آخَرُ : بِكَمْ ثَوْبَانِ مَصْبُوغَيْنِ ؟ بَيِّنْ هَذِهِ الْمَعَانِيَ الَّتِي تَضَمَّنَهَا لَفْظًا لَفْظًا . قَالَ مَتَّى : لَوْ نَثَرْتُ أَنَا أَيْضاً عَلَيْكَ مِنْ مَسَائِلِ الْمَنْطِقِ شَيْئاً لَكَانَ حَالُكَ كَحَالِي .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَخْطَأْتَ ، لِأَنَّكَ إِذَا سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ أَنْظُرُ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَلَاقَةٌ بِالْمَعْنَى وَصَحَّ لَفْظُهُ عَلَى الْعَادَةِ الْجَارِيَةِ أَجَبْتُ ، ثُمَّ لَا أُبَالِي أَنْ يَكُونَ مُوَافِقاً أَوْ مُخَالِفاً ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُتَعَلِّقٍ بِالْمَعْنَى رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَ مُتَّصِلاً بِاللَّفْظِ وَلَكِنْ عَلَى مَوْضِعٍ لَكُمْ فِي الْفَسَادِ ، عَلَى مَاحَشَوْتُمْ بِهِ كُتُبَكُمْ رَدَدْتُهُ أَيْضاً ، لِأَنَّهُ لَاسَبِيلَ إِلَى إِحْدَاثِ لُغَةٍ مُقَرَّرَةٍ بَيْنَ أَهْلِهَا ، مَاوَجَدْنَا لَكُمْ إِلَّا مَا اسْتَعَرْتُمْ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ ، كَالسَّبَبِ

---

(١) الزرق : العمى .

وَالْآلَةِ ، وَالْمَوْضُوعِ وَالْمَحْمُولِ ، وَالْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، وَالْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ ، وَأَمْثِلَةٍ لَا تَنْفَعُ وَلَا تُجْدِي، وَهِيَ إِلَى الْعِيِّ أَقْرَبُ، وَفِي الْفَهَاهَةِ (١) أَذْهَبُ. ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ فِي مَنْطِقِكُمْ عَلَى نَقْصٍ ظَاهِرٍ ، لِأَنَّكُمْ لَا تَفُونَ بِالْكُتُبِ وَلَا هِيَ مَشْرُوحَةٌ ، وَتَدَّعُونَ الشِّعْرَ وَلَا تَعْرِفُونَهُ ، وَتَدَّعُونَ الْخَطَابَةَ وَأَنْتُمْ عَنْهَا فِي مُنْقَطِعِ التُّرَابِ ، وَقَدْ سَمِعْتُ قَائِلَكُمْ يَقُولُ : الْحَاجَةُ مَاسَّةٌ إِلَى كِتَابِ الْبُرْهَانِ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، فَلِمَ قَطَعَ الزَّمَانَ بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ ؟ ، وَإِنْ كَانَتِ الْحَاجَةُ قَدْ مَسَّتْ إِلَى مَا قَبْلَ الْبُرْهَانِ ، فَهِيَ أَيْضًا مَاسَّةٌ إِلَى مَا بَعْدَ الْبُرْهَانِ ، وَإِلَّا فَلِمَ صَنَّفَ مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيُسْتَغْنَى عَنْهُ ؟ هَذَا كُلُّهُ تَخْلِيطٌ وَزَرَقٌ، وَتَهْوِيلٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ . وَإِنَّمَا بِوُدِّكُمْ أَنْ تَشْغَلُوا جَاهِلًا ، وَتَسْتَذِلُّوا (٢) عَزِيزًا. وَغَايَتُكُمْ أَنْ تُهَوِّلُوا بِالْجِنْسِ وَالنَّوْعِ ، وَالْخَاصَّةِ وَالْفَصْلِ ، وَالْعَرَضِ وَالشَّخْصِ ،

(١) الفهاهة : العي والغباوة ، والفه : الغبي (٢) في الأصل « تبذلوا » نقلنا تستذلوا من الذلة ، يريد تتركون العزيز ذليلا ويصح وتبذلوا على معنى تجعلونه مبتذلا

وَتقولُوا: الْهَلِّيَّةُ[1] وَالأَيْنِيَّةُ، وَالْمَاهِيَّةُ وَالْكَيْفِيَّةُ وَالْكَمِّيَّةُ، وَالذَّاتِيَّةُ وَالْعَرَضِيَّةُ، وَالْجَوْهَرِيَّةُ وَالْهَيُولِيَّةُ، وَالصُّورِيَّةُ وَالإِنْسِيَّةُ[2]، وَالْكَسْبِيَّةُ وَالنَّفْسِيَّةُ. ثُمَّ تَتَمَطَّونَ وَتَقُولُونَ: جِئْنَا بِالسِّحْرِ فِى قَوْلِنَا: لَا شَىْءَ مِنْ بَاءٍ وَوَاوٍ وَجِيمٍ، فِى بَعْضِ بَاءٍ وَفَاءٍ فِى بَعْضِ جِيمٍ، وَإِلَّا فِى كُلِّ بَ وَجَ فِى كُلِّ بَ، فَا، إِذاً لَا فِى كُلِّ جَ، وَهَذَا بِطَرِيقِ الْخُلْفِ، وَهَذَا بِطَرِيقِ الاخْتِصَاصِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا جُزَافَاتٌ[3] وَتُرَّهَاتٌ[4]، وَمَغَالِقُ[5]، وَشَبَكَاتٌ[6]، وَمَنْ جَادَ عَقْلُهُ وَحَسُنَ تَمْيِيزُهُ، وَلَطُفَ نَظَرُهُ، وَثَقُبَ رَأْيُهُ، وَأَنَارَتْ نَفْسُهُ، اسْتَغْنَى عَنْ هَذَا كُلِّهِ، بِعَوْنِ اللهِ وَفَضْلِهِ. وَجَوْدَةُ

---

(١) الهلية: نسبة إلى هل، والأينية: نسبة إلى أين، وهكذا (٢) الأنسية. نسبة إلى الأنس: والانس: البشر أو خلاف الجن والملك، الواحد إنسى وانسى (٣) الجزافات: مثلثة الجيم والفم أفصح، جمع جزاف وجزافة، والجزاف: الحدس والتخمين، وأصله فى البيع والشراء، وهو معرب كزاف بالفارسية وفى رأيى أنها خرافات «عبد الخالق»

(٤) الترهات جمع الترة والترهة: وهو الباطل والكذب والتخليط — وقيل الترهات فى الأصل: القفار، ثم استعيرت للاباطيل والاقاويل.

(٥) مغالق: جمع مغلق، وهو الكلام المبهم المشكل (٦) الشبكات: جمع شبكة، وهى شرك الصياد فى الماء والبر، «ونصب شبكته»: مثل عند المولدين، يضرب فى المكيدة وإخفاء الحيلة

الْعَقْلِ وَحُسْنُ التَّمْيِيزِ ، وَلُطْفُ النَّظَرِ وَثُقُوبُ الرَّأْيِ ، وَإِنَارَةُ النَّفْسِ مِنْ مَنَائِحِ اللهِ الْهَنِيَّةِ ، وَمَوَاهِبِهِ السَّنِيَّةِ ، يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . وَمَا أَعْرِفُ لِاسْتِطَالَتِكُمْ بِالْمَنْطِقِ وَجْهًا ، وَهَذَا النَّاشِئُ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ نَقَضَ عَلَيْكُمْ ، وَتَتَبَّعَ طَرِيقَكُمْ ، وَبَيَّنَ خَطَأَكُمْ ، وَأَبْرَزَ ضَعْفَكُمْ ، وَلَمْ تَقْدِرُوا إِلَى الْيَوْمِ أَنْ تَرُدُّوا عَلَيْهِ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِمَّا قَالَ ، وَمَا زِدْتُمْ عَلَى قَوْلِكُمْ : لَمْ يَعْرِفْ أَغْرَاضَنَا ، وَلَا وَقَفَ عَلَى مُرَادِنَا ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ عَلَى وَهْمٍ[1] ، وَهَذَا مِنْكُمْ لَجَاجَةٌ وَنُكُولٌ ، وَرِضًى بِالْعَجْزِ وَالْكُلُولِ ، وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ فَعَلَيْكُمْ فِيهِ اعْتِرَاضٌ . هَذَا قَوْلُكُمْ فِي فَعَلَ وَيَنْفَعِلُ ، وَلَمْ تَسْتَوْضِحُوا فِيهِمَا مَرَاتِبَهُمَا وَمَوَاقِعَهُمَا ، وَلَمْ تَقِفُوا عَلَى مَقَاسِمِهِمَا[2] ، لِأَنَّكُمْ قَنِعْتُمْ فِيهِمَا بِوُقُوعِ الْفِعْلِ مِنْ يَفْعَلُ ، وَقَبُولِ الْفِعْلِ مِنْ يَنْفَعِلُ ، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ غَايَاتٌ

---

(١) الوهم : أن يذهب وهمه إلى شيء وهو يريد غيره ، وهو بسكون الهاء

(٢) يريد أقسامها

خَفِيَتْ عَلَيْكُمْ ، وَمَعَارِفُ ذَهَبَتْ عَنْكُمْ ، وَهَذَا حَالُكُمْ فِي الْإِضَافَةِ .

فَأَمَّا الْبَدَلُ وَوُجُوهُهُ ، وَالْمَعْرِفَةُ وَأَقْسَامُهَا ، وَالنَّكِرَةُ وَمَرَاتِبُهَا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ ، فَلَيْسَ لَكُمْ فِيهِ مَقَالٌ وَلَا مَجَالٌ ، وَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ لِإِنْسَانٍ : كُنْ مَنْطِقِيًّا فَإِنَّمَا تُرِيدُ : كُنْ عَقْلِيًّا أَوْ عَاقِلًا ، أَوِ اعْقِلْ مَا تَقُولُ ، لِأَنَّ أَصْحَابَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَنْطِقَ هُوَ الْعَقْلُ ، وَهَذَا قَوْلٌ مَدْخُولٌ ، لِأَنَّ الْمَنْطِقَ عَلَى وُجُوهٍ أَنْتُمْ مِنْهَا فِي سَهْوٍ . وَإِذَا قَالَ لَكَ آخَرُ : كُنْ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا فَصِيحًا ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ : افْهَمْ عَنْ نَفْسِكَ مَا تَقُولُ ، ثُمَّ رُمْ أَنْ يَفْهَمَ عَنْكَ غَيْرُكَ ، وَقَدِّرِ اللَّفْظَ عَلَى الْمَعْنَى فَلَا يَنْقُصُ عَنْهُ . هَذَا إِذَا كُنْتَ فِي تَحْقِيقِ شَيْءٍ عَلَى مَا هُوَ بِهِ ، فَأَمَّا إِذَا حَاوَلْتَ فَرْشَ الْمَعْنَى وَبَسْطَ الْمُرَادِ ، فَاجْلُ اللَّفْظَ بِالرَّوَادِفِ الْمُوَضِّحَةِ ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُقَرِّبَةِ ، وَالِاسْتِعَارَاتِ الْمُمْتِعَةِ ، وَسَدِّدِ الْمَعَانِيَ بِالْبَلَاغَةِ ، أَعْنِي لَوِّحْ مِنْهَا شَيْئًا

حَتَّى لَا تُصَابَ إِلَّا بِالْبَحْثِ عَنْهَا وَالشَّوْقِ إِلَيْهَا ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ إِذَا ظُفِرَ بِهِ عَلَى هَـذَا الْوَجْهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَرُمَ وَعَلَا ، وَأَشْرَحُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى لَا يُمْكِنَ أَنْ يُعْتَرَى فِيهِ ، أَوْ يُتْعَبَ فِي فَهْمِهِ ، أَوْ يُنْزَحَ[1] عَنْهُ لِاغْتِمَاضِهِ ، فَبِهَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ جَامِعًا لِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَلِأَشْبَاهِ الْحَقَائِقِ ، وَهَـذَا بَابٌ إِنِ اسْتَقْصَيْتُهُ خَرَجَ عَنْ نَمَطِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ ، عَلَى أَنِّى لَا أَدْرِى ، أَيُؤْثَرُ[2] مَا أَقُولُ أَمْ لَا ؟ ثُمَّ قَالَ : حَدِّثْنَا ، هَلْ فَصَلْتُمْ قَطُّ بِالْمَنْطِقِ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ ، أَمْ رَفَعْتُمُ الْخِلَافَ بَيْنَ اثْنَيْنِ ؟؟ أَتُرَاكَ بِقُوَّةِ الْمَنْطِقِ وَبُرْهَانِهِ اعْتَقَدْتَ أَنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، وَأَنَّ الْوَاحِدَ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ ، وَأَنَّ الَّذِى هُوَ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ هُوَ وَاحِدٌ ، وَأَنَّ الشَّرْعَ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَالْحَقَّ مَا تَقُولُهُ ؟ هَيْهَاتَ ، هٰهُنَا أُمُورٌ تَرْفَعُ عَنْ دَعْوَى أَصْحَابِكَ وَهَذَيَانِهِمْ ، وَتَدِقُّ عَنْ عُقُولِهِمْ وَأَذْهَانِهِمْ ،

---

(١) فى الاصل « يستريح » (٢) يؤثر الخ : أى ينقل عنى ، وأثر الحديث ، ذكره عن غيره ومنه : حديث مأثور ، أى ينقله خلف عن سلف .

وَدَعْ هذَا . هٰهُنَا مَسْأَلَةٌ قَدْ أَوْقَعَتْ خِلَافاً ، فَارْفَعْ ذَلِكَ الْخِلَافَ بِمَنْطِقِكَ . قَالَ قَائِلٌ : « لِفُلَانٍ مِنَ الْحَائِطِ إِلَى الْحَائِطِ » مَا الْحُكْمُ فِيهِ ، وَمَا قَدْرُ الْمَشْهُودِ بِهِ لِفُلَانٍ ؟؟ فَقَدْ قَالَ نَاسٌ : لَهُ الْحَائِطَانِ مَعاً وَمَا بَيْنَهُمَا . وَقَالَ آخَرُونَ : لَهُ النِّصْفُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا . وَقَالَ آخَرُونَ : لَهُ أَحَدُهُمَا . هَاتِ الْآنَ آيَتَكَ الْبَاهِرَةَ ، وَمُعْجِزَتَكَ الْقَاهِرَةَ ، وَأَنَّى لَكَ بِهِمَا ؟ وَهَذَا قَدْ بَانَ بِغَيْرِ نَظَرِكَ وَنَظَرِ أَصْحَابِكَ . وَدَعْ هَذَا أَيْضاً . قَالَ قَائِلٌ : « مِنَ الْكَلَامِ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ كَذِبٌ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ خَطَأٌ » فَسِّرْ هَذِهِ الْجُمْلَةَ . وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ عَالِمٌ آخَرُ ، فَاحْكُمْ أَنْتَ بَيْنَ الْقَائِلِ وَالْمُعْتَرِضِ ، وَأَرِنَا قُوَّةَ صِنَاعَتِكَ الَّتِي تُمَيِّزُ بِهَا بَيْنَ الْخَطَأِ وَالصَّوَابِ ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ أَحْكُمُ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَهُ ، وَالْآخَرُ لَمْ أَحْصُلْ عَلَى اعْتِرَاضِهِ ؟ قِيلَ لَكَ : اسْتَخْرِجْ بِنَظَرِكَ الِاعْتِرَاضَ إِنْ كَانَ مَا قَالَهُ مُحْتَمِلًا لَهُ ، ثُمَّ أَوْضِحِ الْحَقَّ

مِنْهُمَا ، لِأَنَّ الْأَصْلَ مَسْمُوعٌ لَكَ حَاصِلٌ عِنْدَكَ . وَمَا يَصِحُّ
بِهِ أَوْ يَطَّرِدُ[1] عَلَيْهِ يَجِبُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ ، فَلَا تَتَعَاسَرْ
عَلَيْنَا ، فَإِنَّ هَذَا لَايَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْجَمَاعَةِ ، فَقَدْ
بَانَ الْآنَ أَنَّ مُرَكَّبَ اللَّفْظِ لَا يَحُوزُ مَبْسُوطَ الْعَقْلِ .
وَالْمَعَانِي مَعْقُولَةٌ وَلَهَا اتِّصَالٌ شَدِيدٌ وَبَسَاطَةٌ تَامَّةٌ ، وَلَيْسَ
فِي قُوَّةِ اللَّفْظِ مِنْ أَيِّ لُغَةٍ كَانَ ، أَنْ يَمْلِكَ ذَلِكَ الْمَبْسُوطَ
وَيُحِيطَ بِهِ وَيَنْصِبَ عَلَيْهِ سُوراً ، وَلَا يَدَعَ شَيْئاً مِنْ دَاخِلِهِ
أَنْ يَخْرُجَ ، وَلَا شَيْئاً مِنْ خَارِجِهِ أَنْ يَدْخُلَ ، خَوْفاً مِنَ
الاخْتِلَاطِ الْجَالِبِ لِلْفَسَادِ ، أَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ يَخْلِطُ الْحَقَّ
بِالْبَاطِلِ ، وَيُشَبِّهُ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ ، وَهَذَا الَّذِي وَقَعَ الصَّحِيحُ مِنْهُ
فِي الْأَوَّلِ قَبْلَ وَضْعِ الْمَنْطِقِ ، وَقَدْ عَادَ ذَلِكَ الصَّحِيحُ فِي
الثَّانِي بِهَذَا الْمَنْطِقِ ، وَأَنْتَ لَوْ عَرَفْتَ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ
وَمَسَائِلَهُمْ ، وَوَقَفْتَ عَلَى غَوْرِهِمْ[2] فِي فِكْرِهِمْ ، وَغَوْصِهِمْ[3]

(١) يطرد عليه : أى يتبعه ويجرى عليه ، تقول : اطرد الأمر : أى استقام والأنهار تطرد ، أى تجرى . (٢) الغور : المعرفة بالأمور ، وغار فى الأمر : إذا دقق النظر فيه (٣) كانت فى الأصل : « غوضهم »

فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ ، وَحُسْنِ تَأْوِيلِهِمْ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ ، وَسَعَةِ تَشْقِيقِهِمْ لِلْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةِ ، وَالْكِنَايَاتِ الْمُفِيدَةِ ، وَالْجِهَاتِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ ، لَحَقَّرْتَ نَفْسَكَ ، وَازْدَرَيْتَ أَصْحَابَكَ ، وَلَكَانَ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَتَتَابَعُوا عَلَيْهِ ، أَقَلَّ فِي عَيْنِكِ مِنَ السُّهَا[1] عِنْدَ الْقَمَرِ ، وَمِنَ الْحَصَا عِنْدَ الْجَبَلِ . أَلَيْسَ الْكِنْدِيُّ وَهُوَ عَلَمٌ فِي أَصْحَابِكُمْ ، يَقُولُ فِي جَوَابِ مَسْأَلَةٍ : « هَذَا مِنْ بَابِ عِدَّةٍ » فَعَدَّ الْوُجُوهَ بِحَسَبِ الاسْتِطَاعَةِ عَلَى طَرِيقِ الْإِمْكَانِ مِنْ نَاحِيَةِ الْوَهْمِ بِلَا تَرْتِيبٍ ، حَتَّى وَضَعُوا لَهُ مَسَائِلَ مِنْ هَذَا ، وَغَالَطُوهُ بِهَا ، وَأَرَوْهُ مِنَ الْفَلْسَفَةِ الدَّاخِلَةِ ، فَذَهَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْوَضْعُ ، فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ مَرِيضُ الْعَقْلِ ، فَاسِدُ الْمِزَاجِ ، حَائِلُ[2] الْغَرِيزَةِ ، مُشَوَّشُ اللُّبِّ ، قَالُوا لَهُ : أَخْبِرْنَا عَنِ اصْطِكَاكِ[3] الْأَجْرَامِ وَتَضَاغُطِ الْأَرْكَانِ ، هَلْ يَدْخُلُ

(١) السها : كوكب خفي ، يمتحن الناس به أبصارهم (٢) حائل الخ : أي متغير من الاستواء إلى العوج . (٣) سقط من الأصل : « اصطكاك» من مكانها ووضعت في غير موضعها فقيل : « واصطكاك تضاغط » فغير الوضع كما ترى

فِى بَابِ وُجُوبِ الْإِمْكَانِ ، أَوْ يَخْرُجُ مِنْ بَابِ الْفِقْدَانِ إِلَى مَا يَخْفَى عَنِ الْأَذْهَانِ ؟.

وَقَالُوا لَهُ أَيْضاً : مَا تَشْبِيهُ الْحَرَكَاتِ الطبيعيَّةِ إِلَى الصُّوَرِ الْهَيُولَانِيَّةِ ؟ وَهَلْ هِىَ مُلَابِسَةٌ لِلْكِيَانِ فِى حُدُودِ النَّظَرِ وَالْبَيَانِ ، أَوْ مُزَايِلَةٌ لَهُ عَلَى غَايَةِ الْإِحْكَامِ ؟ مَا تَأْثِيرُ فِقْدَانِ الْوِجْدَانِ فِى عَدَمِ الْإِمْكَانِ ، عِنْدَ امْتِنَاعِ الْوَاجِبِ مِنْ وُجُوبِهِ ، فِى ظَاهِرِ مَالَاوُجُوبَ لَهُ لِاسْتِحَالَتِهِ فِى إِمْكَانِ أَصْلِهِ . وَعَلَى هَذَا ، فَقَدْ حُفِظَ جَوَابُهُ عَنْ جَمِيعِ هَذَا عَلَى غَايَةِ الرَّكَاكَةِ ، وَالضَّعْفِ وَالْفَسَادِ ، وَالْفَسَالَةِ وَالسُّخْفِ ، وَلَوْلَا التَّوَقِّى مِنَ التَّطْوِيلِ ، لَسَرَدْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ . وَلَقَدْ مَرَّ بِى فِى خُطَّةٍ : التَّفَاوُتُ فِى تَلَاشِى الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُحَاطٍ بِهِ ، لِأَنَّهُ يُلَاقِى الِاخْتِلَافَ فِى الْأُصُولِ ، وَالِاتِّفَاقَ فِى الْفُرُوعِ . وَكُلُّ مَا يَكُونُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ ، فَالنَّكِرَةُ تُزَاحِمُ عَلَيْهِ الْمَعْرِفَةَ ، وَالْمَعْرِفَةُ تُنَاقِضُ النَّكِرَةَ ، عَلَى أَنَّ النَّكِرَةَ

وَالْمَعْرِفَةَ مِنْ بَابِ الْأَلْسِنَةِ الْعَارِيَةِ مِنْ مَلَابِسِ الْأَسْرَارِ الْإِلٰهِيَّةِ» لَا مِنْ بَابِ الْإِلٰهِيَّةِ الْعَارِضَةِ فِي أَحْوَالِ السِّرِّيَّةِ . « وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَصْحَابُنَا الصَّابِئُونَ عَنْهُ بِمَا يُضْحِكُ الثَّكْلَى ، وَيُشْمِتُ الْعَدُوَّ ، وَيَغُمُّ الصَّدِيقَ ، وَمَا وُرِثَ هَذَا كُلُّهُ إِلَّا مِنْ بَرَكَاتِ يُونَانَ وَفَوَائِدِ الْفَلْسَفَةِ وَالْمَنْطِقِ . وَنَسْأَلُ اللهَ عِصْمَةً وَتَوْفِيقاً نَهْتَدِي بِهِمَا إِلَى الْقَوْلِ الرَّاجِعِ إِلَى التَّحْصِيلِ ، وَالْفِعْلِ الْجَارِي عَلَى التَّعْدِيلِ — إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ — .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : هَـذَا آخِرُ مَا كَتَبْتُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الشَّيْخِ الصَّالِحِ بِإِمْلَائِهِ ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ رَوَى لُمَعاً مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : لَمْ أَحْفَظْ عَلَى نَفْسِي كُلَّ مَاقُلْتُ ، وَلَـكِنْ كَتَبَ ذَلِكَ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَضَرُوا فِي أَلْوَاحٍ كَانَتْ مَعَهُمْ وَمَحَابِرَ أَيْضاً ، وَقَدِ اخْتَلَّ كَثِيرٌ مِنْهُ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : وَتَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ ، وَأَهْلُهُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ جَأْشِ أَبِي سَعِيدٍ وَلِسَانِهِ الْمُتَصَرِّفِ ، وَوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ ، وَفَوَائِدِهِ الْمُتَتَابِعَةِ . وَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ ابْنُ الْفُرَاتِ : عَيْنُ اللهِ

عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، فَقَدْ نَدَّيْتَ أَكْبَاداً ، وَأَقْرَرْتَ عُيُوناً ، وَبَيَّضْتَ وُجُوهاً ، وَحَكْتَ طِرَازاً لَا تُبْلِيهِ الْأَزْمَانُ ، وَلَا يَتَطَرَّقُهُ الْحَدَثَانُ .

قَالَ : قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ عِيسَى : وَكَمْ كَانَ سِنُّ أَبِى سَعِيدٍ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ لَهُ يَوْمَ الْمُنَاظَرَةِ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَقَدْ عَبِثَ الشَّيْبُ بِلَهَازِمِهِ ، هَذَا مَعَ السَّمْتِ وَالْوَقَارِ ، وَالدِّينِ وَالْجِدِّ ، وَهَذَا شِعَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالتَّقَدُّمِ ، وَقَلَّ مَنْ تَظَاهَرَ وَتَحَلَّى بِحِلْيَتِهِ إِلَّا جَلَّ فِى الْعُيُونِ ، وَعَظُمَ فِى الصُّدُورِ وَالنُّفُوسِ ، وَأَحَبَّتْهُ الْقُلُوبُ ، وَجَرَتْ بِمَدْحِهِ الْأَلْسِنَةُ . وَقُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ عِيسَى : أَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَوِيُّ حَاضِراً فِى الْمَجْلِسِ ؟ قَالَ لَا : ، كَانَ غَائِباً وَحُدِّثَ بِمَا كَانَ . وَكَانَ الْحَسَدُ لِأَبِى سَعِيدٍ عَلَى مَا فَازَ بِهِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ ، وَالثَّنَاءِ الْمَذْكُورِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَقَالَ لِىَ الْوَزِيرُ عِنْدَ مُنْقَطَعِ هَذَا الْحَدِيثِ : ذَكَّرْتَنِى شَيْئاً كَانَ فِى نَفْسِى ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ

عَنْهُ وَأَقِفَ عَلَيْهِ ، أَيْنَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ ؟ وَأَيْنَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى مِنْهُمَا ؟ وَأَيْنَ الْمَرَاغِيُّ أَيْضاً مِنَ الْجَمَاعَةِ ؟ وَكَذَلِكَ الْمَرْزُبَانِيُّ وَابْنُ شَاذَانَ ؟ وَابْنُ الْوَرَّاقِ وَابْنُ حَيُّوَيْهِ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَنَظِيرُ خَبَرِ أَبِي سَعِيدٍ مَعَ مَتَّى ، خَبَرُهُ أَيْضاً مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِرِيِّ الْفَيْلَسُوفِ النَّيْسَابُورِيِّ ، ذَكَرَهُ أَبُو حَيَّانَ أَيْضاً قَالَ : لَمَّا وَرَدَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْعَمِيدِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَكْرَمَ الْعُلَمَاءَ اسْتَحْضَرَهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ ، وَوَصَلَ أَبَا سَعِيدٍ السِّيرَافِيَّ ، وَأَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى الرُّمَّانِيَّ بِمَالٍ ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي بَابِ أَبِي الْفَتْحِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْعَمِيدِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : انْعَقَدَ الْمَجْلِسُ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَغَصَّ بِأَهْلِهِ ، فَرَأَيْتُ الْعَامِرِيَّ

وَقَدِ انْتُدِبَ فَسَأَلَ أَبَا سَعِيدٍ « السِّيرَافِيَّ (١) فَقَالَ » : مَا طَبِيعَةُ الْبَاءِ مِنْ بِسْمِ اللّٰهِ.؟ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ الْمُطَالَبَةِ ، وَنَزَلَ بِأَبِي سَعِيدٍ مَا كَادَ بِهِ يَشُكُّ فِيهِ ، فَأَنْطَقَهُ اللّٰهُ بِالسِّحْرِ الْحَلَالِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا أَدَّبَنَا بِهِ بَعْضُ الْمُوَفَّقِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ !. فَقَالَ .

وَإِذَا خَطَبْتَ عَلَى الرِّجَالِ فَلَا تَكُنْ
خَطِلَ الْكَلَامِ تَقُولُهُ مُخْتَالَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ مَعَ السُّكُوتِ لَبَابَةً
وَمِنَ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالَا

وَاللّٰهِ يَا شَيْخُ ، لَعَيْنُكَ أَكْبَرُ مِنْ فِرَارِكَ ، وَلَمَرْآكَ أَوْفَى مِنْ دِخْلَتِكَ (٢) ، وَلَمَنْثُورُكَ أَبْيَنُ مِنْ مَنْظُومِكَ ، فَمَا هَذَا الَّذِي طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُكَ ، وَسَدَّدَ عَلَيْهِ رَأْيُكَ ؟ إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ السَّلَامَةَ بِالسُّكُوتِ تَعَافُكَ ، وَالْغَنِيمَةَ بِالْقَوْلِ

(١) ما بين القوسين ساقط من الاصل ، ومذكور فى الهامش ، فأثبتناه لذلك

(٢) الدخلة : بالكسر ، باطن الأمر ، ومنه فلان حسن الدخلة : أى حسن المذهب فى أموره .

تَرْغَبُ عَنْكَ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ . فَقَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ ، وَقَدْ أُعْجِبَ بِمَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ :

فَتًى كَانَ يَعْلُو مَفْرِقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ
إِذَا الْخُطَبَاءُ الصِّيدُ[1] عُضِّلَ[2] قِيلُهَا
جَهِيرٌ وَمُمْتَدُّ الْعِنَانِ مُنَاقِدٌ[3]
بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الْكَلَامِ خَبِيرُهَا

وَقَوْلُهُ :

الْقَائِلُ الْقَوْلَ الرَّفِيعَ الَّذِى
يَمْرَعُ مِنْهُ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ

وَالْتَفَتَ إِلَى الْعَامِرِىِّ فَقَالَ :

وَإِنَّ لِسَانًا لَمْ يُعِنْهُ لُبَابُهُ
كَحَاطِبِ لَيْلٍ يَجْمَعُ الرَّذْلَ حَاطِبُهْ
وَذِى خَطَلٍ بِالْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ
مُصِيبٌ فَمَا يُلْمِمْ بِهِ فَهْوَ قَائِلُهْ

---

(١) الصيد جمع أصيد : وهو الرجل الذى يرفع رأسه كبرا .

(٢) وعضل قيلها : أى تعقد كلامها ، وعسر فهمه وانحلاله ، واستغلق .

(٣) مناقد : أى مناقش ، من ناقده مناقدة أى ناقشه

وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْغَبِيِّ وَإِنَّمَا
صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ وَهُوَ أَوْلَى بِذِي الْحِجَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنُّطْقِ وَجْهٌ وَمَذْهَبُ

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ فَارِسٍ مُعَلِّمِهِ فَقَالَ: لَسْنَا مِنْ كَلَامِ أَصْحَابِكَ فِي الْفَرِيضَةِ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ: أَرَأَيْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الْخَطِيرِ عِنْدَنَا؟ الْكَبِيرِ فِي أَنْفُسِنَا، قَالَ: مَا دُهِيتُ قَطُّ بِمِثْلِ مَا دُهِيتُ بِهِ الْيَوْمَ، لَقَدْ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بِشْرٍ صَاحِبِ شَرْحِ كِتَابِ الْمَنْطِقِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فِي مَجْلِسِ أَبِي جَعْفَرِ ابْنِ الْفُرَاتِ مُنَاظَرَةٌ، كَانَتْ هَذِهِ أَشْوَسَ[1] وَأَشْرَسَ مِنْهَا.

(١) الاشوس ذو الشوس، وهو النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظاً وفى نظرى أنها أشوش. والأشرس: الشريس والجرىء فى القتال، والشرس والشريس: السيىء الخلق والشديد الخلاف، ومنه سمى الأسد شريساً. والمراد أن هذه المناظرة كان فيها تطاول وخلاف شديد، وتباين وتغايظ وري بالعيون.

﴿ ١٥ – اَلْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ ﴾
﴿ ابْنِ زَيْدِ بْنِ حَكِيمٍ * ﴾

الحسن بن عبد الله العسكرى

الْعَسْكَرِيُّ ، أَبُو أَحْمَدَ اللُّغَوِيُّ الْعَلَّامَةُ . مَوْلِدُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسِتَّ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .
قَالَ السِّلَفِيُّ الْحَافِظُ : عَلَى مَا سَمِعْتُ أَبَا عَامِرٍ غَالِبَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ غَالِبٍ[1] الْفَقِيهَ الْأَسْتِرَابَاذِيَّ بِقَصْرِ رُونَاشَ يَقُولُ : رَأَيْتُ بِخَطِّ أَبِي حَكِيمٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَضْلَانَ اللُّغَوِيِّ الْعَسْكَرِيِّ مَكْتُوباً : تُوُفِّيَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَطَالَ تَطْوَافِي وَكَثُرَ تَسْآلِي

---

(١) ساقطة فى الاصل وفى العماد موجودة

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢١

عَنِ الْعَسْكَرِيَّيْنِ ، أَبِي أَحْمَدَ وَأَبِي هِلَالٍ ، فَلَمْ أَلْقَ مَنْ يُخْبِرُنِي عَنْهُمَا بِجَلِيَّةِ خَبَرٍ ، حَتَّى وَرَدْتُ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَفَاوَضْتُ الْحَافِظَ تَقِيَّ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ بْنِ الْأَنْمَاطِيِّ ، النِّضَارِيَّ الْمِصْرِيَّ ، - أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ فِيهِمَا[1] - فَذَكَرَ لِي أَنَّ الْحَافِظَ أَبَا طَاهِرٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ السِّلَفِيَّ الْأَصْبَهَانِيَّ لَمَّا وَرَدَ إِلَى دِمَشْقَ ، سُئِلَ عَنْهُمَا فَأَجَابَ فِيهِمَا بِجَوَابٍ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا مِثْلُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ ، وَأُولِي الْفَضْلِ وَالْفَهْمِ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُفِيدَنِي فِي ذَلِكَ فَفَعَلَ مُتَفَضِّلًا ، فَكَتَبْتُهُ عَلَى صُورَةِ مَا أَوْرَدَهُ السِّلَفِيُّ غَيْرَ الْمَوْلِدِ وَالْوَفَاةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي آخِرِ أَخْبَارِ أَبِي أَحْمَدَ ، فَقَدَّمْتُهُ عَلَى عَادَتِي . وَأَخْبَرَنِي بِذَلِكَ عَنِ السِّلَفِيِّ جَمَاعَةٌ : مِنْهُمُ الْأَسْعَدُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيُّ الْمَقْدِسِيُّ ، وَالنَّبِيهُ أَبُو طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ

---

(١) أى فى أمر العسكريين

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا إِجَازَةً :

قَالَ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ : دَخَلَ إِلَيَّ الشَّيْخُ الْأَمِينُ أَبُو مُحَمَّدٍ هِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَكْفَانِيِّ بِدِمَشْقَ، سَنَةَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَجَرَى ذِكْرُ أَبِي أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيِّ ، فَذَكَرْتُ فِيهِ مَا يَحْتَمِلُ الْوَقْتُ ، وَبَعْدَ خُرُوجِهِ كَتَبْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الْعَلِيِّ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى الْمُصْطَفَى النَّبِيِّ ، فَقَدْ جَرَى الْيَوْمَ ذِكْرُ الشَّيْخِ الْمَرْضِيِّ ، أَبِي أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيِّ ، وَأَنْشَدْتُ لِلصَّاحِبِ الْكَافِي لِلَّهِ شِعْرًا ، خَالَهُ سَيِّدِي سِحْرًا ، وَرَامَ - حَرَسَ اللهُ نِعْمَتَهُ ، وَكَبَتَ بِالذُّلِّ عَنَدَتَهُ - إِثْبَاتَهُ بِتَمَامِهِ ، فَاشْتَغَلْتُ بِهِ بَعْدَ نُهُوضِهِ وَقِيَامِهِ ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ وَإِلَى ذِكْرِ الشَّيْخِ أَبِي أَحْمَدَ زِيَادَةَ تَعْرِيفٍ لِيَقِفَ عَلَى جَلِيَّةِ حَالِهِ ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ لَطِيفٍ . فَلْيَعْلَمْ - أَطَالَ اللهُ لِكَافَّةِ الْأَنَامِ بَقَاءَهُ ، وَلَا سَلَبَهُمْ ظِلَّهُ

وَبَهَاءَهُ — : أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا أَحْمَدَ هَذَا ، كَانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَذْكُورِينَ بِالتَّصَرُّفِ فِي أَنْوَاعِ الْفُنُونِ ، وَالتَّبَحُّرِ فِي فُنُونِ الْفُهُومِ ، وَمِنَ الْمَشْهُورِينَ بِجَوْدَةِ التَّأْلِيفِ وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ . وَمِنْ جُمْلَتِهِ : كِتَابُ صِنَاعَةِ الشِّعْرِ رَأَيْتُهُ ، كِتَابُ الْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ ، كِتَابُ رَاحَةِ الْأَرْوَاحِ ، كِتَابُ الزَّوَاجِرِ وَالْمَوَاعِظِ ، كِتَابُ تَصْحِيحِ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ بِبَغْدَادَ وَالْبَصْرَةِ وَأَصْبَهَانَ وَغَيْرِهَا مِنْ شِيخَتِهِ ، وَفِي عِدَادِهِمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ ، وَابْنُ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ ، وَأَكْثَرَ عَنْهُمْ وَبَالَغَ فِي الْكِتَابَةِ ، وَبَقِيَ حَتَّى عَلَا بِهِ السِّنُّ ، وَاشْتَهَرَ فِي الْآفَاقِ بِالدِّرَايَةِ وَالْإِتْقَانِ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ التَّحْدِيثِ ، وَالْإِمْلَاءِ لِلْآدَابِ وَالتَّدْرِيسِ ، بِقُطْرِ خُوزِسْتَانَ . وَرَحَلَ الْأَجِلَّاءُ إِلَيْهِ لِلْأَخْذِ عَنْهُ ، وَالْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ . وَكَانَ يُمْلِي بِالْعَسْكَرِ ، وَتُسْتَرَ[1] وَمُدُنِ نَاحِيَتِهِ : مَا يَخْتَارُهُ مِنْ

---

(١) ضبطها ياقوت فى معجم البلدان بضم التاء الأولى وفتح الثانية وسكون السين ، وذكر أنه معرب شوشتر ، اسم نهر سميت به المدينة ، وذكر أنها ذات منتزهات ، وجاء ضمن قوله : أنها سميت باسم الأعرابى الذى فتحها ولكنه لم يرتضه .

عَالِي رِوَايَتِهِ عَنْ مُتَقَدِّمِي شُيُوخِهِ . وَمِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَانُ الْأَهْوَازِيُّ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ ، وَنِفْطَوَيْهِ ، وَأَبُو جَعْفَرِ ابْنُ زُهَيْرٍ وَنُظَرَاؤُهُمْ .

وَمِنْ مُتَأَخِّرِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْهُ الْحَدِيثَ وَمُتَقَدِّمِيهِمْ أَيْضاً « فَإِنِّي ذَكَرْتُهُمْ عَلَى غَيْرِ رُتَبِهِمْ كَمَا جَاءَ لَا كَمَا يَجِبُ » : أَبُو عَبَّادٍ الصَّائِغُ التُّسْتَرِيُّ ، وَذُو النُّونِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَهْرَمِيُّ ، وَابْنُ الْعَطَّارِ الشُّرُوطِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْأَصْبَهَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْيَزْدِيِّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالنُّعَيْمِيِّ الْفَقِيهُ الْحَافِظُ ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُقْرِىءُ الْأَهْوَازِيُّ نَزِيلُ دِمَشْقَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدِ انْقَلَبَ عَلَيْهِ اسْمُهُ فَيَقُولُ فِي تَصَانِيفِهِ :

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ النَّحْوِيُّ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيُّ

لَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ: وَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْخَلِيلِ الْمَالِينِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَهْوَازِيُّ شَيْخَا أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ الْحَافِظِ الْبَغْدَادِيِّ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، لَمْ أُثْبِتْ أَسْمَاءَهُمْ احْتِرَازاً مِنْ وَهْمٍ مَا، وَاحْتِيَاطاً لِبُعْدِ الْعَهْدِ بِرِوَايَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ. وَالنُّعَيْمِيُّ (١) وَالْأَهْوَازِيُّ (٢) رَوَى عَنْهُمَا الْخَطِيبُ أَيْضاً، وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ (٣) الْأَصْفَهَانِيِّ الْحَافِظِ. وَقَدْ رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ كَثِيراً.

وَمِمَّنْ رَوَى عَنْ أَبِي أَحْمَدَ مِنْ أَقْرَانِ أَبِي نُعَيْمٍ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَادِعِيُّ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْبَاطِرْقَانِيُّ (٤)، وَأَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ

---

(١) هو الحافظ أبو الحسن على بن أحمد، بن الحسن بن محمد البصرى. توفى سنة ٤٢٣

(٢) هو ابو على الحسن بن على، بن إبراهيم البصرى المحدث، مقرىء أهل الشام ولد سنة ٣٦٢ وتوفى سنة ٤٤٦

(٣) هو الامام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ولد سنة ٣٣٠ وتوفى فى المحرم سنة ٤٣٠

(٤) هو أبو بكر عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباس كان إماما فى القراءة وقتل بأصبهان فى فتنة الخراسانية أيام مسعود بن محمود بن سبكتكين سنة ٤٢١. وهو منسوب إلى باطرقان، قرية من قرى أصبهان «عبد الخالق»

زَنْجَوَيْهِ[(١)] الْأَصْفَهَانِيُّونَ ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ جِيكَانَ[(٢)] التُّسْتَرِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُوسَى الْأَيْذَجِيُّ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَحْرٍ السَّقَطِيُّ التُّسْتَرِيُّ .

وَرَوَى عَنْهُ مِمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ سِنًّا وَأَقْدَمُ مَوْتًا : أَبُو مُحَمَّدٍ خَلَفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَاسِطِيُّ[(٣)] ، وَأَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الرَّازِيُّ الْمَعْرُوفُ بِاللَّبَّانِ ، وَهُمَا مِنْ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ .

وَقَدْ رَوَى عَنْهُ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ الصُّوفِيُّ[(٤)] بِخُرَاسَانَ بِالْإِجَازَةِ ، وَكَذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْبَاقِلَّانِيِّ الْمُتَكَلِّمُ بِالْعِرَاقِ ، وَقَدْ وَقَعَ حَدِيثُهُ لِي عَالِيًا مِنْ طُرُقٍ

---

(١) فى الاصل « زنجوية » وهو تصحيف . وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد زنجويه ، فقيه فاضل توفى سنة ٤٩٠ (٢) محمد بن منصور بن جيكان القشيرى محدث ، كان يتهم بالكذب (٣) هو أبو محمد خلف بن محمد بن على بن حمدون الحافظ الواسطى ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله ، وأبو نعيم الأصبهانى وغيرهما .

(٤) هو محمد بن الحسين بن موسى النيسابورى الحافظ شيخ الصوفية ، له مصنفات جمة فى التفسير والتاريخ وغيرهما . وتوفى ٤١٢ « احمد يوسف نجاتى »

عِدَّةٍ . فَمِنْ ذَلِكَ حِكَايَةٌ رَأَيْتُهَا الآنَ مَعِي فِي جُزْءٍ مِنْ تَخْرِيجِي بِخَطِّي وَهِيَ :

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكُ[١] بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ابْنِ أَحْمَدَ الصَّيْرَفِيُّ بِبَغْدَادَ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ التُّسْتَرِيُّ[٢] مِنْ لَفْظِهِ بِالْبَصْرَةِ ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيُّ إِمْلَاءً بِتُسْتَرَ ، حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ ابْنُ الْوَلِيدِ بْنِ شُجَاعٍ بِأَصْبَهَانَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَي النَّيْسَابُورِيُّ[٣] ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُكْرَمٍ ، حَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ حُمَيْدٍ[٤] قَالَ :

---

(١) هو ابن الطيور وسأذكر ترجمته بعد قليل (٢) هو أبو على الحسن بن على بن احمد بن على البصرى السقطى توفى سنة ٤٤٩ (٣) هو أبو سعد العلامة محمد بن يحيى النيسابورى محيى الدين شيخ الشافعية ، وصاحب الامام الغزالى ، انتهت اليه رياسة المذهب بخراسان ، وقصده الفقهاء من البلاد ، وصنف التصانيف القيمة . توفى فى شهر رمضان سنة ٥٤٨ عن ٧٢ سنة على يد الغز ورثاه جماعة من الفقهاء والادباء ، منهم على البيهقى قال :

يا سافكا دم عالم متبحر قد طار فى أقصى الممالك صيته
بالله قل لى يا ظلوم ولا تخف من كان محيى الدين كيف تميته

وكان — رحمه الله — شاعراً أديباً جمع بين العلم والأدب والرقة .

« احمد يوسف نجاتى »

(٤) عتبة بن حميد الضبي أبو معاذ البصرى .

قَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ لَمَّا مَاتَتْ أُخْتُهُ: « إِذَا قَصَّرَ الْعَبْدُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ سَلَبَهُ أَنِيسَهُ » قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِ شَرْحِ التَّصْحِيفِ مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ مَا يُشْكِلُ[1] وَيُصَحَّفُ مِنْ أَسْمَاءِ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ: وَهَذَا بَابٌ صَعْبٌ لَا يَكَادُ يَضْبِطُهُ إِلَّا كَثِيرُ الرِّوَايَةِ، غَزِيرُ الدِّرَايَةِ.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدُوسٍ الْأَرَّجَانِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَكَانَ فَاضِلًا مُتَقَدِّمًا وَقَدْ نَظَرَ فِي كِتَابِي هَذَا، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى هَذَا الْبَابِ قَالَ لِي: كَمْ عِدَّةُ أَسْمَاءِ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ. قُلْتُ: مِائَةٌ وَنَيِّفٌ. فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْفَ اسْتَتَبَّ[2] لَكَ هَذَا؟! فَقَدْ كُنَّا بِبَغْدَادَ وَالْعُلَمَاءُ بِهَا مُتَوَفِّرُونَ. « وَذَكَرَ أَبَا إِسْحَاقَ الزَّجَّاجَ، وَأَبَا مُوسَى الْحَامِضَ[3]،

---

(١) يشكل: مضارع أشكل الشىء صار غامضاً مبهماً ملتبساً. وصحف الكلام: أى غيره، وتصحيف الكلمة: أن تشتبه حروفها بعضها ببعض

(٢) استتب الامر: إذا تهيأ واستوى، واستقام « وأصل هذا من الطريق المستتب وهو الذى خد فيه السيارة أخدوداً فوضح واستبان لمن يسلكه »

(٣) هو سليمان بن محمد بن أحمد النحوى، روى عن ثعلب وصحبه طويلا، وله فى اللغة مؤلفات مفيدة وتوفى سنة ٣٠٥ « احمد يوسف نجاتى »

وَأَبَا بَكْرٍ الْأَنْبَارِيَّ، وَالْيَزِيدِيَّ، وَغَيْرَهُمْ» . فَاخْتَلَفْنَا فِي اسْمِ شَاعِرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ حُرَيْثُ بْنُ مُخَفِّضٍ[1]، وَكَتَبْنَا أَرْبَعَ رِقَاعٍ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَأَجَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا يُخَالِفُ الْآخَرَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مُخَفِّضٌ بِالْخَاءِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَتَيْنِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مُحَفِّصٌ بِالْحَاءِ وَالصَّادِ غَيْرَ مُعْجَمَتَيْنِ[2]، وَقَالَ آخَرُ : ابْنُ مُحَفِّضٍ . فَقُلْنَا : لَيْسَ لِهَذَا إِلَّا أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ، فَقَصَدْنَاهُ فِي مَنْزِلِهِ وَعَرَّفْنَاهُ مَا جَرَى .

فَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : أَيْنَ يُذْهَبُ[3] بِكُمْ ؟ هَذَا مَشْهُورٌ، هُوَ حُرَيْثُ بْنُ مُحَفِّضٍ بِالْحَاءِ غَيْرَ مُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةً وَالْفَاءِ مُشَدَّدَةً وَالضَّادِ مَنْقُوطَةً، هُوَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَازِنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ وَهُوَ الْقَائِلُ :

---

(١) ذكره ابن قتيبة فى كتاب الشعراء «ص ٤٠٧» وهو علم منقول من اسم فاعل من خفض الشيء إذا ألقاه وطرحه من يديه، وحفض القوم إذا طرحهم وراءه وخلفهم، حفض الله عنه إذا خفف (٢) تكاد اللغة تخلو من حفص الشيء، والأكثر فى الأعلام أن يكون لها معنى فى اللغة وإن كانت مرتجلة . (٣) استفهام الغرض منه التنبيه على الوهم والخطأ والغفلة أو الضلال عن الشيء وعدم الانتباه إليه .

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِنْ دُعُوا لِمُلِمَّةٍ
أَجَابُوا ، وَإِنْ أَغْضَبْ عَلَى القَوْمِ يَغْضَبُوا

هُمُ حَفِظُوا غَيْبِي كَمَا كُنْتُ حَافِظًا
لِقَوْمِيَ أُخْرَى مِثْلَهَا إِنْ تَغَيَّبُوا (١)

بَنُو الْحَرْبِ لَمْ تَقْعُدْ بِهِمْ أُمَّهَاتُهُمْ
وَآبَاؤُهُمْ آبَاءُ صِدْقٍ فَأَنْجَبُوا

وَتَمَثَّلَ الْحَجَّاجُ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ عَلَى مِنْبَرِهِ فَقَالَ : أَنْتُمْ يَأَهْلَ الشَّامِ كَمَا قَالَ حُرَيْثُ بْنُ مُحَفِّضٍ - وَذَكَرَ هَذِهِ الأَبْيَاتَ - فَقَامَ حُرَيْثُ بْنُ مُحَفِّضٍ فَقَالَ : أَنَا وَاللهِ حُرَيْثٌ

---

(١) هذا البيت : لم يورده ابن قتيبة ، وجاء بنيره : والأبيات الثلاثة أوردها صاحب خزانة الادب « ٢ : ٥١١ » ورواية ابن عبدوس : خرجها صاحب خزانة الأدب أيضاً . ويقال : غيبه تغييباً : أى أبعده . والمعنى : كما كنت حافظا قومي فى غيابهم أن ينالوا ويعابوا . والبيت الأول من قول حجية بن المضرب فى أخيه :

أخى والذى إن أدعه لملمة
يجبنى وإن أغضب إلى السيف يغضب

والثانى من قول المقنع الكندى :

وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
وإن هم هووا غيى هويت لهم رشدا

وإن كان قوم حريث أحفظ له من قوم المقنع . وقعدبه نسبه أى وضعه لانه فير حسيب ، فالبيت الثالث يريد به مدحهم وأنهم كرام الطرفين وما منهم إلا معم مخول كما مدحهم بالشجاعة وملازمة الحروب والخبرة بها « عبد الخالق »

ابْنُ مُحَفَّضٍ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ أَنْ سَابَقْتَنِي ؟ قَالَ : لَمْ أَتَمَالَكْ إِذْ تَمَثَّلَ الْأَمِيرُ بِشِعْرِى حَتَّى أَعْلَمْتُهُ مَكَانِى .

ثُمَّ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدُوسٍ : فَلَمْ يُفَرِّجْ عَنَّا غَيْرُهُ .

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ : وَاجْتَمَعَ يَوْمًا فِي مَنْزِلِي بِالْبَصْرَةِ أَبُو رِيَاشٍ وَأَبُو الْحُسَيْنِ[1] بْنُ لَنْكَكَ ـ رَحِمَهُمَا اللهُ ـ فَتَقَاوَلَا ، فَكَانَ[2]

(١) ابن لنكك هو أبو الحسن محمد بن محمد البصرى كان فى عصره « القرن الرابع » فرد البصرة ظرفا وأدبا ورقة ولطفا ، وخفة روح وجودة شعر ، ولكن معاصرته لأبى الطيب المتنبى قائد زمام الشعر فى زمنه ، ولأبى رياش اليمامي اللغوى المشهور ، كانت سببا فى خموله بالنسبة إليهما وفوزهما ببعد الصيت ورفعة الذكر دونه ، أما أبو الطيب فهو من تعلم : وأما أبو رياش . فقد نفقت سوقه وسما نجمه وسعد بالأدب بما شقى به صاحبه ابن لنكك ، وكان ذلك داعيا إلى أن يسل ابن لنكك لسانه عليهما ويشفى نفسه بذمهما . أما أبو الطيب : فلم يكدر بحره ماقذفه فيه ابن لنكك ، وأما أبو رياش ، فقد حفظ شيئا من أهاجى خصمه فيه ، ومقاله لطيف جمع بين الفكاهة والأدب ، وكان أبو رياش هذا باقعة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية فى معرفة دواوينها وسرد أخبارها مع فصاحة لسان وحسن بيان . ولكن كان يتهم بقلة المروءة ووسخ اللبسة وعدم عنايته بحسن زيه ونظافة بزته ، فوجد ابن لنكك من ذلك مغمزا أتى أبا رياش منه ، فمن هجائه فيه يصفه بالنهم والشراهة على الطعام :

يطير الى الطعام أبو رياش ... مبادرة ولو واراه قبر
أصابعه من الحلواء صفر ... ولكن الأخادع منه حمر

« يشير بعجز البيت الثانى إلى أن أخدعى أبى رياش عرضة الصفع »
وفيه يقول أيضا وقد ولى أبو رياش عملا بالبصرة :

قل للوضيع أبى رياش لاتبل ... ته كل تيهك بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت إلا خسة ... كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

ولابن لنكك من مثل هذا : الكثير اللطيف المضحك « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) لعله كما ذكرنا ، وفى الأصل : « كان »

فِيمَا قَالَ أَبُو رِيَاشٍ لِأَبِي الْحُسَيْنِ : أَنْتَ كَيْفَ تَحْكُمُ عَلَى الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ وَلَيْسَ تَفْرِقُ بَيْنَ الزَّفَيَانِ وَالرَّقْبَانِ ؟ فَأَجَابَ أَبُو الْحُسَيْنِ وَلَمْ يُقْنِعْ ذَاكَ أَبَا رِيَاشٍ ، وَقَامَا عَلَى شَغَبٍ وَجِدَالٍ .

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ : فَأَمَّا الرَّقْبَانُ بِالرَّاءِ وَالْقَافِ وَتَحْتَ الْبَاءِ نُقْطَةٌ : فَشَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ يُقَالُ لَهُ أَشْعَرُ الرَّقْبَانُ [1] وَأَمَّا الزَّفَيَانُ بِالزَّايِ وَالْفَاءِ وَتَحْتَ الْيَاءِ نُقْطَتَانِ : فَهُوَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ يُعْرَفُ بِالزَّفَيَانِ السَّعْدِيِّ [2] ، رَاجِزٌ كَثِيرُ الشِّعْرِ ، وَكَانَ عَلَى عَهْدِ

---

(١) الأشعر الرقبان الأسدى جاهلى ، وله يهجو ابن عمه واسمه رضوان :

تجانف رضوان عن ضيفه	ألم يأت رضوان عنى النذر
بحسبك فى القوم أن يعلموا	بأنك فيهم غنى مضر
وقد علم المعشر الطارحون	بأنك للضيف جوع وقر
وأنت مسيخ كلحم الحوار	فلا أنت حلو ولا أنت مر

المضر الذى تروح عليه ضرة من المال أى قطعة منه من الإبل والغنم أو الكثير من الماشية خاصة . وقد شرعنا فى وفاء الشعراء المسمين « الرقبان » والزفيان حقهم من الترجمة والبحث فى رسالة خاصة إن لم نتمكن سريعاً من طبع كتابنا « الجامع » فى الأدب العربى فى عصور اللغة المختلفة إن شاء الله تعالى « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) اسمه عطاء ابن أسعد السعدى ويكنى أبا المرقال ، وهناك راجز محسن آخر يلقب بالزفيان ولعله هو الزفيان بن مالك والزفيان السعدى منهم واسمه كما تقدم عطاء بن أسيد .

جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ (١) ، وَهُوَ الزَّفَيَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عُوَافَةَ (٢) الْقَائِلُ (٣) :

---

(١) جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عم الخليفة أبى جعفر المنصور

(٢) فى الأصل : « عوانة » وهو تصحيف خاطىء بل هو بالفاء ، وعوافة بطن من بنى أسد ، أو هم من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) هو رجز طويل ومنه :

كأن مابى من أران أولق ... والشباب شرة وغيهق
ومنهل طام عليه الغلفق ... ينير أو يسدى به الخدرنق
وردته والليل داج أبلق ... وصاحبى ذات هباب دمشق
خطباء ورقاء السراة عوهق ... كأنها بعد الكلال زورق
إذا مشت فيه السياط المشق ... شبه الأفاعى خيفة تلقلق
ناج ملح فى الخبار ميلق ... كأنه سوذانق أو نقنق

الأران : النشاط ، والأولق : الجنون ، وكذا الغيهق والنشاط . والشرة : الحدة والنزوة ، والغلفق :الطحلب أو نبت ينبت فى الماء الراكد ذوورق عريض ، والخدرنق : العنكبوت ، وأنار وأسدى : أى نسج وقد النير والسدى . والهباب : النشاط والاسراع مصدر هبت الناقة وغيرها فى سيرها تهب هباباً إذا أسرعت ونشطت ، قال لبيد :

فلها هباب فى الزمام كأنها ... صهباء راح مع الجنوب جهامها

والخطباء وصف من الخطبة وهو لون يضرب إلى الكدرة مشرب حمرة فى صفرة ، والعوهق : الطويل يستوى فيه المذكر والمؤنث . والخبار :ما لان من الارض واسترخى ، وكانت فيها حجارة ، أو ما تهور وساخت فيه القوائم وتتعتع فيه الدواب ، والميلق:السريعة من الملق وهو السير الشديد والسوذانق: الصقر « معرب » والنقنق :الظليم أو النافر أو الخفيف منه ، والمشق : السريعة الضرب من السياط ، ولقلقت الحية : إذا رامت تحريك لحيتها وإخراج لسانها ، أو اضطربت بشدة ، هذا وكنية الزفيان أبو المقدام .وكنت أود أن أقول فيه شيئاً لولا أن بعض المتطفلين على الادب من الزائفين يتهمنا بالفضول فلشىء فى أنفسهم ستكشف الايام عنه قريباً « احمد يوسف نجاتى »

وَصَاحِبِي ذَاتُ هِبَابٍ دَمْشَقُ (١)

كَأَنَّهَا بَعْدَ الْكَلَالِ زَوْرَقُ (٢)

قَالَ : وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ الزَّفَيَانُ ، وَأَنَّهُ كَانَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ أَقْبَلَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ (٣) ، فَقَالَ :

تَهْدَى (٤) إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ صُدُورَهَا

بِبَنَاتِ نَعْشٍ أَوْ بِضَوْءِ الْفَرْقَدِ

(١) دمشق : أى سريعة ، والكلال : التعب والاعياء ، وهذه أوصاف الناقة

(٢) الزورق : السفينة (٣) لما ارتد أهل البحرين بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وكان خالد باليمامة كتب إليه أبو بكر يأمره بالنهوض إلى البحرين ، ثم أتاه كتاب أبى بكر بالشخوص للعراق فشخص من البحرين سنة ١٢ « احمد يوسف نجاتى »

(٤) تهدى : أى تهتدى وتسترشد فى سيرها ، وخوت النجوم خياً : أى مالت إلى المغيب ، وصدورها : أى وقت صدورها ورجوعها عن الماء وانصرافها، فهو مصدر استعمل استعمال الظرف مثل سرت حلب ناقة . وبنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها ، نعش ، وثلاث بنات ، وكذا الصغرى ، تنصرف نكرة لا معرفة . الواحد ، ابن نعش . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وهما فرقدان ، وجاء فى الشعر مثنى ومفردا ، وذلك لشدة اتصالهما ، والجمع فراقد . « عبد الخالق »

فَقَدْ أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الطُّيُورِيِّ [١] بِبَغْدَادَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّقَطِيُّ بِالْبَصْرَةِ قَالَ :

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَكِيمٍ الْعَسْكَرِيُّ إِمْلَاءً سَنَةَ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِتُسْتَرَ ، فَذَكَرَ مَجَالِسَ مِنْ أَمَالِيهِ هِيَ عِنْدِي ، وَقَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ أَحْمَدَ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ شَهْرَيَارَ بِأَصْبَهَانَ عَنِ السَّقَطِيِّ : هَذِهِ فَوَائِدُ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ [٢] . وَأَمَّا الْأَبْيَاتُ الْمَقْصُودَةُ فَعِنْدِي فِي أَجْزَاءِ أَذْرَبِيجَانَ عَلَى نَسَقٍ لَا أَذْكُرُ مَوْضِعَهَا ، إِلَّا أَنَّ فِيهَا قِصَّةً مَعْنَاهَا : أَنَّ الصَّاحِبَ أَبَا الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْوَزِيرَ ، كَانَ يَتَمَنَّى لِقَاءَ أَبِي أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيِّ ، وَيُكَاتِبُهُ عَلَى مَمَرِّ الْأَوْقَاتِ ، وَيَسْتَمِيلُ قَلْبَهُ فَيَعْتَلُّ عَلَيْهِ بِالشَّيْخُوخَةِ وَالْكِبَرِ ،

(١) هو المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن قاسم الصيرفى البغدادى المحدث ، كان محدثاً ثقة صالحاً أميناً ذا دين ووقار ، توفى سنة ٥٠١ عن ٨٩ سنة وأخوه أبو سعد أحمد بن الجبار بن الطيورى كان ذا علم وصلاح توفى سنة ٥١٧ عن ٨٣ سنة «احمد يوسف نجاتى»

(٢) لم يسبق ما يشير إلى هذه الابيات حتى يقول : وأما الابيات المقصودة ، ولعل الأبيات هي التى كتبها إليه الصاحب فى رسالته الآتية بعد والعلم عند الله . «عبد الخالق»

إِذْ عَرَفَ أَنَّهُ يُعَرِّضُ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْوُفُودِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا يَئِسَ مِنْهُ احْتَالَ فِي جَذْبِ السُّلْطَانِ إِلَى ذَلِكَ الصَّوْبِ(١) وَكَتَبَ إِلَيْهِ حِينَ قَرُبَ مِنْ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ كِتَابًا يَتَضَمَّنُ عُلُوماً نَظْماً وَنَثْراً ، وَمِمَّا ضَمَّنَهُ مِنَ الْمَنْظُومِ قَوْلُهُ :

وَلَمَّا أَبَيْتُمْ أَنْ تَزُورُوا وَقُلْتُمْ
ضَعُفْنَا فَمَا نَقْوَى عَلَى الْوَخَدَانِ(٢)

أَتَيْنَاكُمُ مِنْ بُعْدِ أَرْضٍ نَزُورُكُمْ
وَكَمْ مَنْزِلٍ بِكْرٍ لَنَا وَعَوَانِ(٣)

نُسَائِلُكُمْ هَلْ مِنْ قِرًى لِنَزِيلِكُمْ ؟
بِمِلْءِ جُفُونٍ لَا بِمِلْءِ جِفَانِ

فَلَمَّا قَرَأَ أَبُو أَحْمَدَ الْكِتَابَ ، أَقْعَدَ تِلْمِيذاً لَهُ فَأَمْلَى عَلَيْهِ الْجَوَابَ عَنِ النَّثْرِ نَثْراً ، وَعَنِ النَّظْمِ نَظْماً ، وَبَعَثَ بِهِ

(١) وذلك أنه قال لمخدومه مؤيد الدولة بن بويه : إن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها واحتاج الى كشفها بنفسى ، فأذن له فى ذلك (٢) الوخدان : بالتحريك : السرعة فى السير ، أوسعة الخطو . (٣) يريد الصاحب أنه على كثرة ما له من المنازل التى يحلها قديمها وجديدها أينما سار آثر زيارة العسكرى من أرض بعيدة .

إِلَيْهِ فِى الْحَالِ ، وَكَانَ فِى آخِرِ جَوَابِ أَبْيَاتِهِ الَّتِى ذَكَرَ عَلَى الْحَالِ : وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ (١) وَالنَّزَوَانِ وَهُوَ تَضْمِينٌ ، إِلَّا أَنَّ الصَّاحِبَ اسْتَحْسَنَهُ وَوَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُ مَوْقِعاً عَظِيماً وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتُ أَنَّ هَذَا الْمِصْرَاعَ يَقَعُ فِى هَذِهِ الْقَافِيَةِ لَمْ أَتَعَرَّضْ لَهَا ، وَكُنْتُ قَدْ ذَهِلْتُ عَنْهُ وَذَهَبَ عَلَىَّ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا أَحْمَدَ قَصَدَهُ وَقْتَ حُلُولِهِ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ بَلَدِهِ وَمَعَهُ أَعْيَانُ أَصْحَابِهِ وَتَلَامِذَتِهِ فِى سَاعَةٍ لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا لِمِثْلِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ بَعْدَ أَنْ

---

(١) العير : الحمار الوحشى والأهلى أيضاً ، والنزوان : مصدر نزا ينزو نزواً ونزواناً أى وثب ، ومنه : نزا الفحل على الأنثى ، يقال ذلك فى الحافر والظلف والسباع . وهذا المصراع : مثل يضرب لمن قصد أمراً نعجز عنه ، ولم ينل مأربه منه بدون اختياره . وهذا البيت من أبيات قالها صخر بن الشريد السلمى أخو الخنساء فى زوجه وقد ملت منه لطول مرضه فقال :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى
وملت سليمى مضجعى ومكانى
وأى امرىء ساوى بأم حليلة
فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

« عبد الخالق »

أَقْعَدَهُ فِى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَتَفَاوَضْنَا فِى مَسَائِلَ فَزَادَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ ، وَأَخَذَ أَبُو أَحْمَدَ مِنْهُ بِالْحَظِّ الْأَوْفَرِ ، وَأَدَرَّ عَلَى الْمُتَّصِلِينَ بِهِ إِدْرَاراً كَانُوا يَأْخُذُونَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّىَ . ـ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ أَيْضاً فِيمَا أَظُنُّ ـ ، وَلَمَّا نُعِىَ إِلَيْهِ أَنْشَدَ فِيهِ :

قَالُوا مَضَى الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدٍ
وَقَدْ رَثَوْهُ بِضُرُوبِ النُّدَبْ[1]
فَقُلْتُ : مَا مِنْ فَقْدِ شَيْخٍ مَضَى
لَكِنَّهُ فَقْدُ فُنُونِ الْأَدَبْ[2]

ثُمَّ ذَكَرَ السِّلَفِىُّ وَفَاتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ ، هَذَا آخِرُ مَا ذَكَرَهُ مِنْ خَبَرِ أَبِى أَحْمَدَ ، هَذَا كُلُّهُ مِنْ كِتَابِ السِّلَفِىِّ ، ثُمَّ وَجَدْتُ مَا أَنْبَأَنِى بِهِ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِىِّ[3] عَنِ ابْنِ

---

(١) الندب : جمع ندبة ، وهي إسم من : ندب فلان الميت بكاه ، وعدد محاسنه

(٢) يريد أنهم ماندبوه لأنه مات ، ولكن لأن فنون الأدب ماتت

(٣) هو الامام عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله ينتهى نسبه إلى أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ، وهو ذلك الواعظ المتفنن الفقيه الحنبلى البغدادى صاحب التصانيف الكثيرة الممتعة فى كل فنون اللغة والأدب وأنواع العلوم العقلية والنقلية ولد سنة ٥١٠ وتوفى سنة ٥٩٧ «عبد الخالق»

نَاصِرٍ عَنْ أَبِي زَكَرِيَّا التِّبْرِيزِيِّ ، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ الْحُلْوَانِيِّ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْبَنْدَنِيجِيِّ(١) قَالَ : كُنْتُ أَقْرَأُ بِالْبَصْرَةِ عَلَى الشُّيُوخِ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى الْأَهْوَازِ ، بَلَغَنِي حَالُ أَبِي أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيِّ ، فَقَصَدْتُهُ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ ، فَوَصَلَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ(٢) وَالصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ ، فَبَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ نَقْرَأُ عَلَيْهِ وَصَلَ إِلَيْهِ رِكَابِيٌّ وَمَعَهُ رُقْعَةٌ فَفَضَّهَا وَقَرَأَهَا وَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِهَا جَوَابَهَا ، فَقُلْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ : مَا هَذِهِ الرُّقْعَةُ ؟ فَقَالَ : رُقْعَةُ الصَّاحِبِ كَتَبَ إِلَيَّ :

وَلَمَّا أَبَيْتُمْ أَنْ تَزُورُوا وَقُلْتُمُ
ضَعُفْنَا فَمَا نَقْوَى عَلَى الْوَخَدَانِ

---

(١) نسبة إلى « البندنيجين » بلدة فى أطراف النهروان من ناحية الجبل كانت من أعمال بغداد (٢) هو فخر الدولة بن بويه

الأَبْيَاتَ الثَّلَاثَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ . قُلْتُ : فَمَا كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي الْجَوَابِ ؟ قَالَ قُلْتُ :

أَرُومُ نُهُوضاً ثُمَّ يَثْنِي عَزِيمَتِي
تَعَوُّذُ أَعْضَائِي مِنَ الرَّجَفَانِ
فَضَمَّنْتُ بَيْتَ ابْنِ الشَّرِيدِ(١) كَأَنَّمَا
تَعَمَّدَ تَشْبِيهِي بِهِ وَعَنَانِي
أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ
وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَوَانِ

قَالَ : ثُمَّ نَهَضَ وَقَالَ : لَا بُدَّ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى النَّفْسِ(٢) ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ لَا يُقْنِعُهُ هَذَا ، وَرَكِبَ بَغْلَةً وَقَصَدَهُ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الصَّاحِبِ لِاسْتِيلَاءِ

---

(١) هو صخر بن عمرو من بنى الشريد بطن من سلم ، وأبياته أوردها صاحب « وفيات الاعيان » وقص قصتها وقد مر شيء منها (٢) يريد تكليف نفسه مشقة السعى إليه مع ضعفه فكأنه حمل نفسه مالا طاقة لها به « عبد الخالق »

الْحَشَمِ ، فَصَعِدَ تَلْعَةً(١) وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ(٢) .

مَالِي أَرَى الْقُبَّةَ الْفَيْحَاءَ(٣) مُقْفَلَةً
دُونِي وَقَدْ طَالَ مَا اُسْتَفْتِحَتْ مُقْفَلُهَا
كَأَنَّهَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةً(٤)
وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ زَاكٍ فَأَدْخُلَهَا.

---

(١) التلعة : القطعة المرتفعة من الارض . والجمع تلعات وتلاع

(٢) البيتان من أربعة خاطب بها أبو تمام الأمير مالك بن طوق وهي :

قل لابن طوق رحى سعد إذا خبطت
نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها
حلماً وكيسها علماً ودغفلها

مالى أرى الحجرة البيضاء مقفلة ... هذه رواية الديوان .

(٣) الفيحاء : الواسعة والزاكى الطاهر (٤) معرضة من أعرض الشيء : إذا ظهر وبدا ، أو من أعرضك الخير إذا أمكنك، وأعرض الشيء : إذا اتسع ، وجعله الممدوح رحى بنى سعيد عليه تدور ، وبه تحف وإليه تلجأ ، ورحى القوم سيدهم الذى يصدرون عن رأيه وينتهون إلى أمره . وكان يقال لسيدنا عمر بن الخطاب : رحى العرب والأسماء التى شبه مالك بن طوق بها معروفة يضرب بكل منها المثل فيما عرف به ، وزيد بن الكيس النمرى نسابة مشهور ، أو ابن الكيس هو عبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس واسم الكيس زيد وهو من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر ابن قاسط . ودغفل بن حنظلة النسابة من بنى عمرو بن شيبان بن ذهل وهو معروف ، وعمل زاك أى طاهر مبارك ذو خير يطهر النفس ويجعلها أهلا للأجر والمثوبة

« أحمد يوسف نجاتى »

قَالَ : فنَادَاهُ الصَّاحِبُ : أُدْخُلْهَا يَا أَبَا أَحْمَدَ فَلَكَ السَّابِقَةُ الْأُولَى[١] ، فَتَبَادَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَحَمَلُوهُ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ : الْخَبِيرَ صَادَفْتَ[٢] ، فَقَالَ الصَّاحِبُ يَا أَبَا أَحْمَدَ : تُغْرِبُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ ؟ فَقَالَ : تَفَاءَلْتُ عَنِ السُّقُوطِ بِحَضْرَةِ مَوْلَانَا « وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعَرَبِ سَقَطْتَ » وَوَجَدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَحَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، قَالَ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَجُوسِيُّ عَامِلُ الْبَصْرَةِ رَجُلًا وَاسِعَ النَّفْسِ ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ الشُّعَرَاءَ وَيُرَاعِيهِمْ ، مِثْلَ الْعُصْفُرِيِّ وَالنَّهْرَجُورِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَهُمْ يَهْجُونَهُ ، وَكَانَ هَذَا — وَهَذَانِ خُصُوصًا — مِنْ أَوْضَاعِهِمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ النَّهْرَجُورِيَّ قَالَ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو الْفَرَجِ[٣] رَثَاهُ النَّهْرَجُورِيُّ بِقَوْلِهِ :

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : والسابقون الأولون الخ (٢) اقتباس قوله « الخبير صادفت » من المثل المشهور عن أحد حكماء العرب ، وهو : « على الخبير بها سقطت » (٣) يريد أبا جعفر

يَا لَيْتَ شِعْرِى — وَلَيْتَ رُبَّمَا
صَحَّتْ فَكَانَتْ لَنَا مِنَ الْعِبَرِ —
هَلْ أَرَيَنْ شَوْثَنَا وَأُمَّتَهُ
رَاكِبَةً حَوْلَهُ عَلَى الْبَقَرِ
يَقْدُمُهُمْ أَرْبَعُونَ لُبْسُهُمْ
مَعَ حِلْيَةِ الْحَرْبِ حُلَّةُ النَّمِرِ
وَأَنْتَ فِيهِمْ قَدِ ابْتَرَزْتَ لَنَا
كَالشَّمْسِ فِى نُورِهَا أَوِ الْقَمَرِ
قَدْ نَكَحُوا الْأُمَّهَاتِ وَاتَّكَلُوا
عَلَى عَقِيقِ الْأَبْوَالِ فِى الطُّهُرِ
وَشَارَفُوا[1] وَالنِّسَاءُ قَدْ وَلَدَتْ
غَسْلَ مَضَارِيطِهَا مِنَ الْوَضَرِ
وَأَصْبَحُوا أَشْبَهَ الْبَرِيَّةِ بِالظُّ
ظَرْفِ وَأَوْلَى بِكُلِّ مُفْتَخَرِ

(١) شارفوا شارف الشىء : اطلع عليه من فوق . والوضر : الوسخ والقذر

« شَوْثَنُ[1] » عِنْدَ الْمَجُوسِ، يَجْرِى مَجْرَى الْمَهْدِىِّ،
وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَخْرُجُ وَقُدَّامَهُ أَرْبَعُونَ نَفْساً، عَلَى كُلٍّ
مِنْهُمْ جِلْدُ النَّمِرِ، فَيُعِيدُونَ دِينَ النُّورِ[2]. قَالَ: فَقُلْتُ
يَا أَبَا أَحْمَدَ، هَـٰذِهِ بِالْهِجَاءِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْمَرْثِيَةِ بِكَثِيرٍ.
قَالَ: هَـٰكَذَا قَصَدَ النَّهْرَجُورِىُّ ـ لَا بَارَكَ اللهُ فِيهِ ـ وَقَدْ
عَاتَبْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: مَا اسْتَحَقَّ أَبُو جَعْفَرٍ هَذَا مِنْكَ.
فَقَالَ: مَا تَعَدَّيْتُ مَذْهَبَهُ الَّذِى يَعْتَرِفُ بِهِ.

وَوَجَدْتُ فِى تَارِيخِ أَصْفَهَانَ مِنْ تَأْلِيفِ الْحَافِظِ

---

(١) كانت فى الاصل « شوش » الذى هو اسم رسول فى كتبهم (٢) فى الأصل البور، وفى هامش الأصل: لعله النور أو النار وهو ظاهر — ومذهب المجوسى فى عبادة النور معروف — وارجع إلى فرقهم وما بها من الاتفاق والاختلاف الى « الملل والنحل للشهرستانى » وغيره — « قلت » ومن وصية المهدى لابنه الهادى: يا بنى إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة « يعنى أصحاب مانى » فانها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور، وترك قتل الهوام تحرجاً وتحوباً، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعدها نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور — وقال الجاحظ بعد أن أتى بشىء من خرافاتهم: وزرادشت بهذا العقل دعا الناس إلى نكاح الأمهات والتوضؤ بالأبوال — ولولا أنه صادف دهراً فى غاية الفساد وأمة فى غاية البعد من الحرية ومن الغيرة والأنفة ومن التقزز والتنظف لما تم له هذا الأمر. ا هـ « أحمد يوسف نجاتى »

أَبِي نُعَيْمٍ قَالَ : الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ[1] الْأَدِيبُ أَخُو أَبِي عَلِيٍّ . قَدِمَ أَصْبَهَانَ مِرَاراً ، وَأَوَّلُ قَدْمَةٍ قَدِمَهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَقَدِمَهَا أَيْضاً سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ قَدِمَ أَصْبَهَانَ قَدِيماً ، وَسَمِعَ مِنَ الْفَضْلِ بْنِ الْخَصِيبِ . وَسَمِعَ عَنْهُ أُبَيٌّ وَابْنُ زُهَيْرٍ وَغَيْرُهُمَا ، تَأَخَّرَ مَوْتُهُ . تُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ .

﴿ ١٦ – الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلِ ﴾
﴿ ابْنِ سَعِيدِ بْنِ يَحْيَى * ﴾

الحسن بن عبد الله العسكرى

ابْنِ مِهْرَانَ ، أَبُو هِلَالٍ اللُّغَوِيُّ الْعَسْكَرِيُّ . قَالَ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ : وَكَانَ لِأَبِي أَحْمَدَ تِلْمِيذٌ وَافَقَ اسْمُهُ اسْمَهُ ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِيهِ ، وَهُوَ عَسْكَرِيٌّ أَيْضاً ،

(١) فى الأصل « العكبرى » وهو تصحيف ، كما أن الحافظ جعل نسب أبى أحمد العسكرى . . بن الحسين ، وما هنا . . إسماعيل بدل حسين واقتصر ابن خلكان على : الحسن بن عبد الله بن سعيد ، وكذا شذرات الذهب ، وذكر وفاته فى سنة ٣٨٢

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢١

فَرُبَّمَا اشْتَبَهَ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ إِذَا قِيلَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَسْكَرِيُّ الْأَدِيبُ ، فَهُوَ أَبُو هِلَالٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَهْلِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مِهْرَانَ اللُّغَوِيُّ الْعَسْكَرِيُّ ، سَأَلْتُ الرَّئِيسَ أَبَا الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَبِيوَرْدِيَّ[1] — رَحِمَهُ اللهُ — بِهَمَذَانَ عَنْهُ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَصَفَهُ بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ مَعاً وَقَالَ : كَانَ يَبْزُزُ[2] احْتِرَازاً مِنَ الطَّمَعِ وَالدَّنَاءَةِ وَالتَّبَذُّلِ ، وَذَكَرَ فِيهِ فَضْلًا هُوَ فِي سُؤَالَاتِي عَنْهُ ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْأَدَبَ وَالشِّعْرَ . وَلَهُ فِي اللُّغَةِ :

---

(١) هو الرئيس أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الأبيوردى الشاعر الأديب المشهور ، كان راوية نشأ به كل من أخذ الناس بعلم الأنساب نقل عن الحفاظ الثقات ، كان متصرفاً في فنون جمة من العلوم والمعارف . وله تصانيف كثيرة مفيدة ، توفى بأصبهان سنة ٥٥٧ فسؤاله عن أبي هلال لا لأنه معاصره بل لخبرته بالرجال وتواريخهم وأنسابهم . وله في ذلك مؤلفات يعتمد عليها ويوثق بها والسائل الحافظ السلفي كذلك ولد سنة ٤٧٢ وتوفى سنة ٥٧٦

(٢) بهامش الأصل : لعله يتزر : وفي البغية يتبزز ا هـ . وفي بعض المراجع « يبرز » — وفي الاصل هذا « يبزز » — ولعل أقرب هذه الكلمات إلى المراد « يتبزز » من البز وهو الثياب ، يعني أنه يتجمل ويظهر للناس ذا بزة حسنة ولبسة تدفع عنه التبذل فلا يزال الناس في كل عصر يكرمون الرجل ويجلونه لحسن بزته وهيئته وجمال شارته ولبسته — والتبذل ترك التصون ، وعدم أخذ الانسان زينته بلبس الثياب الحسنة بل يلبس ما يمتهن به من الثياب ويتبذل به في منزله . « عبد الخالق »

كِتَابٌ سَمَّاهُ بِالتَّلْخِيصِ وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ ، وَكِتَابُ صِنَاعَتَيِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَهُوَ أَيْضًا كِتَابٌ مُفِيدٌ جِدًّا ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ رَوَى عَنْهُ أَبُو سَعْدٍ السَّمَّانُ (١) الْحَافِظُ بِالرَّىِّ ، وَأَبُو الْغَنَائِمِ بْنُ حَمَّادٍ الْمُقْرِىءُ إِمْلَاءً (٢) .

وَأَنْشَدَنِى أَبُو هِلَالٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ الْعَسْكَرِىُّ لِنَفْسِهِ :

قَدْ تَخَطَّاكَ (٣) شَبَابٌ وَتَغَشَّاكَ مَشِيبُ
فَأَتَى مَا لَيْسَ يَمْضِي وَمَضَى مَا لَا يَئُوبُ
فَتَأَهَّبْ لِسَقَامٍ لَيْسَ يَشْفِيهِ طَبِيبُ
لَا تَوَهَّمْهُ بَعِيدًا إِنَّمَا الْآتِى قَرِيبُ

---

(١) هو إسماعيل بن على الرازى الحافظ ، سمع بالعراق ومكة ومصر والشام ، وكان من الحفاظ الكبار زاهداً عابداً يذهب إلى الاعتزال مع تبحره فى العلوم ، وله مصنفات كثيرة توفى سنة ٤٤٥ (٢) يظهر أن هنا سقطا ، والأصل قال « أى أبو الغنائم بن حماد » وأنشدنى أبو هلال الخ — وإلا فلا يمكن أن يكون الحافظ السلفى الذى ينقل المؤلف عبارته هو الذى يقول : وأنشدنى الخ فأن مولد السلفى سنة ٤٧٢ بعد موت أبى هلال بنحو ٧٧ سنة

(٣) أى تجاوزك وزال عنك مبتعدا . وفى الأصل : « تعاطاك » فأصلحت كما ترى وعليه يستقيم المعنى « عبد الخالق »

وَمِمَّـا أَنْشَدَنَا الْقَاضِي أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَحِّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْحَنَفِيُّ بِتُسْتَرَ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو حَكِيمٍ أَحْمَدُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَاهُ أَبُو هِلَالٍ الْحَسَنُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ اللُّغَوِيُّ لِنَفْسِهِ بِالْعَسْكَرِ :

إِذَا كَانَ مَالِي مَالَ مَنْ يَلْقُطُ الْعَجَمْ(١)
وَحَالِي فِيكُمْ حَالُ مَنْ حَاكَ(٢) أَوْ حَجَمْ
فَأَيْنَ انْتِفَاعِي بِالْأَصَالَةِ وَالْحِجَى
وَمَا رَبِحَتْ كَفِّي مِنَ(٣) الْعِلْمِ وَالْحِكَمْ ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِي فِي النَّاسِ يُبْصِرُ حَالَتِي
فَلَا يَلْعَنُ الْقِرْطَاسَ وَالْحِبْرَ وَالْقَلَمْ

وَمِمَّا أَنْشَدَنَا الْقَاضِي أَبُو أَحْمَـدَ الْحَنَـفِيُّ بِتُسْتَرَ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو حَكِيمٍ اللُّغَوِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ لِنَفْسِهِ :

---

(١) العجم : نوى كل شىء الواحدة : عجمة . يريد أن ما يملكه كالذى يملكه من يلقط العجم لعله يريد الالتقاط للقوت (٢) كانت فى الأصل حال باللام (٣) كانت فى الأصل هنا « على »

جُلُوسِيَ فِي سُوقٍ أَبِيعُ وَأَشْتَرِي
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَنَامَ قُرُودُ
وَلَا خَيْرَ فِي قَوْمٍ تَذِلُّ كِرَامُهُمْ
وَيَعْظُمُ فِيهِمْ نَذْلُهُمْ وَيَسُودُ
وَيَهْجُوهُمْ عَنِّي رَثَاثَةُ كِسْوَتِي
هِجَاءً قَبِيحاً مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ

وَمِمَّا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو غَالِبٍ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقَاضِي بِالسُّوسِ قَالَ: أَنْشَدَنَا الْمُظَفَّرُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْجَرَّاحِ الْأَسْتِرَابَاذِيُّ قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو هِلَالٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَهْلٍ اللُّغَوِيُّ الْعَسْكَرِيُّ لِنَفْسِهِ:

يَا هِلَالاً مِنَ الْقُصُورِ تَدَلَّى
صَامَ وَجْهِي لِمُقْلَتَيْهِ وَصَلَّى
لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا
كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى؟؟

لَوْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي
وَلِرَعْيِ النُّجُومِ كُنْتُ مُخِلًّا (١)

هَذَا آخِرُ مَا ذَكَرَهُ السِّلَفِيُّ مِنْ حَالِ أَبِي هِلَالٍ . قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي مِنْهَا :

« لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِيَ أَمْ لَا »

وَالْبَيْتُ الَّذِي بَعْدَهُ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ مَنْسُوبًا إِلَى خَالِدٍ الْكَاتِبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . هَذَا عَنِ السِّلَفِيِّ . وَذَكَرَ غَيْرُهُ : أَنَّ أَبَا هِلَالٍ كَانَ ابْنَ أُخْتِ أَبِي أَحْمَدَ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ بَعْدَ مَا ذَكَرَهُ السِّلَفِيُّ : كِتَابُ جَمْهَرَةِ الْأَمْثَالِ ، كِتَابُ مَعَانِي الْأَدَبِ ، كِتَابُ مَنِ احْتَكَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ إِلَى الْقُضَاةِ ، كِتَابُ التَّبْصِرَةِ وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ ، كِتَابُ الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ ، كِتَابُ الْمَحَاسِنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ خَمْسُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ الْعُمْدَةِ ، كِتَابُ فَضْلِ الْعَطَاءِ عَلَى الْعُسْرِ ، كِتَابُ مَا تَلْحَنُ فِيهِ الْخَاصَّةُ ، كِتَابُ أَعْلَامِ الْمَعَانِي فِي مَعَانِي الشِّعْرِ ، كِتَابُ

(١) من الإخلال أى مقصراً فى الحب وفى الأصل : « مخلى » وهو تحريف

الْأَوَائِلِ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ، كِتَابُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَعَانِى[١]، كِتَابُ نَوَادِرِ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَأَمَّا وَفَاتُهُ فَلَمْ يَبْلُغْنِي فِيهَا شَىْءٌ، غَيْرَ أَنِّى وَجَدْتُ فِى آخِرِ كِتَابِ الْأَوَائِلِ مِنْ تَصْنِيفِهِ: وَفَرَغْنَا مِنْ إِمْلَاءِ هَذَا الْكِتَابِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِعَشْرٍ خَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَلِبَعْضِهِمْ:

وَأَحْسَنُ مَا قَرَأْتُ عَلَى كِتَابٍ
بِخَطِّ الْعَسْكَرِىِّ أَبِى هِلَالِ

فَلَوْ أَنِّى جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيْشٍ
لَمَا قَاتَلْتُ إِلَّا بِالسُّؤَالِ

فَإِنَّ النَّاسَ يَنْهَزِمُونَ مِنْهُ
وَقَدْ ثَبَتُوا لِأَطْرَافِ الْعَوَالِى

وَقَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِىُّ فِى تَفْضِيلِ الشِّتَاءِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَزْمِنَةِ:

---

(١) زاد فى البغية: رسالة فى العزلة والاستئناس بالوحدة

فَتَرَتْ صَبْوَتِى وَأَقْصَرَ شَجْوِى
وَأَتَانِى السُّرُورُ مِنْ كُلِّ نَحْوِ

إِنَّ رُوحَ الشِّتَاءِ خَلَّصَ رُوحِى
مِنْ حُرُورٍ (١) تَشْوِى الْوُجُوهَ وَتَكْوِى

بَرْدَ الْمَاءِ وَالْهَوَا وَكَأَنْ قَدْ
سَرَقَ الْبَرْدُ مِنْ جَوَانِحِ خِلْوِ (٢)

رِيحُهُ تَلْمَسُ الصُّدُورَ فَتَشْفِى
وَغَمَامَاتُهُ (٣) تَصُوبُ فَتُرْوِى

لَسْتُ أَنْسَى مِنْهُ دَمَاثَةَ دَجْنٍ (٤)
ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ نَضَارَةَ صَحْوِ

وَجَنُوبًا يُبَشِّرُ الْأَرْضَ بِالْقَطْـ
ـرِ كَمَا بَشَّرَ الْعَلِيلُ بِبُرْءِ

(١) الحرور بالضم جمع حر (٢) ما أحسن هذا النوع من البديع إذ استطرد الذكر الذى خلت جوانحه من الغرام، وأنه لخلو قلبه ما أبرده «عبد الخالق»

(٣) فى الاصل: غماياته، وتصوب: تنصب وتنزل (٤) والدجن بالفتح: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء، والمطر الكثير، وأصله الظلمة.

وَغُيُوماً مُطَرَّزَاتِ الْحَوَاشِي

بِوَمِيضٍ مِنَ الْبُرُوقِ وَخَفْوِ [1]

كُلَّمَا أَرْخَتِ السَّمَاءُ عُرَاهَا [2]

جَمَعَ الْقَطْرُ بَيْنَ سُفْلٍ وَعُلْوِ

وَهِيَ تُعْطِيكَ حِينَ هَبَّتْ شَمَالًا

بَرْدَ مَاءٍ فِيهَا وَرِقَّةَ جَوٍّ

وَتَرَى الْأَرْضَ فِي مُلَاءَةِ ثَلْجٍ

مِثْلَ رَيْطٍ [3] لَبِسْتَهُ فَوْقَ فَرْوِ

فَاسْتَعَارَ الْعَرَارُ [4] مِنْهَا لِبَاساً

سَوْفَ يُعْنَى مِنَ الرِّيَاحِ بِنَضْوِ

---

(١) الخفو : اللمعان الضعيف المعترض فى نواحى الغيم ، ومنه قول الحريرى :

وردنى أخيب من شائم برقا خفا فى شهر تموزا

(٢) عراها جمع عروة : يريد كلما انفكت عراها (٣) الريط واحده ريطة : وهى الملاءة غير ذات لفقين أى كلها نسج واحد ، وقطعة واحدة — أو هى كل ثوب لين رقيق يشبه الملحفة (٤) العرار : بهار ناعم أصفر طيب الريح . قال الخليل : هو بهار البر ، واحدته عرارة — ويعنى . أى يبتلى ويصاب — والنضو . مصدر نضاه من ثوبه ينضوه : أى جرده يريد أنه ييبس ويذبل .

فَكَأَنَّ الْكَافُورَ مَوْضِعُ تُرْبٍ
وَكَأَنَّ الْجُمَانَ[1] مَوْضِعُ قَرْوِ

وَلَيَالٍ أَطَلْنَ مُدَّةَ دَرْسِي
مِثْلَمَا قَدْ مَدَدْنَ فِي عُمْرِ لَهْوِى

مَرَّ لِي بَعْضُهَا بِفِقْهٍ وَبَعْضٌ
بَيْنَ شِعْرٍ أَخَذْتُ فِيهِ وَنَحْوِ

وَحَدِيثٍ كَأَنَّهُ عِقْدُ[2] رَيَّا
بِتُّ أَرْوِيهِ لِلرِّجَالِ وَتَرْوِى

فِي حَدِيثِ الرِّجَالِ رَوْضَةُ أُنْسٍ
بَاتَ يُرْعَى بِأَهْلِ نُبْلٍ وَسَرْوِ[3]

---

(١) الجمان : واحده جمانه ، وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة — والجمان أيضاً اللؤلؤ ، معرب كمان بالفارسية . والقرو : الارض التي لا تكاد تقطع

(٢) يريد تشبيه الحديث بالدر الذى صنع منه عقد ريا

(٣) سرو . أى شرف ومروءة

﴿ ١٧ — الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعُثْمَانِيُّ * ﴾

الحسن بن عبد الله النيسابورى

أَبُو عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيُّ . ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ فِي كِتَابِ السِّيَاقِ وَقَالَ : إِنَّهُ مَاتَ فِي شُهُورِ سَنَةِ نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَوَصَفَهُ فَقَالَ : هُوَ الْإِمَامُ الْكَامِلُ الْبَارِعُ فِي فَنِّهِ ، الْمُعْجِزُ فِي نُكَتِهِ ، لَهُ التَّصَانِيفُ الْمَشْهُورَةُ فِي التَّذْكِيرِ وَالْخُطَبِ وَطُرَفِ الْأَشْعَارِ وَالرَّسَائِلِ وَالْمُوَشَّحَاتِ الْغَرِيبَةِ ، وَالصِّنَاعَاتِ الْبَدِيعَةِ ، وَالتَّرْصِيعَاتِ الرَّشِيقَةِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، بِحَيْثُ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْأَكَابِرُ وَالْأَمَاثِلُ ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا الْبُلَغَاءُ فِي الْمَحَافِلِ . تَفَقَّهَ عَلَى الْجُوَيْنِيِّ (١) ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى نَاحِيَةِ بُشْتَ (٢) وَسَكَنَهَا ، وَوَافَى بِهَا

---

(١) كانت فى الأصل « الجونى » وأظنها محرفة عن « الجوينى » كما ذكرناه يريد الإمام الجليل أبا المعالى عبد الملك بن أبى محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله يوسف الجوينى إمام الحرمين المشهور توفى سنة ٤٧٨ — وإذا أطلق لقب « الجوينى » لا يكاد ينصرف إلا إليه «أحمد يوسف نجاتى» (٢) بشت : بلد بنواحى نيسابور

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت فى كتب التراجم التى بأيدينا ونبه ياقوت على مصدر ترجمته

قبولاً بالغاً ، فصار مشاراً إليه فى عصره تحترمه الصدور . قال : وافيت الناحية فرأيت ازدحاماً على قبره فى الموسم وتناحراً عليه ، وكان أكثر ميله إلى مقولاته فى تصانيفه ومجموعاته نظماً ونثراً دون المنقول .

انتهى الجزء الثامن

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء التاسع ﴾

(وأوله ترجمة)

﴿ الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى ﴾



الجزء الثامن

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومي

أسماء أصحاب التراجم	الصفحة إلى	الصفحة من
كلمة العماد الأصفهاني	٥	٣
الحسن بن أحمد الأسترابادي	٥	٥
الحسن بن أحمد العطار الهمذاني	٥٢	٥
الحسن بن إسحاق اليمني النحوي	٥٤	٥٣
الحسن بن أسد الفارقي	٧٥	٥٤
الحسن بن بشر الآمدي الكاتب	٩٣	٧٥
أبو الحسن البوراني	٩٣	٩٣
الحسن بن الحسين «المعروف بالسكري»	٩٩	٩٤
الحسن بن الخطير «المعروف بالظهير»	١٠٨	١٠٠

فهرس الجزء الثامن

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
٢٦	١١	منفذا	منذرا
٥٩	١١	المفضلُ	المفضلَ
٦٢	٦	ما استطاعا	ما اسطاعا
٨٦	١٣	الدهرُ	الدهرَ
٩١	١٠	للخطيب	للخصيب
٩٢	١٧	الذاء	الذال
٩٤	١٤	من أكون	أن أكون
١٠٣	١	والثقة	والفقه
١٠٥	٣	حجرة	حفرة
١٠٥	٤	احدى وعشرين	احد وعشرين
١٤٥	٣	وامنَحْه	وأَمْنَحُه
١٥٠	١	ليلةٍ	ليلةً
١٨٨	٢٠	صدور	صدود
٢٢٩	١	العلا	القِلَى
٢٣٤	٩	غَيرتَ	غيرتُ
٢٤٢	١٠	يتقولوا	يتطولوا
٢٤٥	٢	مسارٍ	مسارٌ

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أنْ تكون عليه الكلمة
١٢	٦	ومعارضتُه	ومعاوضتُه
٢٥	١٣	فأَرسلْتَ مسلاس	فأَرسلْنَ مِقْلاق
٢٥	١٩	مِسلاس الوشاح الخ	المقلاق من لا يثبت الوشاح عليها لتثنيها
٥٤	١١	كالف	كاسف
٦٣	٥	بعده	بعدها
٧٩	١	مائةِ	مائةُ
٩٥	٥	البويرعِ	البويرعَ
١٢٦	٦	بإعلامها بنا	بإعلامنا بها . وعلى هذا يحذف الشرح ، لأن أسانا أصلها أسأنا وخففت
١٢٨	١٣	ثلاث مجالس	ثلاثة مجالس
١٥٣	٧	يرد به	يرويه
١٥٥	٢	اليمّ	اليمِّ
١٥٨	١٤	يعدّل	يعوّل
١٧٣	١٣	فنفذ	فأَنفذ
١٩٣	٧	كذِبٌ	لا كذبٌ
١٩٤	١٠	يسوء	يسر
٢٢٨	١	أعذر	أقدر

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٢٢٨	٣	فى طباع	فيه طباعٌ
٢٤٠	١١	عليه	عليها
٢٤٣	١٣	علوسة	علوسةٌ
٢٩٢	١٢	أقيمَ	أقيمُ
٢٩٧	١	المصباح	الصباح
٣٠٤	٧	تذعُر	تذعَر

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٣٢	١١	المتلطف	المتعطف
٣٣			فى كتب أخرى يوجد بين البيتين اللذين فى أول الصفحة بيت هذا نصه لأبعثن بما قد حوى الغريب المصنف
٣٣	٧	الأطباء	الأدباء
٦٥	١٣	كطائر	كصارم
١١٣	٨	مرادَ	مرادُ
١٣٥	١٦	بألف دينار أندلسيا	أندلسية
١٤٥	١٩	فملهج	فملهوج
١٥٨	٣	فأشهرَ	فأشهرُ
١٦٢	١٠	مثلّث	مثلّث
١٧١	١	يتباهون	يتبارون
١٦٩	٦	الجبانى	الحبال

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
١٦٦	٣	عالى الحديث	على الحديث : ويحذف الهامش
١٧١	١٢	البارحةَ	البارحةُ
١٨٨	٩	الوزير عبد الله	الوزير عبيد الله
٢٠٥	١٢	فى شوال	مات فى شوال
٢١٧	١٣	على غيره	على انسان آخر
٢٣٦	١٣	أو لأمر وضع	أولا ثم وضع
٢٤٦	١٢	منونةٍ	مدونةً
٢٤٨	١٧	إشارة لايعقلها إلا العالمون	بسرعة لايعقلها الخ
٢٦٧	٦	التسميع	التسمية

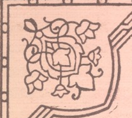
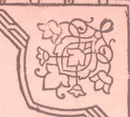
صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١٦	٢	العنف	الفيف
١٦	١٤	الشرح (٢)	الفيف جمع فيفاء وهى المفازة والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح
٢٣	٢	وتبرُكهم	وتبرِكهم
٣٢	١	مملوءة	مملوءة
٣٥	٩	مربّع	متربّع
٥١	٧	للرجل	لرجلٍ
٥٩	١١	يستمدّهما	يستمدُّهما
٦٨	٥	عناء	عشاء
٦٩	٦	وَعودى	وُعودى
٧١	١٤	مصافيا	صافيا
٧٢	١٧	صفة للوعة	صفة لبيداء
٧٦	٣	تبيين قدامة	تبيين غلط قدامة
٧٨	٣	الآمَدى	الآمِدى
٧٦	٢٢	لَدَى	لِذِى
٨٠	١٥	شدة الحزن	شدة الخزى
٨٧	٥	ويحضر	وكان يحضر
٨٩	١٦	فلم لم أَمدحك	فلم أَمدحك
٩٩	٣	بنى العين	بنى القين

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١٠٣	١٢	وضعه	وقفه
١١١	١٢	نفسُه	نفسَه
١١٦	٦	حنكت	أَحكمت
١١٦	٩	لأقبضنّ	لأقبضَنْ
١١٦	١٥	فأصلحت إلى الخ	فأصلحت إلى أَحكمت
١١٧	١٢	سيف الهجر	سيف الوصل
١٢٢	٥	عساكرٍ	عساكرَ
١٢٣	٨	كتابٍ	كتابُ
١٢٥	٤	مَنتحل	مُنتحل
١٢٥	١٦	فلان	فلانا
١٢٩	٨	الانبساط	الابطاء
١٢٩	٩	فأعدُّك	أَعدّك
١٣٣	١٧	مخوف	نخوف
١٣٥	١٤	النايان	النايات
١٤١	٦	باغ	لعلها : باح
١٩٢	١٠	العقول الجامدة	العقول الحاصدة
٢٠٢	٧	عبّر	عبَر
٢٠٧	٣	وأَن تجهلَ	وأَنت تجهل
٢١٥	٢	النعت	النحو

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٢١٦	١	به نسج	بها نسج
٢٣٦	١٤	الثانية	الثالثة
٢٤٤	٢٠	رياض	رياش
٢٥٦	٣	أَرِنَ	أَرَنْ
٢٦١	١٤	يلفظ	يلقط
٢٦٥	٩	دماثة	دمَاسة
٢٦٦	١٧	أنه ييبس الخ	أن الرياح سوف تخلع عنه لباس الثلج

***

فى صفحة ٧٨و٧٩ قصيدة لامية أُنشدت بكسر حرف الروى فكانت مطلقة القافية ولنا أن نرويها بسكون اللام فلا نحتاج إلى الشرح الذى فى صفحة ٧٩ المرقوم بعدد١ وتكون القصيدة مقيدة القافية ويصير فعولن فيها فعو ُمَعًلاً بالحذف وهو ذهاب السبب الخفيف وذلك جائز فى المتقارب الذى منه القصيدة

Editor :-
A. F. RIFAI, D. Litt.
DIRECTOR OF PRESS, PUBLICATIONS & CULTURE DEPARTMENT

MINISTRY OF INTERIOR
EGYPT

YÁQÚT'S
DICTIONARY OF LEARNED MEN
MÔGAM AL ODABÂ

IN TWENTY VOLUMES

Revised By The Ministry of Education.



VOLUME VIII

LARGED EDITION